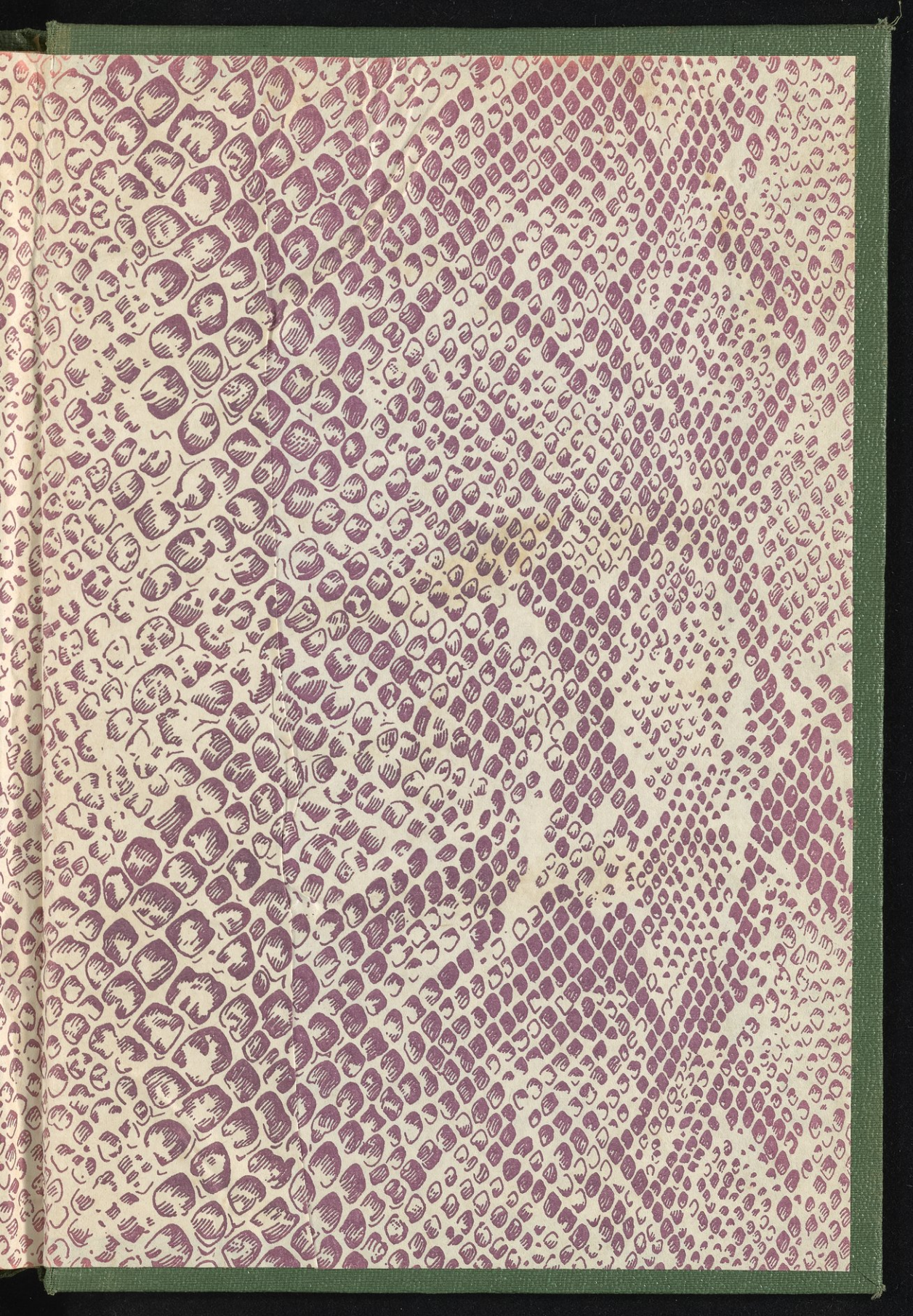

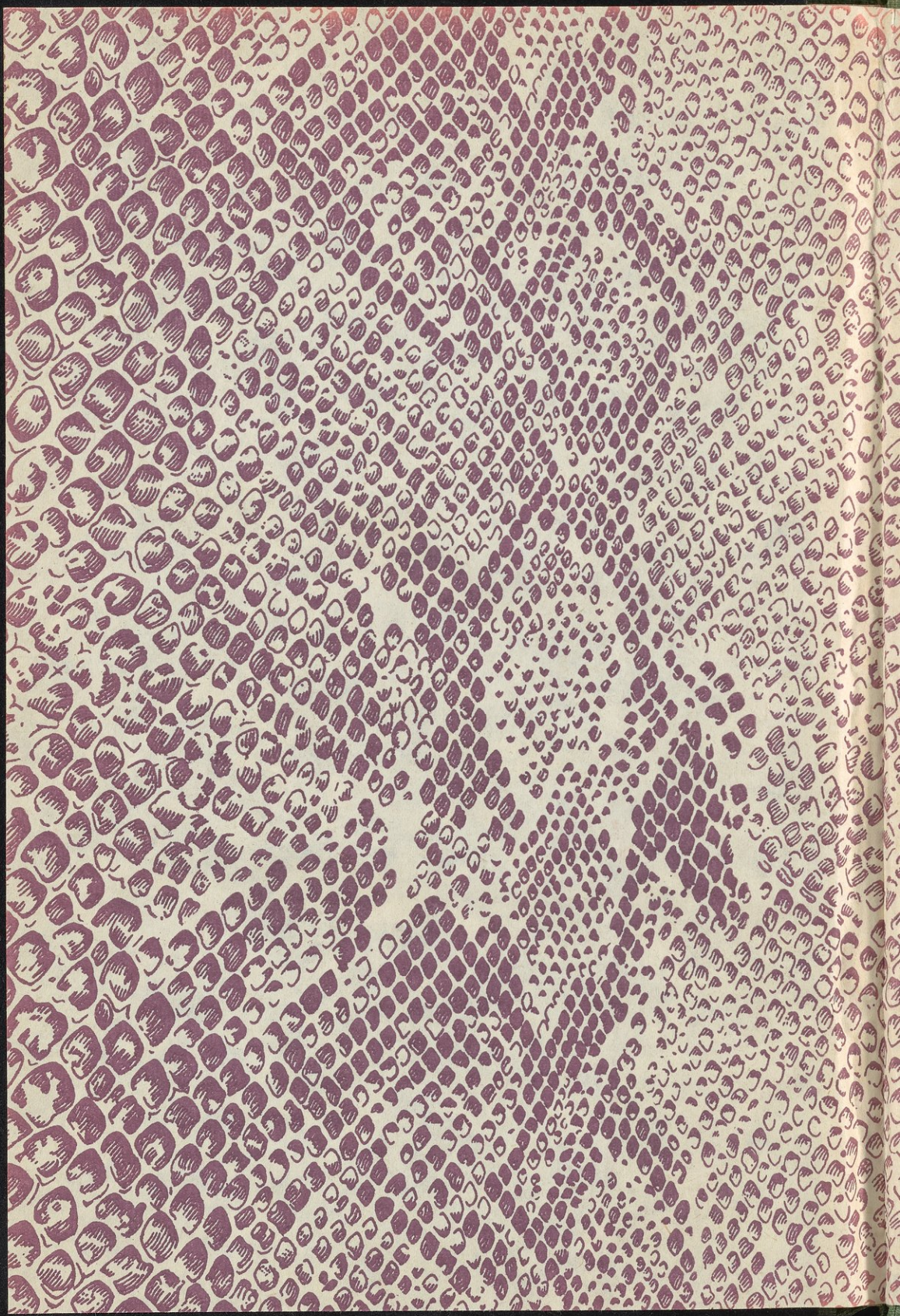

(الجزء الاول)

من كتاب السر الصفى فى مناقب السلطان الحنفى
قطب الغوث شمس الدين سيدى محمد التيمى
البكرى الشاذلى الصديقى رضى الله
تعالى عنه تأليف العلامة الفاضل
الشيخ على بن عمر الشهير
بالبتنونى

ولاجل تمام النفع ذيلنا هذا الكتاب بطبع حزب
النور للسلطان الحنفى المذكور حفنا الله بأنواره
وتغمدنا وجميع المسلمين بعميم أسراره آمين

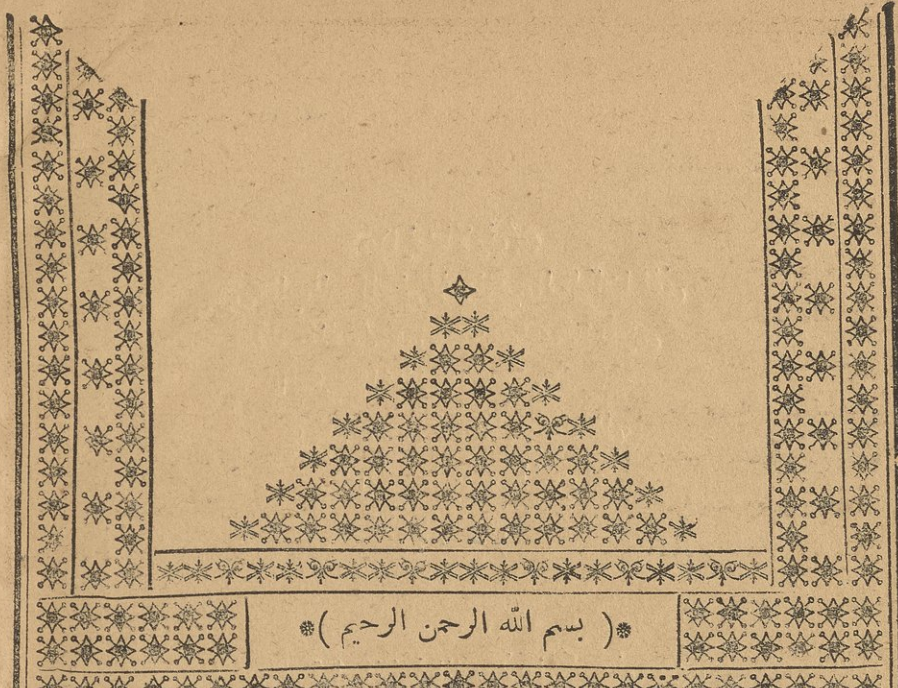

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين * وبعد فيقول العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير على بن عمر بن على ابن عبيد أهل الحق والنظر الشهير بالبتنونى عامله الله وجميع المسلمين بلطفه الخفى انى تفكرت فى أحوال سيدنا ومولانا وقدوتنا وحجتنا وشيخنا وامامنا الامام الجليل والسيد النبيل * شيخ مشايخ العارفين كنز الراغبين عدة الطالبين قرة عين العابدين كهف الفقراء والمساكين ذو العطاء والجود عين الوجود قطب دائرة الكون فريد عقد زمانه وامام أئمته واعلامه أبو عبد الله محمد بن حسن بن على التيمى البكرى الشاذلى الحنفى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وأعاد علينا من بركاته وجوده وأفاض علينا من بحار أنوار شهوده فوجدت له كرامات عظيمة ومناقب كثيرة مشهورة لكنها لعدم التقييد منثورة غير محصورة وهى فيما بين الناس شائعه الا أنها لعدم الضبط لها ضائعه * فلما رأيت ذلك وتأملت ماهنالك أحببت أن أجمع بين اشتاتها وأؤلف بين متفرقاتها فبذلت فى ذلك طاقتى على قدر استطاعتى لعلى بضعف همتى وقصر همتى وكان السبب الحامل لى على تأليفه والباعث لى على تصنيفه وجود الحب والاعتقاد وعدم البغض والانتقاد ومع ذلك لم أستطع جمع كل المناقب ولم أستوعب كل الفضائل والمراتب فان مناقبه لا تعد ولا تحصى وكراماته لا تستقصى وارجو من فضل الله تعالى أن يكون هذا الكتاب نزهة لكل ناظر وحجة لكل مناظر وتثبيتا لافئدة المريدين المعتقدين وقمعا لنفوس المتطلعين المنتقدين وسميته السر الصفى فى مناقب سيدى محمد الحنفى ورتبت هذا الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب *(الباب الاول)* فى

ابتداء أمر سيدى وظهور شأنه واشتهار أمره *(الباب الثانى)* فيمن أخذ عنه سيدى من المشايخ ومن انتهى اليه وعرف به *(الباب الثالث)* فى ذكر أحواله وطريقته وكيفية أحواله وصحبته مع أبناء الدنيا من أرباب المناصب وذوى المراتب الدينية والدنيوية *(الباب الرابع)* فى ذكر شئ من مناقبه وكراماته *(الباب الخامس)* فى ذكر من انتفع به وبصحبته من المريدين والمحبين على سبيل الاختصار واسأل الله العظيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ولنشرع الآن فى الكلام على المقدمة اعلم أن الكلام على هذه المقدمة يشتمل على ثلاث مسائل الاولى فى اثبات كرامات الاولياء الثانية فى الفرق بين الكرامة والمعجزة الثالثة فى تعريف الولى الخاص ومعنى الولى وما يتصل بذلك (المسألة الاولى فى اثبات كرامات الاولياء) اعلم أن كرامات الاولياء حق عند أهل السنة والجماعة والايمان بها واجب نص على ذلك الامام الاعظم أبو حنيفة رضى الله عنه فى كتابه المعروف بالفقه الاكبر وفى كتابه المسمى بالسواد الاعظم وخرج على ذلك مسألة عظيمة ذكرها صاحب كتاب عدة المفتى فقال لو أن رجلا بالمشرق وكل وكيلا أن يزوجه امرأة بالمغرب ففعل الوكيل ذلك ثم ان المرأة حملت فلما مضت مدة الحمل وضعت ولدا فهل يلحق نسب الولد بالزوج المذكور وهو بالمشرق والمرأة بالمغرب فقال الامام أبو حنيفة يلحق نسبه بالزوج ويجرى بينهما التوارث لصحة النسب واستدل على ذلك بأنه يجوز أن يكون الزوج المذكور من الاولياء وانتقل اليها بالكرامة فان الدنيا خطوة مؤمن قال ولا أقول بأنه ولد زنا قال ووافقه على ذلك الامام مالك والامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل رضى الله عنهم أجمعين وخالفه فى ذلك المعتزلة عليهم من الله ما يستحقون فانهم لا يؤمنون بكرامات الاولياء ولا يصدقون بها وممن نص على ذلك ايضا الشيخ الامام والليث الهمام زين الاسلام أبو بكر الرازى فى كتابه المسمى بالهداية فى أصول الدين شرح يقول العبد فقال اعلم ان كرامات الاولياء حق فنقر ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم لانه يجوز أن يظهرها الله تعالى على يد من يشاء من عباده ثم قال ومن أنكر كرامات الاولياء كان خارجيا ومعتزليا وهما ينكرون الآية قال الله تعالى لام موسى فالقيه فى اليم فهذه كرامة لها وأخرج الله رزق الشتاء فى الصيف ورزق الصيف فى الشتاء وأظهر الرطب فى الصحراء من النخلة وكان لتلك النخلة سبعون سنة لم يخرج لها ثمر فكان ذلك كرامة لمريم وقال الله تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وهو آصف بن برخيا وكان من الاولياء وهو وزير سليمان ولم يكن آصف نبيا وأتى بعرش بلقيس من اليمن الى بيت المقدس قبل ان يرتد الى سليمان طرفه من تلك المسافة البعيدة فاذا جاز أن يكون فى أمة سليمان كرامة الاولياء فكيف لا يجوز أن يكون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم كرامة الاولياء وهو أفضل من سليمان ومن جميع الانبياء وأمته أفضل الامم فان قالوا ان تلك الكرامة كانت من قبل سليمان عليه السلام

قيل له ما تقول فى كرامة أخرى قال الله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فهذه الكرامة لمريم ولم تكن نبيا فان قال المبتدع كان الرطب كرامة لعيسى عليه السلام قيل فما تقول فى كرامة أخرى وهو قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ولم يكن عيسى فى ذلك الوقت فان قال المبتدع لو أن أحدا ذهب فى ليلة واحدة الى بيت الله الحرام ورجع لا يكون هذا ولا يمكنه أبدا فنقول يمكنه ويجوز لان المؤمن خير من الكافر وقد وجدنا الكافر يسير فى ساعة واحدة من المشرق الى المغرب وهو ابليس لعنه الله وان سافر المؤمن فى ليلة واحدة الى بيت الله الحرام ووجد فى موضع طعاما فليس بعجب وهذا ظاهر فى كثير من صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم انتهى كلام الشيخ الامام أبى بكر الرازى رحمه الله تعالى وسئل الامام أبو حفص الكبير النسفى الحنفى رحمه الله تعالى عن الكعبة هل تزور أحدا من الاولياء فقال ان نقض العادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية جائز عند أهل السنة والجماعة قيل له فان انتقلت الكعبة الى ولى من موضعها فكيف حال المصلين اليها فقال فى جوابه القبلة موضع الكعبة لا بناء الكعبة والموضع بحاله وهذه المسألة مذكورة فى كتاب جواهر الفتاوى للامام أبى الفضل الكرمانى رحمه الله وقال الامام الرازى أيضا ان خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه شرب قدحا من السم فلم يضره ودعا أبو حنيفة يوما فنزلت عليه مائدة من حيث لا يعلم قال ولان كرامات الاولياء وان كانت بخلاف العادة فهى فى قدرة الله تعالى ممكنة غير ممتنعة وليس فيها وجه من وجوه الاستحالة فوجب تجويزه ولان الله تعالى حكيم قدير ورسالة الرسل لا تنافى حكمته فكذلك اظهار الكرامة على يد الولى ليس مما ينافى الحكمة وذلك يدل على حقيقة هذا الدين ولان فى ظهور كرامة الولى معجزة الرسول لان بظهورها يعلم ان الولى محق فى دينه ودينه انما هو التصديق برسالة رسوله واتباعه اياه حق وشريعته صدق وظهور الكرامات لا يؤدى الى سد باب المعجزة لان الكرامة تظهر بغير الدعوى بل يجتهد الولى فى كتمانها ولو ادعى ولى ذلك لذهبت ولايته وبالله العصمة (المسألة الثانية فى الفرق بين المعجزة والكرامة) اعلم رحمك الله أن العلماء رضى الله عنهم اختلفوا فى ذلك فقال بعضهم ان المعجزة حجة الانبياء على صحة دعواهم فيكون لهم اظهارها متى احتاجوا اليها وكرامة الاولياء تحصل من غير احتياجهم اليها بدون سبق دعوى منهم هكذا قاله الامام أبو الفضل الكرمانى فى جواهر الفتاوى أيضا وسئل الامام فخر الدين الرازى الحنفى من أئمتنا رحمهم الله تعالى عن الفرق بين المعجزة والكرامة فقال ما يكون على خلاف العادة اذا ظهر على يد مدعى الرسالة وبقاءها وقتها وعند الدعوى والانكار يكون ذلك معجزة فى حقه وعلى يد الولى يجوز أن يظهرها تصحيحا لدينه الحق ويكون ذلك كرامة فى حقه واظهارا لصحة دينه ويكون ذلك معجزة فى حق نبيه وقال حجة الشريعة من أئمتنا رحمهم الله فى

الفرق بين المعجزة والكرامة ان المعجزة هي ظهور المناقض للعادة على يد مدعي النبوة اذا كان الزمان زمان الرسالة فانه يحتاج الى الدليل لاثبات الحق فالمعجزة هي الدليل القائم من الله تعالى على صحة دعواه مثاله دعوى المدعي انما تسمع اذا كان أهلا للدعوى ودعواه صحيحة في نفسه ومجرد الدعوى غير موجب للعقل فلابد من اقامة البينة والكرامة ظهور نقض العادة على يد الولي لتصحيح دعوى دينه مع كتمان ذلك ومن غير دعوى سابقة ويكون ذلك دليلا لصحة دينه وكل كرامة ظهرت على يد ولي كانت معجزة للرسول وتصديقا لدينه والله أعلم (المسألة الثالثة في تعريف الولي ومعنى الولي والولاية) قال الشيخ أبو عبد الله محمد الواسطي في كتابه مجمع الاحباب مختصرا الحلية أما تعريف الولي الخاص فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله تعالى فقال الذين اذا رؤا ذكر الله عز وجل رواه البزار في مسنده قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان ولي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم قال وليس لقائل ان يقول لم لا عرفت الاولياء بقوله تعالى الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لانا نقول ان الآية لم ترد في هذا على سبيل التعريف وأيضا فانا نقول ان الآية الكريمة ليست نصا صريحا في وصفهم لان قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون يجوز ان يكون مبتدأ خبره ما بعده وهو قوله لهم البشرى وان كان كذلك لا يتم التعريف المذكور انتهى وأما معنى الولي فانه يحتمل أمرين أحدهما انه من توالت عليه الطاعات من غير تخلل معصية والثاني ان معناه هو الذي يتولى الحق حفظه وحراسته على الدوام والتوالي فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان ويديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة قال الله تعالى وهو الذي يتولى الصالحين ذكره الامام القشيري في رسالته قال بعضهم الولي هو الذي توالت أفعاله على الموافقة وقال يحيى بن معاذ الولي لا يرائي ولا ينافق ولا يداهن وما أقل صديق من هذا حاله وقيل علامة الولي شغله بالله وفراره الى الله وهمه لله وقال الامام القشيري رحمه الله اختلف أهل الحق في الولي هل يجوز أن يعلم أنه ولي أم لا فكان الامام أبو بكر بن فورك يقول لا يجوز ذلك لانه يسلبه الخوف ويوجب له الامن وكان الاستاذ أبو علي الدقاق يقول بجوازه قال القشيري وهو الذي نؤثره ونقول به قال وليس ذلك بواجب في جميع الاولياء ولكن يجوز ان يعلم بعضهم ذلك ويجوز أن لا يعلم بعضهم ذلك فاذا علم بعضهم انه ولي كانت معرفته تلك كرامة له انفرد بها وليس كل كرامة لولي يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الاولياء بل لو لم تكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح ذلك في حقه ان لا يكون وليا بخلاف الانبياء عليهم السلام فانه يجب أن تكون لهم معجزات لان النبي مبعوث الى الخلق فبالناس حاجة الى معرفة صدقه ولا يعلم ذلك الا بالمعجزة وبعكس ذلك حال الولي لانه ليس بواجب على الخلق ولا على الولي أيضا العلم بأنه ولي والعشرة من الصحابة صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم أنهم من أهل الجنة وقول من قال لا يجوز ذلك لانه

يخرجه من الخوف فلا بأس ان يخافوا تغير العاقبة والذى يجدونه فى قلوبهم من الهيبة والتعظيم والاجلال للحق سبحانه وتعالى يزيد ويربو على كثير من الخوف واعلم أنه ليس للولى مساكنة الى الكرامة التى تظهر عليه ولا له ملاحظة لها وربما يكون لهم فى ظهورها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم ان ذلك فضل الله تعالى مستدلين على صحة ما هم عليه من العقائد وبالجملة فالقول بجواز اظهارها على الاولياء واجب وعليه جمهور أهل المعرفة فان قيل فهل يجوز ان يكون الولى معصوما قيل أما وجوبا كما يقال فى الانبياء فلا وأما أن يكون محفوظا حتى لا يصر على الذنوب وان حصلت له هفوات أو زلات فلا يمنع ذلك فى وصفهم كما قيل للجنيد العارف يزنى يا أبا القاسم فاطرق مليا ثم رفع رأسه وقال وكان أمر الله قدرا مقدورا وهذا مختصر ما ذكره القشيرى رحمه الله تعالى وجملة القول فحسن الظن بجميع الفقراء واجب على كل مسلم ويجب على كل مسلم ترك الخوض فى اعراض الفقراء وان يحملهم على الظن الحسن ويترك الاعتراض عليهم والانكار بالقلب واللسان فمن سلم سلم ومن أنكر واعترض ندم ومن كلام سيدى الاستاذ الحنفى قدس الله روحه العزيزة اذا كان ابن الفقراء رمادا فلا تطأ عليه بقدمك تحترق وقال أهل العلم رضى الله عنهم من ساء اعتقاده فى الاولياء يخشى عليه سوء الخاتمة فنعوذ بالله من ذلك وقد انتهى الكلام على مقدمة هذا الكتاب بحمد الله وعونه على سبيل الاختصار ولنشرع الآن فى ذكر الابواب التى التزمنا ذكرها فى هذا الكتاب فنقول (الباب الاول) فى ذكر ابتداء أمر سيدى رضى الله عنه وما يتصل بذلك اعلم أن المشهور عنه رضى الله عنه ونفعنا به أنه كان ربى يتيما من أمه وأبيه وأمه الآن خالته اخت أمه حضنته وضمته اليها ثم تزوجت برجل من أبناء الدنيا فكان هذا الرجل يهين سيدى كثيرا ويقته ويضربه وكان سيدى من حال صغره صبورا على ذلك مسلما للقضاء والقدر الا أنه كان اذا خلا بنفسه وتفكر فى حاله أخذه البكاء فيبكى كثيرا كذا أخبر سيدى عن نفسه الكريمة فلما بلغ سيدى من العمر سبع سنين أخذه زوج خالته ومضى به الى رجل غرابلى يصنع الغرابيل ويبيعهم وقال له خذ هذا الولد وعلمه الصنعة ورجع زوج خالته الى منزله فهرب الاستاذ من عند الغرابلى ومضى الى المكتب فلما علم به زوج خالته أخذه من الغد ومضى به الى رجل مناخلى وسلمه اليه وقال له خذ هذا الولد وعلمه الصنعة ولا ترخ له فانى أخاف عليه ان يعيش بغير صنعة ثم رجع الى منزله فهرب سيدى من عند المناخلى وذهب الى المكتب فلما علم زوج خالته بذلك مضى اليه وأخذه بيده وسحبه على الارض وأخرجه من المكتب ورفع يده ولطمه على خده لطمة شديدة مؤلمة فغشى عليه وأخذ فى البكاء حتى انتحب من شدة البكاء وأخذ سيدى يقول

ما هكذا كنت فى أهلى وفى وطنى * ان الغريب غريب أينما كانا

فكان هذا أول انشاده فرأته امرأة من الخيرات حين فعل به ذلك وهى مارة فى الطريق فحزنت عليه وبكت وقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما أخوفنى على هذا الرجل

أن تقطع يده قبل موته بذنب هذا الولد المكسور الخاطر اليتيم قال فاجتمع عليه الناس وقالوا له ما يحل لك هذا فان هذا الولد ما يريد الا أن يقرأ القرآن فيجب عليك أن تساعده الى مقصوده وتؤجر على ذلك والمكتب خير له من غيره واتفق رأى الجماعة الحاضرين على ذلك قلت وما أحسن قول الامام أبى الفرج بن الجوزى فى كتابه صدور المجالس اذا اختار الله تعالى شخصا رباه فى طفوليته واختصه بالتوفيق قيل ان زوج خالة سيدى قطعت يده قبل موته تصديقا لكلام تلك المرأة الصالحة ثم ان سيدى لازم المكتب حتى حفظ القرآن حفظا جيدا وأتقنه اتقانا حسنا وكان من رفقاء سيدى فى المكتب الشيخ شهاب الدين بن حجر وسيدى الشيخ أبو العباس خادمه والخطيب جلال الدين بن المطوع والشيخ شمس الدين ابن المخلدتى فاما الخطيب جلال الدين وسيدى أبو العباس فانهما ما زالا فى خدمة سيدى الى الممات وكان أقربهما من سيدى وأكثرهما خدمة له سيدى أبو العباس وأما الشيخ شهاب الدين بن حجر فانه لما حفظ القرآن وأتقنه أخذ فى الاشتغال بعلم الحديث النبوى حديث سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وارتحل من مصر الى داخل البلاد ودخل بلاد العجم والهند والروم واليمن وغير ذلك من الاقاليم واجتمع بكثير من المشايخ من أهل الحديث النبوى وقرأ عليهم وأخذ عنهم علم الحديث حتى لم يبق فى عصره مثله واحتاج اليه الناس ودخلوا اليه وأخذوا عنه وله فى ذلك كتاب اسمه اتباع الاثر فى رحلة ابن حجر جمع فيه شيوخه الذين قرأ عليهم وأخذ عنهم وصار يدعى بشيخ الاسلام ولم يكن له نظير فى وقته وكان قد أعطاه الله الدنيا والدين وتولى قاضى قضاة الشافعية بمصر وأقام فى وظيفة القضاء مدة طويلة وكان مع غزارة علمه وعلو مرتبته وارتفاع منزلته يركب الى سيدى لزيارته ويجلس بين يديه جاثيا على ركبتيه طارقا رأسه الى الارض لا يستطيع أن يرفع بصره الى وجه سيدى من عظم مهابته فاذا انتهى جلوسه مع سيدى قبل يده وقام من بين يديه ومشى الى خلفه خطوات ووجهه الى سيدى وكان من شأن سيدى أنه لا يقوم لاحد ولو كان سلطانا ومع ذلك كانوا يترددون اليه لكثرة اعتقادهم وشدة محبتهم فيه وأما الشيخ شمس الدين بن المخلدتى فانه كان رجلا صالحا عالما وله يد طويلة فى علوم كثيرة أعاد الله علينا من بركاته وكان له مكتب يقرئ فيه الاولاد وكان كل قليل يتردد الى سيدى وكان سبب تأدب هؤلاء الجماعة فى حق سيدى ما حكاه سيدى أبو العباس رحمه الله تعالى قال كان فقيها الذى قرأنا عليه القرآن رجلا صالحا أمينا ديانا تقيا عفيفا وكان قد أعطى الاطلاع على عواقب الامور فراسة صادقة وكان مشهورا بذلك وكان يقول لنا لا تقطعوا مودة هذا أعنى محمدا الحنفى فانه رجل صالح وكان يأمرنا بملازمته ويقول سيكون له شأن عظيم ورفعة على أبناء جنسه وصيت حسن ويشيع ذكره شرقا وغربا وسترون منه أمورا عجيبة وأما أنت يا أبا العباس فاكثر ملازمته وكن له خادما أيام حياته ولا تخالفه ولا تخرج عن أمره فانك ما دمت على ذلك لم تزل بخير الى أن تموت وربما قال لنا أوصيكم بملازمة هذا الفقير فانه سيعلو أمره ويشتهر ذكره حتى يشار اليه

بالاصابع من بعيد وسترون مايكون من أحواله فاذا أدركتم ذلك فاذكروني بالرحمة وادعوا لي بالمغفرة قال سيدى أبو العباس فامتثلنا أمره ولازمنا سيدى ملازمة صحيحة الاعتقاد وزدنا على ما كان يقول لنا فقيهنا رحمه الله تعالى قال وكنت انا أكثرهم له خدمة وأشدهم ملازمة حفظا لوصية الفقيه رحمه الله تعالى ولما نظرت منه خوارق الكرامات والعادات صرت لا أفارقه ليلا ونهارا قلت وكان سيدى أبو العباس رجلا صالحا عالما تقيا ورعا عارفا بالله تعالى وكان له درس عظيم يجتمع فيه جماعة من أعيان العلماء قال سيدى أبو العباس فلما اشتهر أمر سيدى وشاع ذكره وعظم أمره أقمت على حالي معه لم أتغير ولم أخرج عن أمره وقد علم الله مني الصدق في مودته حتى ربما كان سيدى رحمه الله يخرج بالليل بعد ما صار رجلا فيجلس على دكة من خشب منصوبة في الدرب بجوار الزاوية فيجلس عليها بالليل وحده فيحس خاطري بأن سيدى جالس على الدكة في هذه الساعة فأخرج اليه فاجده فاقبل يده وأجلس بين يديه يحدثني وأحدثه ثم يقوم فيدخل بيته وادخل انا الى بيتي وكان سيدى أبو العباس مع كثرة علمه وارتفاع شأنه وعلو درجته لم يقدر يخالف سيدى في كلمة ولا يخرج له عن أمر وكان عنده خشونة وتقشف في أحواله شديد الهيبة عظيم الوقار زاهدا في الدنيا ونعيمها وكان سيدى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله يجلس في درسه متأدبا طارقا رأسه ولقد سمعته يوما يقول كنت اذا جلست بين يدى سيدى أبي العباس أرى نفسه كاللقمة المفروكة وربما خطر ببالي مسألة من المسائل وأريد أن أسأله عنها فاذا نظرت الى نسيت تلك المسألة التي عينها وأخبرني الشيخ فخر الدين الطرابلسي الذي كان نزيل مدرسة شيخون قال أردت زيارة سيدى أبي العباس فانتخبت احدى عشرة مسألة امتحنه بها فلما اجتمعت به ألقى الله تعالى في قلبي هيبته وصرت كلما تذكرت مسألة من المسائل وأريد ان أسأله عنها نظرت اليه فأنساها ولم أذكرها حتى كأني لم أعرفها ولا خطرت ببالي ووقع لي معه ذلك في جميع المسائل وقت من مجلسه ولم أسأله عن شئ وصرت أتردد اليه ولا أقدر على سؤالي له وكان سيدى أبو العباس مع هذا الامر العظيم يقدم لسيدى نعله اذا أراد القيام من مجلسه ويحمله معه غالبا في زاويته سيدى وفي غيرها (استرجاع) قال سيدى أبو العباس ولما كنت أنا وسيدى في المكتب ونحن أطفال كان والدي اذذاك قاضيا حنفيا وكان يبعثني الى المكتب على بغلة ومعي المصحف والعبد يحمل اللوح والدواة ويمشي خلف البغلة فاذا وصلت الى المكتب رجع العبد بالبغلة فاذا كان وقت العصر جاء العبد بالبغلة فأركب الى البيت وكان سيدى يذهب الى المكتب ماشيا قال سيدى أبو العباس فظهر لي من سيدى بعد ذلك أمور تدل على بركته مع صغر سنه فكنت أردف سيدى على البغلة خلفي فاقت على ذلك مدة ثم رأيت منه شيأ أعظم مما رأيت منه أولا فصرت أركب خلفه وأقدمه بين يدى ثم رأيت منه أمرا أعظم من الاول والثاني فصرت أمشي خلف البغلة وسيدى راكب حتى أوصله الى البيت وارجع وكنت أحكي ذلك لوالدي رحمه الله فيقول لي الزمه ولا تفارقه

وأما ما كان من أمر سيدى الكبير المشار اليه رضى الله عنه فقد حكى عنه سيدى أبو العباس رضى الله عنه فقال ان سيدى رضى الله عنه لما خرج من المكتب كان يكتب وريقات فى المواعظ ويبيعها ويأخذ من ثمنها ورقا فيكتبه ولازم ذلك حتى حصل معه ثمن كتابين أو ثلاثة فاشترى بثمن ذلك كتبا وجلس فى حانوت فى الكتبيين يبيع ويشترى ويخبر المشترى بالثمن ويقنع بالقليل فاقام على ذلك حتى صار له من العمر أربع عشرة سنة قال سيدى أبو العباس رضى الله تعالى عنه فبينما سيدى ذات يوم جالس فى الحانوت اذ جاءه رجل من أرباب الاحوال فقال له يا محمد أنت الى الآن ما تركت الدنيا فلما سمع سيدى كلامه خرج من الحانوت وتركه على حاله ولم يصحب معه منها شيأ ولا الورقة الواحدة غير منديل عتيق ألقاه على كتفه وجعل يمشى خلف ذلك الرجل حتى اختفى عنه فلم يره ولم يعرف سيدى هل هو الخضر عليه السلام أو غيره ولم يرجع سيدى الى الحانوت بعد ذلك ولم يعرف ما جرى فى أمره بعده قال سيدى أبو العباس فجاءنى سيدى وأخبرنى بقصة ذلك الرجل قال فقلت له يا سيدى أتأذن لى أن أرجع الى الدكان واحمل ما فيها من الكتب والاوراق فقال لا فان هذا شئ تركناه لله فلا نعود اليه قال فعند ذلك أخذت بيد سيدى وجئت به الى موضع الزاوية بسويقة السباعين قبل أن تعمر وكانت فى ذلك الوقت منشرا وكان هنالك غسالون يغسلون الثياب بالاجرة وفى ذلك الموضع بئر معينة وهى البئر الموجودة الآن بالزاوية وكان الغسالون يغسلون الثياب وينشرونها فى ذلك المكان والارض والبئر مملوكان لسيدى أبى العباس انتقلته اليه بالارث الشرعى عن والده قال فسأل سيدى الكبير أبا العباس ان يبنى له فى ذلك الموضع خلوة يختلى فيها وكان قد حبب اليه الخلوة قال فشرع سيدى أبو العباس فى ذلك واحضر البنائين وشرع فى بناء الخلوة حتى انتهت ثم شرع سيدى أبو العباس فى بناء الزاوية ثم ان سيدى اختلى فى الخلوة وكانت تحت الارض وأقام سيدى فى تلك الخلوة يتعبد فيها وانقطع الى الله تعالى فيها وجعل سيدى أبو العباس يخدمه ويتردد اليه ولا ينقطع عن خدمته ثم ان سيدى أبا العباس شرع فى عمارة الزاوية حتى كملها كل ذلك وسيدى منقطع فى الخلوة حتى قام سبع سنين وقد بلغ من العمر اذ ذاك احدى وعشرين سنة قال سيدى أبو العباس فكنت اذا أردت النزول الى سيدى وهو فى الخلوة أقف على بابها وأتنحنح فان قال لى ادخل دخلت وان سكت رجعت فدخلت عليه يوما على غفلة من غير استئذان فوقع نظرى على أسد عظيم وهو جاث على عجزه وقد ثنى رجليه ورفع يديه وهو يلتفت يمينا وشمالا فلما وقع نظرى عليه غبت عن حسى وغشى على ساعة طويلة لم أعلم بنفسى فلما رجع الى عقلى رجعت الى خلفى أزحف زحفا حتى طلعت من السلم الى الزاوية فجلست عند البنائين واشتغلت معهم بالكلام حتى ذهب عنى روعى ثم عدت بعد ذلك الى سيدى فوقفت على باب الخلوة وتنحنحت فقال ادخل فدخلت اليه وأنا خائف منه فقال لى لا تعد الى مثلها تدخل على بغير اذن فقلت التوبة يا سيدى فقال يا أبا العباس

لولا ان الله تعالى تبتلك لذهب عقلك قال ولم يخرج سيدى من الخلوة الا بعد سبع سنين قال العبد الفقير المعترف بالتقصير جامع هذا الكتاب المنير سمعت سيدى الكبير يقول لبعض أصحابه وأنا جالس خلف الحلقة كان سبب ظهورنا من الخلوة بعد تلك المدة أننى سمعت بهاتف يقول يا محمد أخرج وانفع الناس قال فتربصت قليلا حتى أتظر علامة صدق الهاتف فسمعته مرة أخرى يقول ذلك فتربصت أيضا فسمعته يقول يا محمد تخرج والا هيه فقلت ما بعدهيه الا القطيعة ثم قمت بعد ذلك فتوضأت وخرجت الى الزاوية فرأيت على هذه الفسقية جماعة يتوضؤن وهم على صور مختلفة ولهم صفات غير صفات بنى آدم فمنهم من على رأسه عمامة صفراء ومنهم من عمامته زرقاء ومنهم من وجهه وجه قرد ومنهم من هو على هيئة خنزير ومنهم من هو على هيئة حسنة جميل الصورة وعمامته بيضاء ووجهه يتلألأ نورا قال سيدى فلما رأيت ذلك علمت ان الله عز وجل قد أطلعنى على عواقب أمور الناس فرجعت الى خلفى ودخلت الخلوة وتوجهت الى الله عز وجل وسألته أن يسترعنى ما كشف لى من أحوال الناس ثم خرجت بعد ذلك فرأيت الناس على حالة واحدة وستر الله عنى ذلك الامر قلت ومما أخبرنى به سيدى أبو العباس نقيب سيدى رضى الله عنهما قال لما بنيت لسيدى الخلوة التى كان يتعبد فيها تحت الارض وكان قد زرع بجوارها توتة أو قال قريبا منها وذلك قبل ان يختلى سيدى فيها بايام قلائل قال فلما اختلى سيدى فى الخلوة وأقام فيها تلك المدة المذكورة فيما تقدم خطر لسيدى بعد ذلك أن يدنو من تلك التوتة وينظر اليها ويجلس عندها فقصد نحوها وجلس بالقرب منها قال سيدى رحمه الله فالهمتنى القدرة ان قلت لها يا توتة حدثينى حدوثة قال فسمعت صوتا منها يقول نعم انهم لما زرعونى سقونى فلما سقونى أسست فلما أسست فرعت فلما فرعت أورقت فلما أورقت أثمرت فلما أثمرت أطعمت قال سيدى فكان فى كلامها تسليك لى وتنبيه وموعظة وكان ذلك أيضا من الاسباب الباعثة لى على ظهورى للناس وقد حصل لى بحمد الله ما قالت لى التوتة فان الله تعالى بمنه وكرمه قد زرعنى حتى تأسست وفرعت وأورقت وأثمرت وأطعمت ولله الحمد والمنة على ذلك قال رضى الله عنه وكان ظهورى من الخلوة فى يوم الثلاثاء فالهمتنى القدرة أن جلست للناس وعملت ميعادا واجتمع على خلق كثير لسماع الميعاد حتى ضاقت الزاوية بالناس فكان يوما مشهودا وكان اجتماع الناس الى المجلس من غير وعد تقدم لهم وانما هو شئ أراده الله عز وجل والحمد لله قلت واستمر الميعاد من يوم الثلاثاء من ذلك اليوم وأقام سيدى على ذلك سنين كثيرة ثم بدا له أن يجعله يوم الاحد فكان يوم الميعاد الاحد واستمر سيدى على ذلك الى ان انتقل الى رحمة الله تعالى وقد حضرت ميعاد سيدى يوم الثلاثاء نحو ثلاث سنين ثم حضرته يوم الاحد أيضا مدة طويلة والسبب فى ذلك أن سيدى رحمه الله قصد أن يكون الناس يجتمعون فى ميعاده يوم الاحد على ذكر الله تعالى وعلى سماع المواعظ فيكونون فى عبادة

الله تعالى فى ذلك اليوم الى وقت الظهر ليكون فى ذلك مخالفة للنصارى فى كنائسهم وهم
على ضلالهم فقصد سيدى بذلك كثرة الثواب للمسلمين واظهار شعائر الدين المحمدى
على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فرضى الله عن سيدى ما كان أحسن مقاصده
وأزكاها وأطيبها وأنفعها للمسلمين فلقد كان والله بالمسلمين بارا رؤفا رحيما شفوقا عطوفا
حتى أسلم على يديه من اليهود والنصارى جمع كثير كل ذلك بحسن مقصده وصفاء سريرته
وكثرة تعطفه وشفقته على خلق الله تعالى فرحم الله سيدى ونفعنا والمسلمين ببركاته وبركات
علومه فى الدنيا والآخرة بمحمد وآله آمين قلت وقد كنت يوما من بعض الايام جالسا بعد
العصر بين يدى سيدى مع الفقراء لقراءة وظيفة العصر وقد فرق الخادم حسن المحلى أجزاء
الربعة على الحاضرين بعد ما قدم لسيدى مصحفا كبيرا ضخما على كرسى وسيدى يقرأ فيه سرا
والجماعة يقرؤن جهرا فالتفت الى وقال لا اله الا الله فقلت لا اله الا الله ما خبرك ياسيدى
فقال لى خبرى خبر عظيم وعجيب لى ثلاثون سنة لم أر هذا الرجل وأشار على رجل بين الناس
ذى هيئة حسنة وقال له ياهذا ما المانع من زيارتنا فقال قد عرض لى سفر حتى استغرقت
فيه وسحت فى الارض هذه المدة كلها ودخلت بلادا كثيرة ثم رجعت وكنت قد صحبت
سيدى قديما وأشار بيده نحو الاستاذ رضى الله عنه قال فلما كان بعد ظهر سيدى من
خلوته التى كان قد اختلى فيها تحت الارض وأقام فيها سبع سنين وكان سيدى أبو العباس
ملازمه تلك المدة وهو فى خدمته وهو الذى قد بنى له هذه الزاوية فلما انتهت عمارتها وظهر
سيدى للناس بعد تلك المدة وجلس يدعوهم الى طاعة الله تعالى ورأيات قبال الناس عليه
من الفقراء والاغنياء والامراء والعلماء وأرباب الدول وغيرهم تعجبت عجبا عظيما فبينما أنا نائم
تلك الليلة اذ رأيت فى نومى كأن سيدى راكب على جمل وحوله خلق كثير لا يحصون ومنادا يا
ينادى امامه بين تلك الخلائق كأنه ينادى عليه بالتجريس ويرفع صوته بالمناداة وهو يطوف
به شوارع المدينة فلما رأيت ذلك تعجبت غاية العجب فلما أستيقظت وجدته منامات قال فازعجنى
ذلك وفزعت فزعا عظيما وقلت فى نفسى هذا تجريس وشهرة غير حميدة وركوب على جمل
يا ترى ماذا يكون هذا الامر ثم قمت وتوضأت وجئت الى هذه الزاوية فصليت مع الجماعة
صلاة الصبح وجلسنا مع الناس لقراءة حزب الاستاذ فلما فرغنا من قراءة الحزب وانصرف
الناس الى بيوتهم تقدمت الى سيدى وقبلت يده واستأذنته ان اقص عليه ما رأيته فى منامى
وأنا غائب فاذن لى فقصصت عليه الرؤيا فلما فرغت منها التفت سيدى رضى الله عنه الى
سيدى أبى العباس وتعجب وقال له ياأبا العباس الا ترى الى صاحبنا الحاج أحمد قد رأى لنا
منامات عظيما وفيه بشارة حسنة وهو كذا وكذا والله ياأبا العباس سيكون لنا شأن عظيم
ونشتهر بين الناس ونرتفع درجة بقدر ما كان حولنا من الخلائق أو أكثر وتكثر أصحابنا
واتباعنا فلله الحمد والشكر على ذلك ثم ان سيدى دعالى وجازانى خيرا بما بشرته به فانصرفت
من بين يديه وأنا فرح مسرور ولم البث بعد ذلك غير أيام قلائل حتى خطر لى خاطر السفر

فخرجت الى السياحة فلم أرجع الى الآن فوجدت سيدى قد شاع ذكره واشتهر أمره وكثرت أصحابه واتباعه وبلغ من الامر ما قد رأيته فى منامى وزيادة وانى أريد أن أقابله وأسلم عليه فى هذا الوقت فلما انقضت وظيفة العصر وانصرف الناس تقدم ذلك الرجل الى سيدى وقبل يده وسلم عليه فلما نظر اليه سيدى وحقق فيه النظر عرفه وأقبل عليه وتبسم له وأهل به وقال مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بالحاج أحمد صاحبنا قديما فجعل ينظر الى سيدى ويبكى فلما هدأ الرجل من بكائه قال سيدى لا اله الا الله قد حقق الله ما قلت لنا من رؤياك والحمد لله على ما أنعم وتفضل ولم يزل ذلك الرجل فى خدمة سيدى الى ان انتقل الى رحمة الله تعالى قال سيدى أبو العباس وكان فى زمن سيدى فى حال صغره رجل من الاولياء المشهورين يعرف بالشيخ حسين الحبار وكان يبشر بظهور سيدى ويخبر أصحابه به وبزمانه وكان الشيخ الكلائى رحمه الله فريد زمانه وهو شيخ الشيخ سراج الدين البلقينى فى علم الفرائض وكان الكلائى من أصحاب سيدى حسين الحبار وقد حكى الشيخ الكلائى عن شيخه الشيخ حسين الحبار قال كنت بمحبة سيدى الشيخ حسين الحبار بمصر العتيقة جالسا معه فى بعض الاماكن اذ مر بنا صبى صغير له من العمر خمس سنين أو ست سنين قال فنظر اليه الشيخ حسين الحبار ثم التفت الى الشيخ الكلائى وقال له يا فلان نظرت هذا الولد الذى مر بنا قلت له نعم قال تحققه واتخذ فيه علامة فانه يكون له شأن عظيم ويكون سيد أهل زمانه وان ولدك هذا يدرك زمانه يعنى ولد الكلائى قال فقام الكلائى من وقته وساعته ولحق سيدى ونظر الى وجهه وتأمله فرأى على عينه اليمنى شحتة على حفنها فدعى الكلائى ولده وأراه تلك العلامة فجعل ولده يراعى سيدى حتى أدرك زمانه وشاهد من أحواله أمورا عجيبة كما قال سيدى الشيخ حسين الحبار رضى الله عنه ثم قال سيدى الشيخ حسين الحبار للشيخ الكلائى رضى الله عنه أخبرنى بذلك الشيخ محمد بن اللبان رضى الله عنه عن سيدى تاج الدين بن عطاء الله عن سيدى ياقوت العرشى عن سيدى أبى العباس المرسى عن سيدى أبى الحسن الشاذلى أنه كان يقول سيظهر بمصر رجل يعرف بمحمد الحنفى يكون فاتحا لهذا البيت ويشتهر فى زمانه ويكون له شأن عظيم قلت وقد اشتهر عن سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أنه كان يقول لولا لجام الشريعة على لسانى لاخبرتكم بما يكون فى غد وبعد غد الى يوم القيامة ومن كان بهذه المثابة وفى هذه المنزلة لا يخفى عليه أمر سيدى رضى الله عنه وكان سيدى الشيخ حسين الحبار يأتى ويتردد كل قليل الى مصر العتيقة ويجلس بالقرب الى بيت سيدى الذى هو قاطن فيه وينتظره حتى يخرج منه ومعه القميص أو العمامة أو النعل فاذا خرج من البيت وجاز عليه يقوم اليه الشيخ حسين الحبار ويدفع ذلك اليه ويقول له سلمنى على الوالدة وربما دفع اليه شيأ من الدراهم وبلغنى أيضا عن الشيخ الكلائى أنه قال ان الشيخ حسين الحبار هو الذى بشر بسيدى وكان يقول سمعت الشيخ محمد بن اللبان يقول بلغنى عن سيدى أبى الحسن الشاذلى أنه قال يظهر بمصر شاب يعرف بالشاب التائب حنفى

المذهب اسمه محمد بن الحسن وعلى خده الايمن خال وهو أبيض اللون متشرب بحمرة وفى عينيه حور ويربى يتيما فقيرا قال وكان الشيخ حسين الحبار يجئ الى مصر العتيقة ويقعد فى مكان على قارعة الطريق ويشترى ممن يمر عليه من الاولاد فاقام على ذلك مدة فبينما هو ذات يوم جالس اذ مر به سيدى وهو ذاهب الى الكتاب وهو ابن أربع سنين أو خمس سنين فتأمله فاذا هو بالعلامات التى ذكرها الشيخ شمس الدين بن اللبان وكان بصحبته الشيخ الكادئى الفرضى فقال الشيخ حسين هذا الولد هو الذى بشر به سيدى أبو الحسن الشاذلى فاوصيك به خيرا ومهما قدرت عليه من الخير فافعله معه فانه فقير ويتيم قال فكان الشيخ الكادئى كل قليل يجئ الى مصر العتيقة ويترصد سيدى فاذا مر عليه دفع اليه القميص مخيطا والعمامة والنعل ويتفقده بالخير ويزيد فى دفع له شيأ من الدراهم فيحصل لسيدى جبر خاطر قال فلما كبر سيدى وبلغ من العمر عشرين سنة قال لسيدى أبى العباس أما ترى ان نذهب الى سيدى الشيخ ناصر الدين بن الميلق ونجتمع به ونأخذ عنه الطريق على مذهب الصوفية ونتلمذ له وكان الشيخ ناصر الدين بن الميلق أخذ الطريق عن الشيخ شهاب الدين جده ابن الميلق قال فقال له سيدى أبو العباس السمع والطاعة لسيدى قال سيدى أبو العباس فذهبنا اليه واشتغلنا عليه وتلقينا عنه الذكر وأخذنا عنه الطريق وصرنا نتردد اليه حتى انتفعنا به وكان يأمرنى بملازمة سيدى ويقول لى لا تفارقه ولا تنفك عن خدمته فان لك الخيرة فى ذلك وكان يقول لى ذلك سرا رحمه الله ونفعنا به قلت وسيدى شهاب الدين بن الميلق أخذ عن الشيخ سيدى أبى العباس المرسى وسيدى الشيخ أبو العباس المرسى أخذ عن سيدى أبى الحسن الشاذلى وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى يقول محمد الحنفى خامس خليفة بعدى قال لى سيدى أبو العباس كان والدى رحمه الله يأمرنى بملازمة سيدى وبخدمتى له ونفقتى عليه من ماله وكنت كلما أمرنى الفقيه الذى قرأنا عليه القرآن بملازمة سيدى وخدمتى له أخبر والدى بذلك وكان قاضيا حنفيا ذا مال عظيم وكان حسن الاعتقاد فى سيدى شديد المحبة له وكان سيدى فقيرا من المال مع ان والده الشيخ حسن قد ملك مالا كثيرا من التجارات حتى انه كان يقول لو غرزت هذه الجريدة فى مالى لغابت من كثرته وكانت له حربة يتوكأ عليها عند الكبر قال سيدى ولم انتفع من ماله بشئ ولا بالدرهم النمر ولم أعرف ما السبب فى هلاك ذلك المال ولم أقف له على خبر ولا على أثر ونقل عن سيدى رحمه الله انه كان يقول رحم الله والد سيدى أبى العباس وعفا عنه وجزاه عنى خيرا فانه كان يأمر سيدى أبا العباس بخدمتى وبالانفاق على من ماله مدة حياته حتى توفاه الله تعالى ووضع سيدى أبو العباس يده على تركته وكان قد ترك مالا جزيلا له صورة فصار سيدى أبو العباس ينفق على من ماله وعمر منه الزاوية حتى انتهت عمارتها وقضى عن كثير من المدينين ديونهم وذلك باذن منى وهو مع ذلك كثير الخدمة لى ولم يخرج عن أمرى ولم يعد نفسه الا فقيرا من الفقراء فجزاه الله عنى كل خير قلت وكثيرا

ما كان سيدى أبو العباس يترضى عن سيدى ويقول وقع لى مع سيدى أمر عظيم حتى انى والله لو رأيت بعده رجلا وضع احدى رجليه على الارض والثانية فى سماء الدنيا ما أعتقده كاعتقادى فى سيدى رحمه الله وذلك انه قال لى يوما يا أبا العباس ان كنت صادقا فيما بايعتنى عليه فاخبرنى مابقى معك من مال والدك الذى ورثته منه فقلت له والله ياسيدى بقى معى منه ثمانون ألف درهم فضة فقال ان كنت صادقا فيما بايعتنى عليه فاذهب الى البحر والق ما معك من المال فيه وارجع الى وأنا جالس فى مكانى هذا حتى تعود ولا ترميه بشط البحر ولكن انزل فى شختور فاذا توسطت فى البحر فارم به واجعل المال فى كمك ثم أسقطه من كمك فى قعر البحر ففعلت سمعا وطاعة ثم قمت مسرعا من بين يديه ممتثلا أمره ومضيت الى البحر وفعلت ما أمرنى به سيدى فلما أسقطت المال فى البحر بحيث لا يرانى الا الله تعالى وسرت حتى وصلت الى البر ورجعت مع الناس فلما وصلت الى سيدى واخبرته بما فعلت قال لى بارك الله فيك ثم قال لى ادن منى فدنوت منه فرفع طرف السجادة التى تحته وقال لى يا أبا العباس خذ مالك الذى رميته فى البحر من تحت هذه السجادة قال فرأيت الكيس الذى رميته فى البحر تحت سجادة سيدى بعينه فأخذته ووضعته بين يدى سيدى وكل شئ فى يرعد فقال لى يا أبا العباس خذه واجعله تحت يدك للمستحقين من الفقراء والمساكين قال فاخذت ذلك المال وجعلته عمدى للمستحقين كما أمرنى سيدى فكان سيدى بعد ذلك اذا جاءه مدين أو محتاج يقول لى يا أبا العباس أعطه كذا وكذا فاعطيه ونفسى مطمئنة طيبة بذلك وصار سيدى يأمرنى بصرف ذلك المال فى وجوه الخير حتى نفد الجميع وكنت أرى لاخراجه من يدى من اللذة والراحة أكثر من امساكه فلما نفد المال قال لى يا أبا العباس هل بقى معك شئ من المال قلت لا ياسيدى فقال لى اسمع ما أقول لك قلت نعم ياسيدى قال ان كنت بايعتنى على السمع والطاعة فالبس مرقعة واخرج على قصد الشحاتة والسؤال من الناس وارجع الى آخر النهار واعرض على ما دخل عليك من شحاتتك حتى انظر اليه فقلت السمع والطاعة ياسيدى ثم قمت من بين يديه وفعلت ما أمرنى به ولبست مرقعة وخرجت على قصد الشحاتة وجعلت أدور فى الاسواق والشوارع واقف على الابواب واسأل كما تسأل الفقراء والجعيدية فكان من يعرفنى يحزن على ويرق لى فمنهم من يعطينى الدينار ومنهم من يعطينى الدرهم الفضة والدرهمين والثلاثة أو أكثر من ذلك فلما كان آخر النهار جئت الى سيدى وعرضت عليه ما دخل على فى شحاتتى من الناس فلما نظر الى قال لى يا أبا العباس ليس هذا ما أردت منك وانما أردت ان تذهب الى مواضع لا تعرف فيها وتعلق فى رقبتك مخلاة حتى يعطوك كسيرات وبصيلات وجبينات وفليسات وما أشبه ذلك فهذه شحاتة الفقراء فقلت السمع والطاعة ياسيدى ثم قمت من بين يديه وأنا فرح مسرور بما قال لى فلما أصبحت لبست مرقعة وعلقت فى رقبتى مخلاة ومضيت الى مواضع لا أعرف فيها ووصرت أدور على الابواب وأقول شئ لله حسنة لله من يتصدق على الفقير المسكين قال فيخرجون لى ما قال

سيدى كسيرات و بصيلات وفلوسات لاذهبا ولا فضة فلما كان آخر النهار رجعت الى سيدى وعرضت ذلك عليه و وضعته بين يديه فلما رآه أعجبه وقال لى يا أبا العباس هذه شحاتة الفقراء والله يا أبا العباس قد انكسرت النفس و بلغت المراد قال ففرحت بذلك فرحا شديدا وشكرت الله تعالى على ذلك ولزمت خدمة سيدى وكان عندى قبل ذلك من الكبر والعجب والشمم ما الله اعلم به فأذهب الله عنى ذلك ببركة سيدى حتى كانه لم يكن فجزى الله سيدى عنى خيرا قلت ولهذا كان سيدى رحمه الله يقول ظفرت فى زمانى كله باصاحبين ونصف صاحب فاما الصاحبان فهما سيدى أبو العباس فانه أنفق على ماله حتى لم يبق معه شى و أما الصاحب الثانى فهو الشيخ شمس الدين بن كتيلة فانه متمسك بطريقتى ومتبع لسنتى رحمهما الله تعالى وأما نصف صاحب فهو سيدى عمر صهر سيدى رحمه الله تعالى قلت ولقد أخبرنى الجناب العالى المولوى الامير سيدى تغرى بردى استاذدار السلطان قايتباى الملك الاشرف والمحب لاهل الخير المعتقد فى الفقراء أعاد الله عليه من بركاتهم وأحسن له العاقبة فى دنياه وآخرته بمحمد وآله آمين قال كنت أتردد الى سيدى أبى العباس وأنا شاب وذلك بعد وفاة سيدى الكبير رحمه الله قال وكنت أشرح عليه فى مختصر الشيخ أبى الحسن القدورى فسمعته يوما يقول وقد سأله بعض الحاضرين فقال له يا سيدى هل خصك سيدى الكبير بشئ مما تفضل الله به عليه فقال نعم والله لقد قال لى عند موته وقد سألته فى شئ من ذلك فقال لى يا أبا العباس اما ترضى ان تكون بدايتى نهايتك قلت نعم يا سيدى وانى أرجو ذلك فقال لك ذلك ان شاء الله يا أبا العباس قال ففرحت بذلك فرحا شديدا ولقد لاح لى شئ من العلامات يدل على ما قاله لى سيدى وانشرح خاطرى بذلك وارجو من الله تعالى الكمال ان شاء الله تعالى قلت والمشهور عن سيدى رحمه الله ونفع به أنه لما ظهر أمره واشتهر ذكره كان فى ذلك الوقت سيدى على بن وفاء وكان صاحب الوقت وكان قد انتهى أمره ودنت وفاته وكان سيدى فى ابتداء أمره فاتفق أن بعض الاكابر قد عمل وليمة عظيمة وجمع فيها أعيان المشايخ والعلماء والاكابر وبعض الامراء وكان من جملتهم سيدى على بن وفاء رضى الله عنه فبينما سيدى جالس فى زاويته على باب خلوته اذ دخل عليه صاحب الوليمة ودعاه الى منزله قال فاجابه سيدى للحديث الوارد عن سيد المرسلين من دعى فليجب ومن عصى فقد عصى أبا القاسم قال فركب سيدى ومضى معه الى منزله فلما وصل الى الباب سأل صاحب المنزل من اجتمع فى هذه الوليمة من المشايخ فقال له يا سيدى جماعة كثيرة ومن جملتهم سيدى على بن وفاء فقال له سيدى ادخل لسيدى على واستأذنه لنا فى الدخول فان أذن لنا فى الدخول دخلنا وان لم يأذن رجعنا فان من الادب عند الفقراء اذا كان رجل من الرجال فى مكان لا يدخل عليه الا باذنه وان دخل عليه أحد من الفقراء بغير اذنه يخشى عليه أن يسلب حاله قال فدخل عليه صاحب المنزل واستأذنه فاذن له فى الدخول فعند ذلك دخل سيدى رضى الله عنه فقام له سيدى على بن وفاء رضى الله عنه تعظيما له وقام الجماعة كلهم معه ثم ان سيدى على بن

وفاء أجلس سيدى الى جانبه وأقبل كل منهما على صاحبه يأخذ بخاطره ويلين له الكلام ثم ان سيدى على بن وفاء قال لسيدى ياشيخ شمس الدين ماتقول فى رجل رجاة الوجود بيده يدورها كيف يشاء فقال له سيدى ماتقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها ان تدور فقال له سيدى على والله كنا نتركها له ونروح عنها كل ذلك وجماعة سيدى على وجماعة سيدى يسمعون الكلام الذى حصل منهما وذكرت ستى قطر الندا ابنت الاستاذ رضى الله عنها لما سمعت هذه الحكاية أنه حكى ابن أخى الشيخ سيدى على لما سمع ذلك الكلام فقال لسيدى على كيف تعمل فقال سيدى على والله ماقلت هذا الكلام حتى رأيت رحا فى السماء الرابعة وقال يروى ان سيدى أعطى القطبانية قبل ذلك بار بعين يوما قال فلما انقضى المجلس أقبل سيدى على جماعة سيدى على وقال لهم سراودعوا صاحبكم أو قال اغتنموا استاذكم فانه عن قليل ينتقل الى رحمة الله تعالى قلت وأخبرنى سيدى يونس المعروف بابن قايتباى قال حدثنى الشيخ ناصر الدين المعروف بابن العزى قال كنت مجاورا بزاوية سيدى تحت نظره فبينما أنا نائم فى خلوتى ذات ليلة واذا سيدى ينادينى ويقول ياناصر الدين ياعزى قال فعرفت كلام سيدى فقمت اليه مسرعا وخرجت من الخلوة ومضيت اليه ووقفت بين يديه وقلت نعم ياسيدى فقال لى فى هذه الساعة امض الى الحارة التى تعرف بالحر نفش واستخبر عن وفاة سيدى على بن وفاء وائتنى بالخبر فقلت سمعا وطاعة وخرجت مسرعا فى المشى حتى وصلت الى باب الجهة المذكورة فرأيت عبدين واقفين فى العطفة وبيد كل واحد منهما سيف مسلول قال فوقفت خوفا منهما وقلت أدركنى ياسيدى محمد ياحنفى قال ثم خرجت من بينهما فلم يتحرك أحد منهما فلما وصلت الى بيت سيدى على بن وفاء سمعت البكاء والصراخ وقائلا يقول فى بيته واسيداه واسيداه فعلمت أنه انتقل الى رحمة الله تعالى فقلت انا لله وانا اليه راجعون ثم رجعت من وقتى مسرعا فى المشى حتى وصلت الى سيدى فقال لى ياناصر الدين تخبرنى أم أخبرك فقال لى والله لو مد أحد العبدين يده اليك لقطعت فقلت ياسيدى كيف علمت بموت سيدى على فى هذه الساعة فقال سمعتها تفايقول لى ياممحمد ولينالك ما كان بيد سيدى على بن وفاء زيادة على مابيدك فقلت مايكون ذلك الا بعد وفاته قال وبلغنى أيضا عن رجل أثق به قال دخل الى القاهرة رجل له حال وقد أشكل حاله على الناس وذلك انه كان يمد يده الى الهواء فيقبض منه الدراهم والدنانير فبلغ الشيخ الحنفى ذلك فطلب ذلك الرجل فاحضروه بين يديه فقال له سيدى أكرمنا بشئ مما فتح الله به عليك قال فقبض قبضة من الهواء وأعطاه السيدى قال فعدوها فاذا هى ثمانون دينارا فقال له سيدى زدنى فقبض وأعطاه دونها ثم قال له زدنى ثم قبض قبضة وأعطاه دون ذلك فقال له زدنى فقبض فلم يقع بيده شئ فقال له سيدى ان خزائن الله لا تنفد ثم أمر به فضرب وأخرج من بين يديه وقد سلب حاله قلت وكان بمصر العتيقة رجل شريف يعرف بالشريف النعمانى بمدرسة تعرف بالنعمانية وكان من أصحاب سيدى وكان يحضر ميعاد سيدى كل جمعة يأتى ماشيا من مصر العتيقة الى زاوية سيدى بسويقة السباعين وقد رأيته وعليه سجادة خضراء

وهو مطيلس بشملة من الصوف وهى أيضا خضراء وكان رجلا طويل القامة أبيض اللون خفيف اللحم سريع المشى ذا هيبة ووقار فجاء هذا الشريف المذكور يوما الى سيدى فسلم عليه وجلس بين يديه وقال له ياسيدى لقد رأيت فى هذه الليلة مناما وأريد أن اقصه على سيدى فقال له سيدى قص ما رأيت وبالله التوفيق فقال له ياسيدى رأيت كأنى بناحية بركة الحبش وفى ذلك المكان خيام منصوبة وبينهم خيمة عظيمة يخرج منها نور عظيم وسمعت قائلا يقول الخيمة الكبيرة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما سمعت ذلك هرولت اليها قاصدا نحوها فلما وصلت اليها رأيت النبى صلى الله عليه وسلم جالسا وأبو بكر وعمر بين يديه قال فاستأذنته فى الدخول فاذن لى فدخلت وأنا أقول الصلاة والسلام عليك ياسيدى يارسول الله فلما وصلت اليه قبلت يديه وسلمت عليه فرحب بى وتبسم فى وجهى ثم تأخرت وجلست قريبا من أبى بكر وعمر بعد ان سلمت عليهما فلما كان بعد هنيهة واذا بجماعة قد أقبلت وقائل يقول هذا عبد القادر الجيلانى فلما وصل الى الخيمة استأذن فى الدخول على النبى صلى الله عليه وسلم فاذن له فدخل وهو يقول الصلاة والسلام عليك ياسيدى يارسول الله فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم سلم على أبى بكر وعمر وتأخر وجلس مواجها للنبى صلى الله عليه وسلم فبعد هنيهة جاءت جماعة أخرى واذا بقائل يقول هذا السيد أحمد بن الرفاعى ففعل كما فعل سيدى عبد القادر فلما كان بعد ساعة أخرى قليلة واذا بكبكبة عظيمة وجماعة كثيرة وقائل يقول هذا محمد الحنفى فلما وصل الى النبى صلى الله عليه وسلم فعل كما فعل سيدى عبد القادر وسيدى أحمد بن الرفاعى فلما جلس التفت النبى صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وعمر فقال لهما انى أحب هذا الرجل الاعمامته الصماء أو قال الزعراء وأشار اليك ياسيدى بيده فقال أبو بكر الصديق يارسول الله أتأذن لى ان أعممه فقال له نعم قال فاخذ أبو بكر الصديق عمامة نفسه وجعلها على رأس سيدى وجعل عمامة سيدى على رأسه وأرخى لها عذبة عن يساره وألبسها السيدى ثم استيقظت وعندى من السرور ما الله اعلم به قال فبكى سيدى وبكى من حوله من الاصحاب وفرحوا السيدى بذلك قال فلما هدأ بكاؤهم قال سيدى للشريف النعمانى صاحب الرؤيا ياسيدى أريد منك شيأ فقال ياسيدى وما تريد قال أريد منك اذا رأيته مرة ثانية ان تأتينى من عنده بامارة يطمئن بها قلبى فقال السمع والطاعة قال ثم ان الشريف النعمانى استأذن سيدى ومضى الى مكانه بمصر العتيقة فلما كان بعد ميعاد سيدى حضر الشيخ الشريف لسماع الميعاد على عادته فلما فرغ سيدى من الميعاد قال له سيدى ما جرى لك ياسيدى فى الحاجة التى أرسلتك فيها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال والله ياسيدى لقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وقلت له ان عبدك سيدى محمدا الحنفى يسأل فضلك فى امارة فقال له نعم قل له امارة الصلاة التى تصليها عليه فى الخلوة قبل غروب الشمس وهى اللهم صل على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما علمت وزنة ما علمت وملء ما علمت ومداد كلماتك قال فلما سمع سيدى ذلك

رفع صوته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ عمامته من على رأسه وأخرج لها عذبة وصار كل من حضر ذلك المجلس ينزع عمامته من على رأسه ويرخي لها عذبة فكان ذلك اليوم يوما مشهودا وصار سيدى اذا ركب الى الروضة أو الى القرافة يرخي العذبة بعد ما كان يركب بالطيلسان ثم ان الشريف النعماني رأى النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى وهو يقول له أخبر محمدا الحنفي اني أرسلت له رجلا من الرجال من أهل الصعيد يبشره بصحة الرؤيا وقلت له قل لمحمد الحنفي يعمل لعمامته عذبة قال فاخبر الشريف النعماني سيدى بهذه الرؤيا الاخرى ثم ان الرجل الصعيدى وصل بعد ذلك وأخبر سيدى برؤياه فوافقت الرؤيا الرؤيا ثم ان سيدى رضى الله عنه رأى في منامه كانه في الروضة وهو راكب على فرس وهو سائر بين خيام مضروبة فسأل سيدى عن تلك الخيام فقيل له هذه خيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنزلت عن الفرس وجعلت أمشي بين تلك الخيام حتى وصلت الى الخيمة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلت عليه قلت الصلاة والسلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم مد ذراعيه وضمني اليه واعتنقني وأجلسني بين يديه ثم قال لي يا محمد يا حنفي والله اني أحبك وقد ضمنت لك على الله الجنة فقلت له يا رسول الله ولاصحابي فقال ولاصحابك وأصحاب أصحابك وأصحاب أصحاب أصحابك حتى عددت له أربعين مرة وهو يقول وأصحاب أصحابك وأنا أعد على أصابعي ثم استيقظت من منامي وأنا فرح مسرور بما بشرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرت به أصحابي ولله الحمد على ذلك قلت ومن جملة الامور التي اشتهر بها سيدى وشاع بها أمره ما وقع له مع الملك الناصر فرج بن برقوق وهو ما أخبرني به سيدى أبو الغيث بخل سيدى الشيخ شمس الدين العارف بالله تعالى المعروف بابن كتيلة رحمه الله ونفع به أنه قال كان بالقاهرة رجل يعرف باستادار باش وكان استادار الملك الناصر فرج ابن برقوق وكان رجلا ظالما يرمي الرمايا على المسلمين وكان ذلك في زمن سيدى المشار اليه وكان سيدى كل من جاء اليه وشكى منه بسبب الرميات التي يرميها عليهم يأمره بأن تعاد الرمايا اليه ويجعلوها على بابه فشق ذلك عليه فطلع الى السلطان الملك الناصر بن برقوق وتمثل بين يديه وحل وسطه وقال له يا مولانا السلطان لا ينبغي أن يكون بالقاهرة سلطانان فقال له السلطان ما الخبر فقال هذا الشاب الذي ظهر الذي يقال له محمد الحنفي وكان ذلك في مبدا أمر سيدى يعارضني في أمور المملكة كلما أردنا أمرا نستعين به على مصالح العسكر يعارضنا فقال السلطان على به الساعة قال فنزل في طلب سيدى جماعة من القلعة فاجتمعوا بسيدى وقالوا له السلطان طلبك فقال سيدى السمع والطاعة لله ولرسوله ثم لولي الامر وقال شدوا الفرس وركب سيدى رحمه الله حتى دخل على السلطان وهو جالس على كرسي مملكته فحضر جمال الدين الاستادار المذكور وتظلم ورفع صوته بالكلام وأغلظ على سيدى بحضور السلطان فقال سيدى للاستادار آلله أمرك بظلم

عباده

عباده حتى تظلم عباده فقال ايش كنت انا وأشار الى السلطان قال فتغير السلطان على الاستادار لكونه نسبه الى الظلم فطرده فى الحال وقال أخرجوه من بين يدى فاخرجوه من وقته فالتفت السلطان الى سيدى وقال المملكة لى أولك فقال سيدى رحمه الله ليست المملكة لى ولا لك الملك لله الواحد القهار ثم قام سيدى من المجلس متغير الخاطر فركب وخرج من القلعة الى ناحية منية السيرج فدخل السلطان الى بيته فحصل له ورم فى محاشمه فى الوقت فطلب الاطباء فوصفوا له ماء الخيار فجعلوه فى بواط ونزل فيه السلطان محاشمه فما ازداد عليه الامر الا شدة وكلما استعمل منه ازداد أمره فقال بعض خواصه العقلاء هذا بتغير خاطر سيدى الشيخ الحنفى فعند ذلك قال السلطان على به اطلبوه لاطيب خاطره فنزل الامراء والاكابر لسيدى الى الزاوية فلم يجدوه ففتشوا عليه حتى عجزوا فاخبروا ان سيدى بمنشأة المهرانى فوجدوا سيدى فى بيت له هناك فوقفت الخلق والامراء على الباب وسيدى فى الخلوة لم يظهر لهم من بكرة النهار الى الظهر هذا والسلطان فى أمر مريح من زيادة الالم فاعلموا السلطان بالموضع الذى فيه سيدى فامر السلطان لسيدى بهدية من الذهب والفضة فجعلوها فى اطباق نصف الطبق ذهب ونصفه الآخر فضة وأوصلوها الى الاستاذ وقالوا له ياسيدى خذ بعض هدية للفقراء فاعادها سيدى الى السلطان وقال لهم قولوا له الفقراء محتمون من ذلك فصار الامراء يترددون بين السلطان وبين سيدى ففى آخر مرة أرسل له سيدى رغيفا مبسوسا فى زيت طيب وقال لهم قولوا له كل هذا تبرأ باذن الله ولا يكون لك بالعادة يلج آذانك فيها اشتهر أمر سيدى وظهر وشاع ذكره ولله در القائل

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الا على أكمه لا يعرف القمرا

قال سيدى أبو الغيث وهذا ما سمعته من لفظ سيدى الوالد رحمه الله من فيه الى اذنى قلت ولقد بلغنى أيضا ان سيدى لما حضر عند السلطان الملك الناصر وحضر الاستادار أيضا قال الاستادار للسلطان أنظر ياسيدى الى وجهه أحمر من كثرة الذهب فقال سيدى للسلطان يكذب هذا العبد النحس وأما السلطان فلم يتكلم بكلمة قال فعند ذلك قال سيدى أما السلطان فقد حصل له نصيبه واما هذا يعنى الاستادار فقد انقضت ساعته قلت ولقد بلغنى أيضا ممن حضر المجلس عند السلطان من اوله الى آخره ان السلطان لما أمر باخراج الاستادار من بين يديه التفت الى سيدى وقال له أنت سلطان أم أنا فقال سيدى لا أنا سلطان ولا انت سلطان السلطان من ليس لاحد عليه ولاية وهو الله تعالى فقال السلطان المملكة هى لى أولك فقال سيدى ليست المملكة لى ولا لك قل اللهم مالك الملك الى قوله قدير وقرأ سيدى الآية الى آخرها ثم قال واما أنت ان كنت عادلا فانت كالشجرة المثمرة يستظل الناس بظلك وظلك هو عدلك ويأكلون من ثمرتك وثمرتك احسانك وخيرك لرعيتك وان كنت جائرا فانت كالشجرة التى ليس لها ظل ولا ثمر فانظر فى أمر نفسك ان كنت على هذه الحالة قال ثم قام سيدى من

عند السلطان متغير الخاطر وركب من وقته فلحقه السلطان وضربه بعود من الخيزران كان
معه قيل ضربتين وقيل ثلاث ضربات فعند ذلك رفع سيدى الى السماء يده ووجهه وقال
اللهم فاشهد ثلاثا فما حصل للسلطان ما حصل ورجع اليه حاله بأكل الرغيف الذى أرسله
سيدى اليه مبسوسا بزيت طيب واشتهر أمر سيدى بذلك وصار اذا لام بعضهم بعضا على أمر
لم يفعله يقول له يعنى ينغاظ الحنفى وشاعت هذه الكلمة بين الناس وجرت مثلا الى الآن
وبعد ذلك وهى فى السنة الناس يقولونها ويتفوهون بها وأخبرنى بعض أعيان التجار
وكان يعرف بالقاضى جمال الدين بن فضيل قال كنت حضرت هذه الواقعة ولى من العمر
ما يزيد على عشرين سنة فكنت أسمع الناس يقولون الشيخ الحنفى دعا على السلطان
قال ومازال متغيرا على الاستادار واعلم ان هذا الاستادار هو جمال الدين الذى بنى مدرسة
الجمالية التى بالقرب من خانقاه سعيد السعداء ومن حبس الرحبة حتى سجنه فى السجن
وصادره وأخذ منه مالا جزيلا وآخر الامر انه أرسل اليه وهو فى السجن وقطع رأسه
وأخبر السلطان بذلك فقال لا أصدق حتى أنظرها فحملوها اليه فى طبق حتى وضعوها بين
يديه وكشفوا له عنها حتى نظرها ثم قال احملوها للشيخ الحنفى واخبروه بما وقع فحملوها
فى ذلك الطبق حتى وضعوها بين يدى سيدى رحمه الله قال فولى سيدى برأسه عنه وأمر
برفع الطبق من بين يديه وهو يقول اللهم لا تجعل تدميرنا فى تدبيرنا قال فأمر الاستاذ
بدفنها فذهبوا بها فدفنوها مع جثته فى مدرسته آنسه الله بما يستحق والله اعلم وأما ما كان
من أمر الاستادار فانه لما غضب عليه السلطان واخرجته المماليك من بين يديه وذهب
الى بيته وحصل للسلطان ما حصل ورد الله عافيته استدرك الاستادار فارطه فارسل الى
سيدى بشكارة فضة فقال سيدى أبو العباس يا سيدى ما لنا حاجة منه بشئ فقال له
سيدى يا أبا العباس لان يعطيك الله على يد من يعاديك خير لك واعز بقاء من ان يعطيك على
يد من يواليك ثم جعل سيدى يأخذ الفضة بيديه وينثرها بين الناس ويقول لهم يا عباد الله
خذوا من رزق الله فان للمسلمين فيه حقا فانه من بيت المال وأرسل سيدى يقول له يا يوسف
هذا لم يغن عنك من الله شيأ فان السهم قل نفذ ما بقى يرد وكان الامر كذلك قلت ومن أعجب
ما وقع لسيدى انه كان جالسا وقت السحر والمؤذنون على المنارات ينزهون الله تعالى
ويسبحونه وكان سيدى أبو العباس جالسا بحضرة سيدى اذ سمعوا طارقا يطرق باب
الدرب فالتفت سيدى الكبير الى سيدى أبى العباس وقال له قم يا أبا العباس وانظر من
الطارق فان كانت ابنة جمال الدين الاستادار فأعطها ألف درهم ولا تتركها تدخل الينا قال
أبو العباس فقمت ومضيت الى باب الدرب وقلت من هذا فقالت يا سيدى انا ابنة جمال
الدين الاستادار جئت أطلب من سيدى شيأ بطريق الصدقة فقلت لها اصبرى حتى أجئ
اليك ثم دخلت الى سيدى فاعلمته بها فقال أعطها ما أمرتك به واصرفها قال فدخلت الى
بيتى ووزنت لها ألف درهم ودفعتها اليها وقلت لها حلت البركة وغلقت الباب ورجعت الى

سيدى رحمه الله ونفع به هكذا أخبر سيدى أبو العباس عن سيدى الكبير فرضى الله عن سيدى ونفع به آمين قلت وكان من أعوان الاستادار جمال الدين المشار اليه رجل يسمى شمس الدين بن بدر الدين وكان متحملا عنه بجهات من الضمان فاتفق انه قد انكسر فى جهاته واجتمع عليه مال كثير للاستادار جمال الدين حتى انه ما وسعه الا الهروب قال فاستشار بعض أصحابه فى ذلك فاشار عليه أن يمضى الى زاوية سيدى ويشكو اليه حاله قال فمضى اليه وكتب له قصته فى ورقة وقدمها اليه بعد أن سلم عليه وكان سيدى فى ذلك الوقت حوله جماعة وفيهم أبو العباس وبيده السبحة الكبيرة وهى الموجودة وهو يريد أن ينشرها بين الجماعة بحضرة سيدى قال فلما فعل سيدى أبو العباس ذلك وأعطى رأس السبحة لسيدى على جارى العادة قال سيدى لشمس الدين بن بدر الدين اجعل هذه القصة تحت السبحة حتى تدور عليها وتفرغ منها قال فوضعها تحت السبحة حتى فرغ سيدى من أمرها فعند ذلك قال له ياسيدى شمس الدين ان شئت تقعد فى الزاوية وان شئت تروح الى أى موضع اخترت ولا تبال بأحد قال فاقت بعد ذلك مدة سنة ما كانى فى الدنيا ولا للاستادار بى علم ولا لاحد من جهته فبعد مضى السنة بينما أنا مار فى بعض الشوارع اذا بالاستادار راكب مع جماعته اذ وقع نظره على فقال لبعض من معه أمسكوا هذا قال فمسكونى فامر بى الى الحبس فحبسونى قال فادركتنى صلاة الظهر فقلت للسجان دعنى أصلى الظهر فقال ما أقل عقلك أنت فى حبس الاستادار ومقيد فى الحديد كيف نمكنك من صلاة الظهر حتى تهرب قال فسكت فلما كان صلاة العصر أردت ان أصلى فمنعونى فلما كان وقت صلاة المغرب منعونى أيضا فلما كان وقت العشاء أردت ان أصلى العشاء فمنعونى فقال رجل من السجانين دعوه يصلى ولا تخافوا فانه ما يقدر يهرب والباب مغلوق فاذا توضأ وصلى عاد الينا قال فقمت الى الابريق فاخذته ودخلت الى بيت الراحة فقضيت حاجتى وأردت ان أخرج فلحقتنى عبرة وتذكرت الزاوية فبكيت واستنجدت بسيدى فوالله ما أشعر بنفسى الا وأنا فى زاويته ليلا فتوضأت من الفسقية وقضيت الصلاة التى فاتتنى فلما أصبحت صليت صلاة الصبح مع الجماعة وتقدمت الى سيدى فقبلت يده فلما رآنى قال لى لا تخف ما عليك شر قال فاقت بعد ذلك سنة أخرى فبينما انا ماش فى بعض الشوارع بعد مضى السنة واذا بالاستادار كما رأيته أول مرة فامر بمسكى قال فمسكونى وقال لى تأكل مال السلطان وتهرب وتتجاهى فى الحنش ثم قال خذوا هذا معكم حتى اطلع به الى السلطان واحليه يحكم فيه قال فوضعوا فى يدى الحديد قال فلما كان يوم الموكب طلع بى الى بين يدى السلطان وشكانى اليه قال فنظر الى السلطان ساعة ثم قال للاستادار ايش بقى مع هذا تأخذه أطلقه فما عليه شئ قال فاطلقنى فرجعت الى زاوية سيدى وأخبرته بما وقع مع الاستادار ومع السلطان فقال الله الحمد والمنة ما بقى عليك سبيل قلت ومازال شمس الدين بن بدر الدين ملازما لسيدى مجاورا بالزاوية وهو يقرأ القرآن قائما وقاعدا وماشيا وليس له شغل غير قراءة القرآن وكان سيدى أبو العباس يعطيه حمار

الزاوية ويقول له اركب واذهب الى تحت الربع واشترحباشا الطعام الفقراء فكان هذا دأبه الى أن مات رحمه الله وكان كثير الاوراد والصلاة بالليل محافظا على صلاة الضحى وغيرها وسمعته يوما يقرأ فى صورة ص وهو يقول اركض برجلك هذا مقرأها بفتح الراء فقلت ياسيدى شمس الدين برجلك بكسر الراء فقال ماهى بكسر الراء فاعدت عليه الكلام فلم يسلم الى حتى قال لسيدى أبى العباس فقال الصواب معى فرجع واعتذر وصار يودنى من ذلك اليوم رحمه الله وعفا عنه ومات فى زمن الاشرف أيضا وكانت قصة شمس الدين بن بدر الدين مع جمال الدين الاستادار قبل أن يقع لسيدى ما وقع له مع الملك الناصر فرج بن برقوق والله أعلم بالصواب

(الباب الثانى)

فيمن أخذ عن سيدى من المشايخ ومن انتمى اليه وعرف به فمن ذلك ما أخبرنى به سيدى أبو العباس الكبير المعروف بالحنفى وبالسرمى الشاذلى خادم سيدى الاستاذ الكبير الشيخ العلامة القطب الغوث الفرد الجامع شيخ مشايخ العارفين مربى المريدين وعمدة السالكين أبى الاخلاص سيدى محمد التيمى الشاذلى الحنفى تغمده الله برحمته وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه وكان سيدى أبو العباس جالسا بزاوية الاستاذ الكبير المشار اليه أعلاه بعد صلاة العصر وبعد الفراغ من قراءة الحزب والربعة الشريفة من يوم الخميس المبارك التاسع عشر من شهر ربيع الآخر عام سبع وأربعين وثمانمائة وكان ذلك بعد الانتقال بالوفاة للاستاذ رحمه الله تعالى وكان من جملة من حضر كلام سيدى أبى العباس الشيخ ناصر الدين الفرز وشهاب الدين ولده والشيخ شهاب الدين المؤذن والشيخ بدر الدين البرهمتوشى والجناب العالى المرحوم الشيخ عمر الركنى صهر سيدى الكبير المشار اليه فيه والجناب العالى المرحوم سنقر المهمندار خادم السبحة وغيرهم قال سيدى الشيخ العارف بالله تعالى مجد الدين اسماعيل نجل سيدى الكبير نفع الله المسلمين ببركته كنت من جملة السامعين أن الاستاذ أقام فى درجة القطبانية ستا وأربعين سنة وثلاثة أشهر وأياما وهو القطب الغوث الفرد الجامع هذه المدة ثم قال سيدى أبو العباس ومما يؤيد مقالتى هذه حكاية أحكيها لكم اتفقت لى مع الاستاذ تغمده الله برحمته وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته وأخذ يقول كنا فى صحبة سيدى يوما على شاطئ النيل المبارك وكنا جماعة ومن جملتنا الشيخ أحمد الطيار وقد أراد سيدى التوجه الى الآثار الشريفة فى قارب لطيف وقد غربت الشمس لاستهلال شهر الله المحرم الحرام عام ثمانمائة ونحن فى المركب فنظر الاستاذ الى الهلال وقال لا اله الا الله محمد رسول الله روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ثم قال اقرؤا الفاتحة واسألوا الله تعالى ان أكون ذلك الرجل قال فقرأنا وبسطنا أيدينا ودعونا الله سبحانه وتعالى فاطرق سيدى ساعة فغشى عليه زمانا حتى

ظننا أنه قد انتقل ثم مضت ساعة وقد فاق من غشوته فرفع رأسه وقال من يبايعني منكم قال سيدى أبو العباس أنا يا سيدى ثم قال امدد يدك فمددت يدى اليه فكنت أول من بايع سيدى قال سيدى اسماعيل هذا ما حكاه الجماعة وأنا أسمع ذلك كله وكان الشيخ شهاب الدين المؤذن حاضرا وكان له فى عقيدة فقال لى أحضر وريقة واكتب هذه الحكاية فقمت واحضرت ورقة وكتبتها فى يومها قلت وكان لسيدى من العمر فى ذلك الحين سبع وعشرون سنة قال وانما فتح على سيدى بالقطبانية بعد ان تسلك على يد سيدى الشيخ الكبير والامام النحرير العالم العامل العلامة الورع الصالح صاحب المكارم ناصر الدين بن الميلق أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وسيدى الشيخ ناصر الدين المشار اليه أخذ واقتدى بسيدى الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ شهاب الدين بن الميلق والشيخ شهاب الدين بن الميلق أخذ واقتدى بعارف وقته الشيخ العارف بالله تعالى القطب الغوث الفرد الجامع سيدى أبى الدر ياقوت العرشى أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاتهم أجمعين قال وانفظم سيدى على يد الشيخ ناصر الدين المشار اليه ومن الفقراء من يتسلك على يد رجل وينفظم على يد غيره وسبب ذلك موت الشيخ الاول أو غيبته غيبة منقطعة أو غير ذلك ثم ان سيدى ناصر الدين بن الميلق أخذ عن سيدى شهاب الدين بن الميلق جده لامه ثم ان سيدى شهاب الدين أخذ عن سيدى ياقوت العرشى وهو أخذ عن سيدى أبى العباس المرسى وهو أخذ عن سيدى أبى الحسن الشاذلى وهو أخذ واقتدى بعارف وقته السيد الشريف الحسيب النسيب القطب الغوث الفرد الجامع ابى محمد عبد السلام بن بشيش بفتح الباء الموحدة وشين معجمة مكسورة وياء مثناة تحتية ساكنة ثم شين معجمة ابن منصور بن ابراهيم الحسينى ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب وكان عبد السلام بن بشيش مالكى المذهب صوفيا وابن بشيش أخذ عن عارف وقته السيد الحسيب النسيب الشيخ الكبير القطب الغوث الفرد الجامع أبى محمد عبد الله الحسنى المدنى العطار المعروف بالزيات وهو صحب واقتدى بعارف وقته الشيخ الصوفى الذى لقب نفسه القطب تقى الدين الفقير بالتصغير فيها وذلك بارض العراق وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب فخر الدين ويسمى هذا الرجل أولا بسيدى نجم الدين وسموه أصحابه بهذا الاسم وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب نور الدين أبى الحسن على وهو صحب واقتدى بالشيخ تاج الدين وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب شمس الدين بارض الترك وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب زين الدين القزوينى وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب أبى اسحاق ابراهيم المصرى وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب أبى القاسم محمد المروانى وهو صحب واقتدى بابى محمد فتح المسعودى وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب سعد الغزوانى وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب جابر وهو صحب واقتدى بابى الاقطاب محمد بن الحسن السبط الشهيد المسموم ابن على بن أبى طالب سبط سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

أخذ واقتدى بجده سيدنا محمد سيد الاولين والآخرين وامام المتقين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين وأما نسبة سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فهو الشيخ الامام الاوحد قطب الزمان والحامل فى وقته لواء أهل الاعيان العالم بالله تعالى والدال عليه زمزم الاسرار ومعدن الانوار القطب الفرد الغوث الجامع علم المهتدين زين العابدين سيدى تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن وردن بن بطال بن أحمد بن محمد ابن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه

(فصل)

فى ذكر شئ من مناقب المشايخ الذين انتمى اليهم سيدى على سبيل الاختصار فمن ذلك ما حدثنى به الشيخ خضر المعروف بابن النقيب الرفاعى الرازقى العدل الرضى الصديق قال سمعت بعض الفقراء يقول عن سيدى الشيخ شهاب الدين بن الميلق رضى الله عنه انه كان عنده رجل ناسخ يعرف بالخطيب الطوخى وكان مقدما عند الشيخ قال فبينما الخطيب الطوخى جالس بين يدى سيدى الشيخ شهاب الدين بن الميلق اذ قال له يا خطيب انى أراك تتعب فى مد القلم من الدواة فقال والله يا سيدى ان الدواة تارة تكون صعبة وتارة تكون هينة فقال له يا خطيب ناولنى القلم الذى تكتب به قال فدفع القلم الى الشيخ قال فاخذه الشيخ منه وأخرج من جيبه سكينا وبرأ بها القلم ودفعه الى الخطيب الطوخى وقال له اكتب بهذا القلم بكل مدة كراسة قال فلما سمع الخطيب ذلك من الشيخ تعجب وسكت ولم يرد على الشيخ جوابا ظنا منه ان الشيخ أراد أن يقول له ورقة فقط فقال كراسة فقال له الشيخ مالك سكت قم وافعل ما أمرتك به قال فنهض الخطيب وقدم الدواة ومد منها القلم وكتب بتلك المدة كراسة قال وشاع ذلك الامر بين أصحاب الشيخ فتعجبوا عجبا عظيما فقال بعضهم ان هذا القلم كان عند الشيخ مدخرا ويمكن أن يكون هو القلم الذى أهداه جبريل الى معاوية كاتب الوحى من الجنة فوصل الكلام الى الشيخ فدعاهم اليه وقال لهم ائتونى من عند أحدكم بقلم قال فاحضروا له قلما فبرأه وأعطاه للخطيب وقال له اكتب بهذا القلم بكل مدة كراستين قال فكتب بكل مدة كراستين قالوا وشاع خبر القلم بين الناس حتى كثرت أصحاب الشيخ وصار الشيخ يهرب من الناس ولم يظهر لهم الا قليلا قلت ثم انه حضر ابن النقيب الذى أخبرنى بذلك وقال فى أثناء كلامه وكيف لا يكون الامر كذلك وقد كان شيخه الشيخ ياقوت العرشى يقول آه يا دهشة يا حيرة يا حرف لا يقرأ وذلك لما يعلم الشيخ من حال شهاب الدين بن الميلق رضى الله عنه قلت ومما وقع لسيدى ياقوت العرشى وهو شيخ سيدى محمد بن اللبان والشيخ شهاب الدين بن الميلق رضى الله عنه أنه كان جالسا بزاويته بالاسكندرية اذ سقطت بين يديه عمامة وصارت تترجم وتشير اليه برأسها والشيخ يقول له اما يحصل الاخير ثم ان الشيخ طلب الغلام وقال له شد الفرس فقال له سمعا وطاعة قال ثم ذهب الغلام فشد الفرس واحضرها الى الشيخ

قال فركب سيدى ياقوت وقال للیمامة تقدمى قدامى قال فطارت الیمامة قدام الشيخ وتبعه الغلام ببعض شئ من الزاد ومازال الشيخ سائرا والیمامة بين يديه طائرة الى أن دخلت قدامه الى جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه قال فدخل الشيخ الى الجامع فلما جلس طلب خدمة المسجد فلما حضروا بين يديه قال لهم ادخلوا اطلبوا المؤذن فلان قال فاسرعوا وأحضروه الى الشيخ فاذن له بالجلوس فلما جلس بين يديه قال له سيدى ياقوت أنت يحل لك من ديان يوم الدين كلما رأيت هذه الیمامة تحضن أولادها وتربيهم حتى يريشوا وتفرح بهم تأخذهم أنت وتذبحهم وتأكلهم والله لئن عدت الى مثل ذلك لم يحصل لك معى خير فقال ياسيدى مابلغك عنى من الیمامة فهو صحيح وأنا أستغفر الله تعالى ولا أعود الى مثل ذلك وكان ذلك كله بحضرة الیمامة قال فتقدمت الیمامة عند الشيخ ووضعت منقارها على يد الشيخ كانها تقبل يده قال فعند ذلك بكى الشيخ وبكى كل من كان حوله وكانت ساعة عظيمة ثم ان الجماعة التابعين للاستاذ احضروا لسيدى ياقوت ماتيسر من المأكول قال فأكل معهم سيدى ياقوت وكذلك الغلام ثم ان سيدى ياقوت قرأ سورة الفاتحة لسيدى عمرو بن العاص ودعا وودع الجماعة وخرج من الجامع وركب وسار قال فخرجت معه الیمامة تطير قدامه كانها تشيعه فقال لها ارجعى يامباركة لاتكافى خاطرك وكونى فى أمان الفقراء فما عاد يحصل لك ان شاء الله تعالى الاخير قال فرجعت الیمامة الى وطنها ورجع سيدى ياقوت الى الاسكندرية نفعنا الله به وببركاته فى الدنيا والآخرة قلت ومن بعض كرامات سيدى أبى العباس المرسى شيخ سيدى ياقوت العرشى انه كان يقول هنيأ لمن رآنى أو رأى من رآنى أو رأى من رأى من رآنى الى سبع ولو شئت لاطلقت يعنى الى يوم القيامة وروى ان أهل ثغر الاسكندرية كانوا فى خفارة سيدى أبى العباس المرسى بل وأهل مصر كلهم فحصل عند أهل الثغر خوف شديد وكانوا أمروا من طرف الحاكم بأخذ الاسلحة والاستعداد للحرب فبلغ ذلك سيدى أبا العباس المرسى فقال سبحان الله العظيم مايأتى الى الديار المصرية عدو فى هذه السنة ولا فى التى بعدها الى أن وصل الى سبع سنين ثم قال ولا مادمت حيا فلما كان فى مرضه الذى توفى فيه غشى عليه ثم أفاق وكان عنده جماعة ثم قال لهم العدو على دمياط فقالوا له ماسمعنا من هذا شيأ فقال نعم كذا قيل لى ولكنه مايطلع الى البر حتى أموت قال فعند ذلك طلعوا من عند الاستاذ وتوجهوا الى متولى الثغر فاخبروه بماذكره الشيخ فقال ماعندنا من هذا علم فلما أصبح الصباح دخل عليهم المتولى المذكور وأخبرهم ان البطاقة قد وصلت من دمياط وان العدو على ساحلها ولم يمكنهم الريح من النزول الى البر حتى انتقل الشيخ الى رحمة الله تعالى قال فلما توفى الشيخ نزل العدو الى البر وكان من كراماته بعد وفاته انه كان بالثغر امرأة حامل فمات الولد فى بطنها وتعسر خروجه وأقامت يومين وليلتين فى شدة حتى اختلط عقلها ويئست من الحياة قال وكان لها قريب كان صاحب الشيخ فاخذ وقت وفاته من الشيخ طاقية فوضعها على

بطنها وسأل الله بحرمة صاحبها ان ييسر عليها أمرها فتحرك الولد فى بطنها فما زالت القابلة تتمعه بالطاقية حتى رمته فى الوقت وروى أن سيدى عبد القادر الجيلانى كان يقول هنيأ لمن رآنى أو رأى من رآنى الى يوم القيامة ومن بعض كرامات سيدى أبى الحسن الشاذلى شيخ سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنهما أنه قال رأيت كانى أطوف بالكعبة طالبا من نفسى الاخلاص وأنا أفتش عليه فى سرى فاذا بالنداء من قبل الله تعالى ياعلى تدندن مع من يدندن وأنا السميع القريب العليم الخبير وتعريفى يغنيك عن علم الاولين والآخرين ماخلا علم الرسول وعلم النبيين وقال رضى الله عنه رأيت كانى مع النبيين والصديقين فاردت ان أكون معهم ثم قلت اللهم اسلك بى سبيلهم مع العافية فيما ابتليتهم فانهم أقوى ونحن أضعف فقال لى قل وما قدرت من شئ فايدنا كما أيدتهم وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه رأيت كانى بين يدى العرش فقلت يارب فقال لبيك فقلت يارب فاهتز العرش فقلت يارب فاهتز اللوح المحفوظ والقلم فقلت أسألك العصمة وأعوذ بك من دواعى النفس والهوى والشهوة والشيطان والدنيا فانهن يسقطن من أعلى عليين الى أسفل سافلين فى أسرع من لمح البصر وأنت أعلم بذلك ولا حول ولا قوة الا بك فقيل لى لك ذلك وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم مناما وهو يقول لى أربع لا ينفع معهن الفقه لا قليل ولا كثير وهم حب الدنيا ونسيان الآخرة وخوف الفقر وخوف الناس والله أعلم (تنبيه واستدلال) اعلم أنه قد بلغنا عن سيدى رضى الله عنه أنه أخذ الطريق عن سيدى ناصر الدين بن الميلق رضى الله عنه والشيخ ناصر الدين أخذ عن جده لامه الشيخ شهاب الدين بن الميلق والشيخ شهاب الدين بن الميلق أخذ عن الشيخ العارف بالله تعالى سيدى أبى الدر ياقوت العرشى ورفيقه الشيخ شمس الدين بن اللبان والشيخ شمس الدين بن اللبان أخذ عن سيدى ياقوت العرشى أيضا وسيدى ياقوت العرشى أخذ عن سيدى أبى العباس المرسى والشيخ أبو العباس أخذ عن سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم أجمعين ثم بلغنا أيضا أن سيدى أخذ ثانيا عن سيدى شهاب الدين بن الميلق وهو أخذ عن سيدى شمس الدين بن اللبان وهو أخذ عن سيدى ياقوت العرشى وهو أخذ عن سيدى أبى العباس المرسى وسيدى أبو العباس المرسى أخذ عن سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم أجمعين قلت ومما يؤيد الرواية الثانية أيضا ما رأيته فى بعض الكتب عن الشيخ شهاب الدين بن منصور حازم الدين الدمياطى قال أخبرنى غير واحد من أصحاب سيدى أبى العباس المرسى أنه قال طوبى لمن رآنى أو رأى من رآنى الى سبع مرات قال فسألت عن ذلك الشيخ شهاب الدين بن الميلق تلميذ الشيخ تاج الدين بن عطاء الله قال أخبرنى شيخى تاج الدين بن عطاء الله أنه سمع الشيخ أبا العباس المرسى يقول ذلك وزاد على ذلك ولو شئت لاطلقت يعنى من غير عدد فهذه الرواية الثانية يؤيدها قول سيدى المشار اليه أنا خامس خليفة بعد سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى

الله

الله عنه فان سيدى ان كان أخذ عن سيدى شهاب الدين بن الميلق يكون ذلك موافقا لقول سيدى أنا خامس خليفة وان كان أخذ عن الشيخ ناصر الدين بن بنت الشيخ شهاب الدين بن الميلق يدل على أن سيدى يكون سادس خليفة ويكون مناقضا لقول سيدى أنا خامس خليفة فالمرجح حينئذ الرواية الثانية لانها موافقة لقول سيدى رضى الله عنه فعلى كلا الروايتين سلسلة سيدى متصلة بسيدى أبى الحسن الشاذلى من غير شك ولا ريب والخلاف المذكور لا يمنع اتصال سلسلته بسيدى أبى الحسن فانه كان رضى الله عنه حنفى المذهب شاذلى الفقراء قلت وسمعت سيدى رضى الله عنه يقول فى بعض مواعيده ان الله سبحانه وتعالى قد أطلعنى على مقام سيدى عبد القادر الجيلانى وعلى مقام سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما فوجدت مقام سيدى أبى الحسن الشاذلى أعلى مقاما من مقام سيدى عبد القادر الجيلانى ثم قال وذلك ان سيدى عبد القادر سئل يوما فقيل له يا سيدى من شيخك فقال فيما مضى كان شيخى سيدى حماد الدباس واما الآن فاستقى من بحرين بحر النبوة وبحر الفتوة يعنى بحر النبوة النبى صلى الله عليه وسلم وأما بحر الفتوة فهو سيدى على رضى الله عنه قال وسئل سيدى أبو الحسن الشاذلى فقيل له من شيخك فقال اما فيما مضى فكان سيدى عبد السلام بن بشيش وأما الآن فاستقى من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية أما السماوية فجبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل والروح وأما الارضية فالنبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين

(الباب الثالث)

فى ذكر أحواله وطريقته وكيفية صحبته مع أبناء الدنيا من أرباب المناصب وذوى المراتب الدينية والدنيوية على سبيل الاختصار فنقول وبالله التوفيق اعلم أنه تقدم فى الباب الاول أن سيدى رحمه الله تعالى كان ميعاده يوم الثلاثاء ثم اقتضى رأيه أن يكون يوم الاحد لان فى ذلك مخالفة للنصارى لعنهم الله فانهم يجتمعون فى كنائسهم على كفر وضلال ويحسبون أنهم على شئ الا انهم هم الكاذبون فقصد سيدى أن يكون ميعاده يوم الاحد حتى يجتمع المسلمون على ذكر الله عز وجل وعلى توحيده وتنزيهه ويسبحون الله تعالى ويهللونه ويكبرونه ويعظمونه ويسمعون كلامه القديم الذى أنزله على قلب سيد المرسلين وامام المتقين ويأخذون تفسيره من مثل سيدى رحمه الله ويسمعون مواعظ وحكما تدهش عقولهم وتحير أفكارهم وتهديهم الى فعل الخيرات وتشوقهم الى الطاعات ويأخذ كل منهم مشروبه من كلام سيدى ويجعلون كلامه حجة فى أعمالهم ويلتمسون ألفاظه ويقتبسون أسراره لان كلام سيدى رضى الله عنه كان شفاء لصدورهم وتوسيعا لعقولهم ويديمون ذلك الى قريب الظهر وتارة الى بعد الظهر فلا يقوم أحد منهم وعليه ذنب من الذنوب ولقد حضرت له مجلسا يوم الاحد وكان فى زمن الشتاء وكان ذلك اليوم كثير المطر فجاء فى

ذلك اليوم خلق كثير دون العادة حتى ان سيدى رحمه الله جعل يقول من مشى فى هذه الامطار وسمع هذه الاسرار حتى حصل للناس وجد عظيم وطرب من كلام سيدى حتى ان منهم من غشى عليه ومنهم من صاح ومنهم من قام ورقص وتواجد حتى وقع من غير اختياره وغاب عن حسه ولم يرجع اليه حاله حتى انقض الناس من الميعاد وكثر الصراخ والضجيج فى ذلك اليوم دون العادة وكل ذلك من فضل الله تعالى ثم من بركة سيدى رحمه الله وكانوا اذا خرجوا من ميعاده يقول بعضهم لبعض ما نظن ان أحدا يخرج من ميعاد سيدى الا وهو تائب أو يقوم الا وهو مغفور له ومنهم من يقول والله نشتهى أن يكون ميعاد سيدى فى كل يوم فان كلام سيدى لا يمل أحد من سماعه ولقد حضرته فى بعض مواعيده وهو يفسر فى قوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وكان سيدى جوهرى الصوت وكان كلامه يخرج من صميم قلبه فيزعج القلوب قلت فرفع سيدى صوته وقال ياهذا اعلم أن الذى شبك الكلب مع الكلبة قادر أن يشبك الزانى مع الزانية فى حال زناه ثم قال سيدى فى أثناء كلامه هاه هاه فلقد رأيت الخلق كثر صراخهم وصياحهم وضجيجهم ومنهم من صار يتمرغ على الارض كل ذلك وسيدى طارق برأسه مستغرق متفكر فى ذلك الامر الذى قاله للناس وكلما رأوا سيدى ساكنا متفكرا كلما كثر وجدهم واشتد بهم الامر وزاد صراخهم وعلى ضجيجهم فلما سرى عن سيدى ما كان به جعل يتكلم للناس فى اليوبة وما يحصل للتائب من الخير والثواب اذا رجع الى الله تعالى وأصلح ما بينه وبين الله تعالى حتى ذهب عن الناس ما نزل بهم ورجع الى كل ذى حال حاله وكان يوما مشهودا أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته بجاه محمد وآله آمين قلت ورأيت أمرا عجيبا وذلك انى أردت الحج الى بيت الله الحرام سنة من السنين وكنت عند سيدى فى زاويته فخطر ببالى ان أسأله فى أمر الحج وأستأذنه فى ذلك فقلت له ياسيدى كان العبد يريد أن يسافر الى الحجاز فى هذه السنة قال فسكت عنى ساعة طويلة ثم قال لى اذا صليت العشاء صل بعدها ركعتى الاستخارة ونم وانظر ما يقع لك فى نومك قال فامتثلت أمر سيدى وفعلت ذلك ثم نمت فرأيت فى تلك الليلة كانى واقف عند خلوة سيدى ورأيت سيدى جالسا فيها ورأيت الكعبة طائفة به فلما رأيت ذلك صرخت صرخة عظيمة فاستيقظت من نومى وعندى مما رأيت أمر عظيم ثم قمت وتوضأت وصليت ركعتين على باب خلوة سيدى فلم أشعر الا وسيدى قد خرج الى الزاوية فقمت اليه وقبلت يده فقال لى يا أبا العباس ما وقع لك فى هذه الليلة فسكت فقال الشأن لمن يطوف بالكعبة أو لمن تطوف به الكعبة فقلت ياسيدى لمن تطوف به الكعبة قال فوضع يده على صدرى فسكن ما بى وذهب عنى ما كنت أجده وحكى لنا أحمد البطينى الفقير وسيدى أحمد المعروف بابن الشنيف وكان من أهل الدين والصلاح قالا كنا بالجنينة التى كانت بالروضة وكان بها مكان يعرف بدار البقر قال فدخلناها فى الليل فوجدنا فيها رجلا نائما وهو يئن كالحزين فأخذناه وجئنا به الى سيدى فلما رآه سيدى قال ما الذى جاء بك الى هذا

المكان فان بيوت الاولياء لا يجوز علمها أحد الا باذن صاحبها وأنت لما تقدمت سقطت فى دار البهائم لكن تب الى الله تعالى ثم علمه كلمات فلما قالهن رد الله عليه حاله فقام عند ذلك وشال فى الهواء ونحن ننظر اليه حتى غاب عنا ومما أخبرنا به الشيخ شمس الدين المعروف بالمجدى وكان من أصحاب سيدى قديما قال كنت راكبا مع سيدى بجملة جماعة كثيرة وكنت قريبا منه على يمينه وكنت أحب القرب منه فالتفت الى سيدى وقال ياشمس الدين قد خطر لى خاطر وهو انى أريد ان أزور اخواننا من سكان البحر فى هذه الساعة وأعود الى الجماعة فقلت له ياسيدى انا الجماعة يكونون مع سيدى قال لا ولا أعلمهم بشئ فقلت ياسيدى وكيف يكون ذلك فقال لى اشتغل بالذكر وقل الله الله قال فاشتغلت بالذكر ساعة طويلة حتى غبت عن حسى فلما أفقت رفعت رأسى الى سيدى لاراه على الفرس فلم أره ورأيت الفرس واقفة والناس كلهم واقفون باهتون يظنون ان سيدى راكب على حاله يخيل لهم انه معهم قال فعلمت أن سيدى ذهب الى البحر فلما رأيت ذلك هالنى وغبت عن حسى والناس كلهم ساكتون مطرقون رؤسهم الى الارض قال فلما رجع الى حالى التفت الى جهة البحر فرأيته مقبلا من ناحية البحر على حاله حتى وصل الينا وركب الفرس وسار وسارت الناس ولم يعلموا ما الخبر ولا كيف السبب ونسوا ذلك جملة كافية ولم يعلم بذلك أحد من الجماعة غيرى ولم أتكلم بذلك لاحد من الناس الا بعد انتقاله الى رحمة الله تعالى قلت وأخبرنا الشيخ شهاب الدين المعروف بابن المسدى وكان اماما بزاوية سيدى قال خرجت يوما من الايام الى صلاة الظهر لاصلى بسيدى فرأيت فى طريقى امرأة جميلة فوقع نظرى عليها فملأت عينى بالنظر اليها حتى اشتغل قلبى بذلك فلما دخلت الى الزاوية توضأت وجلست انتظر ظهور سيدى فاذا بسيدى قد ظهر واقيمت الصلاة فقمت لادخل المحراب فاشار الى سيدى ان ارجع فرجعت وصلى سيدى أبو العباس فلما جاء وقت العصر فعل كذلك فلما جاء وقت المغرب فعل كذلك فلما جاء وقت العشاء فعل كذلك فعلمت أن سيدى فعل ذلك لعلمه بحالى مع المرأة فندمت على ما فعلت وما ساعنى الا أنى غبت فى الزاوية على باب خلوة سيدى فلما كان آخر الليل ظهر سيدى فقمت اليه ونزلت على قدميه أقبلهما وأبكى فقال لا تعد الى مثلها فقلت ياسيدى تبت الى الله تعالى وندمت على ما فعلت ومن أعجب ما رأيته فى تلك الليلة أنه كان قدم على سيدى رجل من بلاد المشرق وكان قد أعطى من الكرامة أنه كان معه زنبيل أعنى مقطفا فكان كلما أراد شيأ من المأكول أدخل يده فى ذلك الزنبيل وأخرج منه ما اشتهاه باذن الله تعالى قال فلما دخل الى مصر وقع له ما وقع معى فكان يدخل يده فى الزنبيل فلا يجد شيأ مما اشتهاه وأقام على ذلك يومين لم يأكل شيأ فشكى حاله لبعض الفقراء فقالوا له عليك بسيدى محمد الحنفى فجاء الى سيدى وشكى له حاله فامره ان يدخل خلوة من الخلاوى التى على ظهر خلوة سيدى أحمد المغربى وعلمه أسماء يقولها ولا ينام ليلته فلما اجتمعت انا بسيدى تلك الليلة وتبت على يديه مما وقع منى قال لى

يا أحمد لا تعد الى مثلها وقد رددنا عليك حالك وعلى هذا الرجل الذى فى الحلوة ثم قال ادعه الى قال فصعدت اليه ودعوته الى سيدى فقال له قد رددنا عليك حالك ولا تعد الى مثلها فقال ياسيدى تبت الى الله تعالى ثم ودع سيدى وسافر الى حيث شاء الله ثم أخبرنى الشيخ نور الدين الشاذلى شيخ الزاوية المعروفة بالخلصية بصندفا قال كانت عند سيدى امرأة تسمى بركة وكانت قائمة بخدمة منزله وكان لها أوراد وصيام وقيام وذكر واستغفار وغير ذلك قالت كنت ذات ليلة نائمة على باب خلوة سيدى التى تنفذ الى المنزل فبينما أنا نائمة اذ سمعت سيدى يتنجر ويتقلق ويتأوه ويقول آه آه ويكرر ذلك وقد كنت سمعته يوما من الايام يقول ان القطب اذا تقطب تحمل بهموم أهل الدنيا كالسلطان اذا تسلطن بل أعظم فلما سمعته يتقلق ويتنجر كأنه حامل حملة ثقيلة قلت فى نفسى أظن سيدى تقطب فى هذه الليلة فان هذه الحالة التى هو فيها تدل على ما أخبرنا به قالت ولم أستطع ان أكتم ذلك واذا بزوجة سيدى قد خرجت من بيتها فلما رأيتها قمت اليها فاخبرتها بحال سيدى فسمع سيدى كلامى لها فنادى يا بركة فقلت نعم ياسيدى قال ما هذا الكلام الذى تقولينه لها والله يا بركة ان القطبانية قد أعطيت لنا ونحن شباب وأخبرنى الشيخ نور الدين الخلصى قال زرت سيدى رضى الله عنه فى بعض السنين وكانت زوجتى بصحبتى وكان اسمها مرحبة وكانت اذا دخلت بيت سيدى وسلمت عليه يقول لها مرحبا بك يا مرحبة فتنزل على قدميه وتقبلهما وتبكى قال وكانت رحمها الله ذات صلاة وقيام أكثر منى حتى كانت تقول لى فى نصف الليل قم بنا نصلى فى هذا الليل ما تيسر لعلنا نلحق بالقوم فاقوم الى الصلاة فقالت لى كنت فى بيت سيدى فطلعت من السلالم التى جانب خلوة سيدى لحاجة أقضيها فبينما أنا طالعة اذ رأيت طاقة نافذة على خلوة سيدى فنظرت منها فرأيت سيدى جالسا متربعا مستقبل القبلة فأطلت النظر اليه فرأيته قد علا وارتفع وعظمت جثته وصارت تكبر حتى ملأت الخلوة بجميع أركانها وأقام على تلك الحالة ساعة طويلة ثم جعل يصغر قليلا حتى عاد الى حالته الاولى قالت فلما رأيت ذلك ذهل عقلى وتحيرت فى أمرى ثم سمعته يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ثم خرج من باب الخلوة قال فاسرعت فى النزول حتى أدركته قبل ان يظهر الى الزاوية فلما أدركته قبلت يديه ولم أستطع ان أكتم ما رأيته فقلت ياسيدى رأيت كذا وكذا ثم غلبنى البكاء فبكيت حتى انفحمت قالت فوضع يده على صدرى فسكن ما بى فلما هدأ ما بى قال لى يا مرحبة أنت رأيتينى من أين قلت ياسيدى من تلك الطاقة قال فالتفت الى جاريته وكان اسمها فرجة وقال لها يا فرجة سدى هذه الطاقة ولم يزد على ذلك ثم ظهر الى الزاوية قال وكان فى زمن سيدى رجل من أعيان المباشرين وجبابرتهم وكان يعرف بابن النمار وكان جبارا عنيدا فظلم رجلا واعتدى عليه فجاء الرجل المظلوم الى سيدى واخبره بان ابن النمار ظلمنى واعتدى على فأرسل سيدى قاصدا يعرف بعبد الرحمن السويفى فى شفاعة ذلك الرجل وقال له اخبره وقل له يا قاضى يقول لك سيدى

ارفق بالمسلمين وأحسن اليهم واذكر وقوفك بين يدى الله تعالى قال فخرج السويفى مسرعا نحو ابن النمار فلما وصل اليه قال له ما أمره به سيدى قال فكتب اليه ابن النمار ورقة يقول له فيها ان كنت شيخا فاقعد فى زاويتك ولا تدخل بين المباشرين والفلاحين قال فلما خرج السويفى من عند ابن النمار بالورقة وقرأها سيدى مزقها بيده قطعا قطعا ثم التفت سيدى الى السويفى وقال له ارجع اليه واطلع عنده على دكته وقف عن يساره وأمسك أذنه بيدك اليمنى وقل له برفيع صوتك ولا تخف منه يا ابن النمار فانا قد كففنا يده عنك وعقدنا لسانه عن جوابك يقول لك محمد الحنفى قد مزقنا كما مزقنا ورقتك ولو كان على طرفك ألف بسطامى وسوف نذكر بعد ذلك معنى هذا الكلام قال الشيخ عبد الرحمن السويفى فقمت من عند سيدى مسرعا بقلب أقوى من الحديد حتى دخلت على ابن النمار وهو جالس على دكته فلما وصلت اليه طلعت على دكته والناس ينظرون الى فوقفت عن يساره ومسكت أذنه بيدى اليمنى وقلت له يا ابن النمار يقول لك سيدى قد مزقنا كما مزقنا ورقتك وكانت الورقة معى ممزقة فنثرتها بين يديه وعلى رأسه قال فبهت ولم ينطق بكلمة واحدة ثم خرجت من عنده فلم يقدر أحد ان يتبعنى من أعوانه حتى وصلت الى سيدى واخبرته بما وقع منى فوالله ما كانت الا ساعة يسيرة حتى أرسل السلطان هدادين يهدون داره فلم يشعر ابن النمار بنفسه الا والمساحى عملة فى الدار وصارت خربة ومسك ابن النمار وصودر وأخذ ماله وأمر به الى السجن من يومه ذلك وأما كلام سيدى ولو كان فى طرفك ألف بسطامى فان ابن النمار كان مستندا لجماعة من الفقراء يعرفون بالبسطامية ولهم شيخ يعرف بالبسطامى وكان رجلا مباركا ومن بركته أنه قال لولده اذبح لنا غنما واطبخ لنا طعاما كثيرا ومد سماطا فى وسط الزاوية وكان ذلك بالليل فانه سيرد علينا جماعة يأكلون ذلك الطعام قال فامتثل ولده أمره وفعل ذلك ومد الطعام فى وسط الزاوية وكان ذلك بالليل فلما كان بعد ساعة طويلة واذا بفقراء جاؤا فى الهواء من الطيارة وتساقطوا من الهواء فى الزاوية وقعدوا حول السماط فقال الشيخ كلوا وادعوا الولدى قال فأكلوا فلما فرغوا تقدم اليهم ولد الشيخ وقبل أيديهم واحدا بعد واحد الى أن وصل الى كبيرهم المشار اليه فدعا له بخير وقبل فى فمه ثم ارتفعوا ثانيا فى الهواء وذهبوا فكان الشيخ يتكلم بالاسرار الربانية من بركة تلك التفلة ومع ذلك لم ينتفع ابن النمار بشئ من بركة شيخه ومات ابن النمار بالجوع والفقر فى السجن واخبرنى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله ونفع به قال أخبرنى سيدى أبو الخير ولد سيدى الكبير قال عزم بعض الاكابر على سيدى فركب سيدى معه الى منزله وكان قد صنع له طعاما ووضع فيه سما وخلطه بالطعام وقدم الاناء المصنوع بالسم بين يدى سيدى لعلمه ان سيدى لا يجسر أن يأكل معه أحد فلما أكل سيدى من ذلك الطعام أحس بالسم ثم بعد انقضاء تلك العزومة قام سيدى وركب ورجع الى منزله فى الزاوية وكان قد بقى من ذلك الطعام بقية وكان لذلك الامير ولد ان فاكل مما بقى من ذلك الطعام بغير علم

أيهما فماتا بعد ثلاثة أيام وعوفى سيدى من ذلك السم ولم يضره شئ واخبرنى سيدى محمود ولد سيدى الكبير قال كانت عندنا جارية فى البيت تسمى بركة وكانت مباركة محافظة على الصلوات الخمس ولها صيام وقيام وأوراد قد تقدم ذكرها قال سمعتها تقول كنت يوما أصب على يد سيدى ماء للوضوء وهو يتوضأ فورد عليه وارد ومد يده الى فردة قبقابه فاخذها ونهض قائما على قدميه وصرخ باعلى صوته وقال الله أكبر ورمى بها فى الهواء من داخل الخلوة ولم يكن فى الخلوة منفذ ولا كوة واختفت الفردة عن بصرى ولم أعلم من أى موضع خرجت ثم جلس سيدى على دكة الوضوء وأطرق رأسه الى الارض ساعة فلما رجع اليه حاله رفع رأسه وقال لى يا بركة خذى رفيقة تلك الفردة واجعليها عندك حتى تجيئها رفيقتها بعد أيام قلائل قالت فاخذتها منه ووضعتها عندى فلما كان بعد عشرة أيام أو أكثر جاء رجل من التجار من سفره من ناحية الشام وكان من أصحاب سيدى فسلم على سيدى ودفع اليه هدية تليق به وأخرج تلك الفردة التى رمى بها سيدى فى ذلك الوقت وقال له يا سيدى المال مالك قد خرجت عنه لسيدى والله يا سيدى لولا أدركتنى بركتك لكنت هلكت فقال له سيدى احك لى ما جرى لك قال يا سيدى خرج على لص من اللصوص وكنت منفردا عن الركب فهجم على وأخذنى فطرحنى على الارض وقعد على صدرى وأخذ سكينا ووضعها على صدرى ليذبحنى بها فالهمتنى القدرة ان قلت يا سيدى محمدا يا حنفى هذا وقتك فلم أشعر يا سيدى الا وهذه الفردة جاءت فى الهواء وسمعت سيدى يقول الله أكبر الله أكبر فوقعت الفردة على صدر اللص فانقلب على الارض ميتا ونجانى الله منه ببركة سيدى وقد خرجت عن المال والفائدة لسيدى وما هو كثير وقد سلمت من الهلاك وسلم مالى فقال له سيدى يا فلان للفقراء الفائدة ورأس المال يرجع اليك ولا تخالف قال فخرج التاجر من منزله وسار يحاسب نفسه على الفائدة حتى جمعها وجاء بها الى سيدى فدعا سيدى الفقراء المجاورين وفرق ذلك عليهم ولم يأخذ منهم درهما واحدا رضى الله عنه ونفع به وأخبرنى سيدى محمود أيضا قال كان فى زمن سيدى أمير عشرة يعرف بالمناطح فكان كل من نطحه برأسه كسر رأسه وكان ذا قوة وشدة وكان الملك الاشرف يحب أن يفعل ذلك بين يديه ويناطح المماليك فيغلبهم ويقهرهم فاتفق ان رجلا جاء الى سيدى يشكو اليه من ذلك المناطح وكان قد حصل للرجل منه تشويش وضرر فارسل سيدى اليه ليشفع عنده فى أمر ذلك الرجل فلم يقبل له شفاعة وغلبت عليه الشقاوة والعناد والطغيان حتى قال للقاصد قل لشيخك والله ان لم تقعد وأنت عاقل والا يجئ اليك وينطحك يكسر رأسك فجاء القاصد وقال لسيدى ما قاله الامير فقال له سيدى ارجع اليه وقل له يقول لك سيدى محمد الحنفى خذ حذرك الليلة هذه فانه يجيئ اليك وينطحك فاحترس على نفسك وكن على حذر قال فلما قال له القاصد ذلك بهت ساعة عظيمة ولم يرد جوابا فرجع القاصد الى سيدى وأخبره بذلك قال فلما دخل الليل على الامير دخل عليه الوسواس بسبب كلام الشيخ فبينما هو كذلك اذ عرض

عليه عارض فصاح صيحة عظيمة وقام من فرشه وكشف عن رأسه وجعل ينطح بها الحيطان حتى كسر رأسه وسال دمه على وجهه وثيابه وهو لا يشعر بنفسه الى أن وقع على الارض وجعل يتقلب ويصرخ كالثور فاطلع النهار عليه حتى هلك وأخذه الله أخذ عزيز مقتدر وبلغ السلطان الاشرف ان الامير المناطح هلك وقد أخبروه بما جرى له مع سيدى رحمه الله تعالى (استطراد) وقد تقدم قبل ذلك أن بركة الخادمة لما كانت تخدم فى البيت وكثرت خدمتها لسيدى ودامت على ذلك كتب لها سيدى وعقد عقده عليها ولم يعلم بحالها أحد من أهل البيت وأمرها سيدى ان تكتم أمرها عن أهل البيت فلما كبرت طلقها سيدى فشق ذلك عليها فلما صعب عليها فراق سيدى تكلمت بذلك وأخبرت نساء سيدى بذلك فقال لها يا بركة ما قلت لك لا تخبرى أحدا بما وقع بيننا روحى أقعدى فى موضعك وكان لها موضع معين تقعد فيه فرجعت الى ذلك الموضع فجلست فيه ولم تعلم ما أراد سيدى بقوله لها أقعدى فى موضعك فلما قعدت فى ذلك الموضع أرادت ان تقوم فما استطاعت القيام وصارت مقعدة الى أن ماتت رحمها الله وكان لها امرأة تصحبها تسمى مريم الطويلة فقالت لها يوما يا مريم قولى لسيدى جاريتك المسكينة بركة تسأل فضلك ان تأذن لها فى القيام قال فجاءت مريم الطويلة وقالت لسيدى ذلك فقال لها قولى لها قومى فرجعت فرحة وقالت لها قال لك سيدى قومى قال فهمت بالقيام فقامت منتصبة وأرادت أن تمشى فما استطاعت فرجعت مريم الى سيدى فاخبرته بذلك فقال لها ما سألتينى الا فى القيام ولم تسألينى فى المشى والسهم اذا خرج من القوس لا يرد ومازالت مقعدة الى أن انتقلت بالوفاة الى رحمة الله تعالى ومما أخبرنا به سيدى أبو العباس رضى الله عنه قال كان سيدى رضى الله عنه يقرئ ثلاثة نفر من الجن على مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه وأقام على ذلك مدة طويلة قال فجاؤا يوما من الايام فى غير وقت الميعاد وكان سيدى فى ذلك الوقت يقرئ جماعة وهو مشغول بهم فلما أحس سيدى بمجئ الجان التفت الى سيدى عمر صهره زوج ابنته وقال له يا عمر اذهب اليهم وأقرئهم فانى مشغول بغيرهم قال فذهب سيدى عمر اليهم واقرأهم فى بيت سيدى نيابة عنه ومما وقع لسيدى عمر ان امرأة من الجن هوته فكانت تتردد اليه وتقرأ عليه القرآن فقالت له يوما يا سيدى أريد ان أتزوج بك قال فقلت لها حتى استأذن سيدى فانى لا أفعل شيأ بغير اذنه ثم قال انه ذهب الى سيدى واستأذنه فى ذلك فقال له لا يجوز هذا فى مذهبنا لاختلاف الجنسية فرجع اليها واخبرها بما قال سيدى فقالت له ان كان ولا بد فتكون ضيفنا ولو ساعة من النهار قال فاستأذنت سيدى فاذن لى وقال لى امض معها ولا تخف فرجعت اليها وأخبرتها بذلك ففرحت ثم انها قالت لى غمض عينيك يا سيدى قال فغمضت عينى فلم أشعر بنفسى الا وأنا واقف بين يدى ملكهم قال فلما رآنى أهل بى وفرح بى وبرؤيتى وأجلسنى بجانبه وقدم لى مأكولا فلم آكل منه شيأ فقال لى كل ولا تخف فان هذا من بيت سيدى محمد الحنفى فكل منه فاكلت منه وكان ذلك من طعام الفقراء قال فلما فرغت من الاكل قال لى

لم لا تتزوج بهذه المرأة التي هي من جهتنا فقلت والله أيها الملك ان سيدي أخبرني ان هذا لا يجوز في مذهبنا فقال الملك لا اعتراض على سيدي فيما قال نفعنا الله ببركته

قال سيدي عمر وكان الملك جالسا على كرسيه ووزيره عن يمينه وحوله جماعة من أعيان الجن قال فالتفت الملك الى وزيره وقال له صافح سيدي عمر باليد التي صافحت بها النبي صلى الله عليه وسلم قال فصافحه ثم التفت الي وقال لي قد أذنت لك أن تصافح سيدي محمدا الحنفي بدلا عنه وعني وتسأله لنا الدعاء ثم ان الملك التفت الى تلك المرأة وقال لها أوصلي سيدي عمر الى موضعه كما كان قال وجعل الملك يتعطف بخاطري ويقول لي اسأل لنا الدعاء من سيدي وصار يودعني هو ومن حوله ثم قالت لي تلك المرأة غمض عينيك قال فقبضت على تلك المرأة بيدها وطلعت بي الى منزلي ولم أر منها الا كل خير ثم ذهبت الى حال سبيلها ثم بعد ذلك توجهت الى سيدي فاخبرته بجميع ما وقع لي مع الملك فقال لي هات يدك وصافحني قال فصافحت سيدي بيدي فكان بين يدي سيدي وبين النبي صلى الله عليه وسلم يدان يدي ويد الوزير وكانت المدة التي بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الوزير ثمانمائة سنة قلت وأخبرني الفقيه نور الدين المعروف بالمجولي وكان من أصحاب سيدي شمس الدين بن كتيلة قال أخبرني سيدي ان مما وقع لسيدي الكبير رحمة الله عليه انه كان راكبا ذات يوم الى الروضة في جماعة كثيرة من الاتراك والقضاة والتجار والاعيان وهو في كبكبة عظيمة واذا بابن البارزي كاتب السر على أيام السلطان الشيخي وبصحبته ناظر الخاص ومعهما بعض جماعة وهم قاصدون الى مصر العتيقة فلما جاوزوا سيدي ورأوا ما معه من الخلائق والرؤساء والاتراك وغيرهم تعجبوا من ذلك وقال كاتب السر لناظر الخاص أما ترى الى هذا الرجل أي شئ ترك هذا للسلطان ما هذه طريقة الفقراء فقال له ناظر الخاص ما لك والاعتراض على الفقراء سلم للفقراء أحوالهم فقال له كاتب السر لابد ما أرسل اليه وأعاتبه في هذه الساعة وأنت تنظر ثم دعا ركبداره وقال له اذهب الى الشيخ وقل له يقول لك كاتب السر ما هذه طريقة الاولياء هذه طريقة الملوك قال فذهب له الركبدار وقال له ياسيدي ان القاضي كاتب السر يقول لك هذه الطريقة التي أنتم فيها ما هي طريقة الاولياء هذه طريقة الملوك قال فالتفت اليه سيدي وقال له قل لاستاذك أنت معزول قال فرجع الركبدار اليه وقال له ذلك فانقبض خاطره وندم ندما عظيما قال فالتفت اليه ناظر الخاص وقال ما قلت لك لا تتعرض للفقراء ثم ان ناظر الخاص قال للركبدار بالله يا ولدي امض الى الشيخ وقل له العبد يستغفر الله في حق سيدي قال فمضى الركبدار الى سيدي وقال له ذلك قال فقال له سيدي يا ركبدار يقول لك محمد الحنفي أنت معزول عزلا مؤبدا فرجع الركبدار من طريقه على الفور الى منزله فما قعد غير ساعة يسيرة الا وقاصد السلطان أتى الى كاتب السر وقال له يا قاضي يقول لك السلطان الزم بيتك فانت معزول فما زال معزولا حتى قتله الملك المؤيد الشيخي فنعوذ بالله من ذلك وأخبرني سيدي أبو المحامد ولد سيدي محمود ولد سيدي

رحمه الله قال أخبرتني الوالدة رحمها الله قالت اهدت لي امرأة هدية ومن جملتها أترجة كبيرة صفراء فاقع لونها فاقمنا مدة نتمتع برؤيتها ورائحتها حتى انهبطت فشققناها وأكلناها قالت وانقطعت عن سيدي الطلبة الذين كانوا يقرؤن عليه وهم ثلاثة أنفس كما تقدم فلما أكلنا تلك الاترجة وذهبت رائحتها من البيت جاؤا الى سيدي يطلبون القراءة عليه فقال لهم سيدي ما الذي قطعكم عنا قالوا ياسيدي رائحة الاترج قطعتنا عنكم فاننا لا ندخل بيتا فيه رائحة الاترج فلم نقدر ان نشم رائحته قالت وكانت زوجة مهتار السلطان عندنا في ذلك اليوم قالت فحكيت لها حكاية الترجة وقالت لسيدي ياسيدي والله اني أخاف من الجن خوفا عظيما حتى كأني متبوعة منهم وكان قصدي أن أقول لسيدي على هذا حتى يفيدني شيأ منه اذا قلته أو فعلته انقطع عني الخوف منهم ثم قالت ياسيدي ومن يلقى الاترج كل يوم ولعله ينقطع في غير أوانه فقال لها سيدي اجمعي نواه واتخذيه سبحة فانه ينفعك قالت ففعلت ذلك فنفعني وذهب عني الخوف منهم وذلك ببركة سيدي رحمة الله عليه ومما بلغنا عن سيدي ابي العباس رضي الله عنه أنه قال كنا يوما مع سيدي رضي الله عنه في قارب قاصدين الى الروضة فلما توسطنا البحر وصرنا بين الروضة اذ نزل سيدي الى البحر بثيابه وسجادته على كتفه وهو يقول لنا الميعاد بيني وبينكم بر الروضة ثم سقط في البحر وغاب عنا فلما رأينا ذلك اذهلت عقولنا وتحيرنا في أمورنا ووقع النجيج بيننا ثم رجعنا الا نفسنا وقلنا لصاحب القارب اقذف الى البر وعجل قال فاسرع في القذف حتى وصلنا الى بر الروضة واذا بسيدي قد طلع من البحر ومعه ثلاثة رجال وسجادة سيدي على كتف واحد منهم ولم تبتل ثيابهم وصار سيدي يقول لنا سلموا على اخوانكم قال فجعلنا نسلم عليهم ونسألهم الدعاء وهم يدعون لنا ويتبسمون في وجوهنا فاقاموا عند سيدي سبعة أيام ثم استأذنوا سيدي في السفر فاذن لهم وكان آخر اجتماعنا بهم ثم قال سيدي أبو العباس لا ولا سيدي والله لقد رأيت عن سيدي أحوالا لو ذكرتها لكم وأنتم أولاده ما صدقتموني ومما وقع لسيدي رضي الله عنه أنه كان له مريد من الاتراك يسمى طوغان وكان مواظبا على حضور الميعاد وعلى قراءة الاحزاب التي ألفها سيدي لاصحابه قال فتوفي طوغان الى رحمة الله تعالى فرآه سيدي بعد ذلك في المنام وهو في سلسلة وهو بين ملكين وهما يسحبانه على الارض وقد اندلع لسانه على صدره واسود وجهه فعرفه سيدي لما رآه فقال له ياطوغان فقال نعم ياسيدي فقال مالي أراك في هذه الحالة هل أذنبت ذنبا تستحق به ما أنت فيه قال نعم ياسيدي ذنب واحد قال وما هو قال ياسيدي ان لفلان عندي وديعة وهي أربعة دنانير ذهب فجعلتهم في جفير السيف وأقمت على ذلك أياما قلائل فلما مرضت مرض الموت لم أوص بهم الى صاحبهم فجميع ما أنا فيه بسببهم بالله ياسيدي لا تنساني واسع في خلاصي قال فاستيقظ سيدي من النوم فلما صلى الصبح أرسل لوصي طوغان وقص عليه المنام فقال ياسيدي أنا أحضر لك السيف كما هو وسيدي ينتظر في هذا الامر قال فلما أحضر السيف أخذه سيدي وأخرجه من جفيره وقلب الجفير

فعرفه الدنانير منه فتعجب الناس من ذلك ثم أرسل سيدى خلف صاحب الذهب وسأله عن ماله عند طوغان فقال ياسيدى أربعة دنانير قال فدفعها اليها سيدى والناس ينظرون ويتعجبون من ذلك الامر قال فلما كانت الليلة الثانية ونام سيدى رأى طوغان على أحسن حالة كهيئته فى الدنيا بل أحسن وأجمل صورة فسأله سيدى عن حاله فقال له بخير ياسيدى ببركتك نجانى الله مما كنت فيه فجزاك الله عنى خيرا نفعتنى فى الدنيا والآخرة ومما وقع لسيدى رحمه الله ما أخبرنى به سيدى محمود ولد سيدى قال حكت لى الوالدة رحمها الله قالت كانت امرأة جارة لنا تعرف بستيت بنت اردان تتردد الينا فى حياة سيدى فجاءت الينا يوما فرأت حول سيدى جماعة من النساء الحسان لبعض الامراء والخاصكية على هيئة حسنة وجمال عظيم ولباس فاخر وروائح طيبة وهن محدقات بسيدى فلما رأت ذلك ستيت بنت اردان أنكرت على سيدى بقلبها قالت فما استتم خاطرها حتى نظر اليها سيدى وقال لها ياستيت انظرى الى جماعتك وتأملى حسنهن وجمالهن ثانيا قالت فرأيت وجوههن عظاما تلوح بلا جلد ولا لحم ورؤيتهن شنيعة قالت ففزعت من ذلك وغشى على فلما كان بعد ساعة أفقت من غشوتى وجئت الى سيدى وقبلت يده واقدامه وجعلت أبكى وأستغفر الله فقال لى سيدى والله ياستيت ما أنظر الاجانب الا كما نظرت اليهن فى هذه الساعة فلا تظنى بى الا خيرا ولولا أنك عندى عزيزة ما كان يحصل لك الا الضرر ولكن حصل خير ياستيت ان لى فى بدنك علامات علامة تحت ابطك الايمن وعلامة فى نحذك الايسر وعلامة فى صدرك وهن كذا وكذا وجعل يصف لها العلامات التى فى بدنها تحت ثيابها فقالت والله ياسيدى صدقت والله ان زوجى لم يعلم بهن الى الآن وانا أستغفر الله وأتوب اليه مما وقع منى وأخبرنى سيدى أبو الغيث عن والده الشيخ العارف بالله تعالى المحقق شمس الدين بن كتيلة نفع الله به قال كان بالمحلة رجل من الفقراء وكان مبغضا لى حتى قال يوما من الايام والله ان لم يقعد ابن كتيلة وهو ساكت فى أدبه والا قطعت مصارينه فى بطنه قطعا قال سيدى فاخبرنى بذلك رجل من المحبين قال فما وسعنى الا انى جهزت حالى وسافرت الى القاهرة الى سيدى وشكوت حالى له فقال يا محمد ما يحصل الا خير قلت فاطمأن قلبى بكلام سيدى فاقمت عنده بعض أيام فلما كان وقت سفرى جئت اليه واستأذنته فى السفر فقال لى يا محمد اذا توجهت الى المحلة لا تدخلها الا بالذكر وجز على مكانه وقل للذاكرين يرفعون أصواتهم بالذكر فسوف ترى من تقطع مصارينه قال سيدى فلما دخلت الى المحلة أخذنا فى الذكر كما أمرنا سيدى ومررنا على ذلك الفقير وهو قاعد على بعض الدكاكين ورفعنا أصواتنا بالذكر فلما رآنا وسمع الذكر أخذ الفقير فى القىء وصار يتقايأ والناس ينظرون اليه والى ما يخرج من فمه قطعا قطعا وما زال على تلك الحالة حتى وقع ميتا فى ذلك اليوم وقد تقطعت مصارينه فى بطنه وطاعت من خلفه حتى وقعت بين يديه وهو ينظر اليها ومات ولم يعلم أحد ما جرى له بعد موته الا الله سبحانه وتعالى قال سيدى أبو الغيث أخبرتنى والدتى رحمة الله عليها قالت كنت جالسة ذات

يوم بين يدى سيدى رحمه الله وأنا بنت ست سنين أو سبع سنين وكان معه سبحة يديرها
باصابعه قالت فنظرت اليها فاعجبتنى تلك السبحة ففهم منى سيدى ذلك فقال لى خذى هذه
السبحة ولدك أبى الغيث الذى تلدينه من الشيخ شمس الدين بن كتيلة فقالت ياسيدى وكيف
هذا قال نعم ترزقين منه ولدا ويقول قال أبى وقال جدى قال وكان الشيخ شمس الدين يقول
قال لى سيدى يوما يا محمد ترزق من بنتى ولدا يكون سبب دخولك الجنة قال وأخبرنى سيدى
أبو الغيث أيضا قال أخبرتنى الوالدة رحمها الله قالت احتاج سيدى رحمه الله الى جارية
تخدم فى البيت فلما يسر الله بثمنها أرسل بعض أصحابه الى سوق النخاسين يشترى جارية مع بعض
التجار والدلال ينادى عليها فأخذوها باذن سيدها ليعرضوها على سيدى فلما دخلت بيت
سيدى لم تجد فيه شيأ من متاع الدنيا كما كانت ترى عند سيدها الاول فقالت فى نفسها كيف
يبيعنى لصاحب هذا البيت الذى ما فيه شئ من أمر الدنيا واحتقرت بيت سيدى وصارت
تحدث نفسها بمثل ذلك واذا بسيدى قد دخل الى البيت فقاموا اليه أهل البيت وقبلوا يده
وصاروا قياما حتى جلس سيدى فقالوا له ياسيدى هذه الجارية جاؤا بها ليعرضوها على
سيدى وظاهر حالها انها كارهة لهذا البيت وخاطرها ما هو طيب فقال لهم سيدى ما يحصل
الا خير هل بقى عندكم شئ من الحمل البطيخ الذى جاء اليكم فقالوا والله ياسيدى فرغ
فقال أظن أنه بقى قطعة منه قال ففتشوا فوجدوا قطعة فقالوا نعم ياسيدى بقى منه
قطعة لا غير فقال ائتونى بها وبسكين وطبق من نحاس فاحضروا له طبقا كبيرا ثم
تناول تلك القطعة البطيخ وجعل يشق منها بالسكين فى ذلك الطبق حتى امتلأ الطبق
فقال لهم هاتوا طبقا آخر فاتوا به فجعل يشق فيه بالسكين من تلك القطعة التى معه بطيخاله
لب لونه غير لب الاول فقال هاتوا طبقا آخر فاحضروا له طبقا آخر فجعل يشق فى ذلك الطبق
الثالث حتى اذهل عقول الحاضرين وصاروا يتعجبون ويبكون حتى ارتفعت
أصواتهم بالبكاء وبكت معهم تلك الجارية وهرولت نحو سيدى مسرعة وهى فى غير وعيها
حتى انكبت على قدمى سيدى تقبلهما وتبكى قال فوضع سيدى يده اليمنى على ظهرها
واليسرى على صدرها حتى سكن ما بها وهى تقول ياسيدى والله أخدم تراب هذا البيت
ورؤية سيدى تكفينى قال فقام سيدى وظهر الى الزاوية وارسلوا ثمنها الى سيدى فخرج
سيدها وأقامت عندى مدة طويلة ثم توفت رحمة الله عليها وشاهدت من سيدى أحوالا
عجيبة لا تحصى قلت وأخبرنى الشيخ شمس الدين المعروف بالشافعى وهو مشهور
بالعدالة والتقوى وكان من خواص أصحاب سيدنا الشيخ شمس الدين بن كتيلة قال كنا بصحبة
سيدى المشار اليه ذات ليلة فى الروضة واذا بسيدى الكبير قد ظهر فطلب الحاج على الغلام
تابعه وكان رجلا مباركا رحمه الله وعفى عنه فلما حضر قال له سيدى شد الفرس فقال
ياسيدى الفرس مشدودة وكان الحاج على شدها فى تلك الساعة من هذه الليلة من دون العادة
قال فلما قدم الفرس لسيدى وركب أشار الى الحاج على أن يتبعه قال فتبعه وحده وانقطعنا

مع الفقراء وكل منا يقول ياترى الى أين يذهب سيدى قال فلما كان بعد ساعة أو ساعتين اذا بسيدى قد أقبل و بصحبته مع الحاج على الغلام نعجة من الغنم الضأن قال فدخل سيدى الى البيت و وضع الحاج على النعجة فى الدوار قال فسألنا الحاج على عن ذلك فقال هذه النعجة لها ستة أشهر من حين خرجت من الدوار ونحن نقول ياترى من أخذ النعجة فلما كان فى هذه الليلة دعانى سيدى فخرجت بصحبته وأنا أمشى خلفه فجعل يسلك شوارع الروضة حتى وقف على باب دار فقال لى الحرق هذا الباب قال فطرقته فخرج صاحب الدار فلما رأى سيدى تحير فى أمره و بهت فقال له سيدى أدخل هات النعجة التى لها ستة أشهر وهى عندك قال فرجع الى بيته وجاء بها حتى وضعها بين يدى سيدى فقال لى سيدى خذها ياحاج على قال فاخذتها ورجعت بها مع سيدى ولم أعلم من يكون هذا الرجل ولم يعلم سيدى أحد ابذلك الرجل وستر عليه قلت وأخبرنى الفقير الى الله تعالى الشيخ نور الدين ابن شعيب وكان من أصحاب سيدى محمد الغمرى قال أخبرنى القاضى شمس الدين السخاوى المالكى الذى تولى قضاء المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وكان من أصحاب سيدى محمد الحنفى قال كانت علينا فلاحة وكنت مجاورا بزاوية سيدى رحمة الله عليه فرفع فينا الفلاحون من أهل محلة القصب عند الامير فطلبونى بسبب الفلاحة وضيقوا على حتى صرت فى أمر عظيم قال فاخبرت سيدى بما وقع لى من الضيق والاهانة وان الامير طلبنى ليحملنى الفلاحة ويرسلنى الى البلد فى الترسيم ويلزمنى بالفلاحة وقد كان والدى قد توفى الى رحمة الله تعالى فقال لى سيدى قد قضيت حاجتك وكفاك الله شر الامير قال ففى ذلك اليوم أخبرنى واحد من أصحابى أن الامير قد ركب فرسا حرونا وساقه فما زال الفرس يعدو فى شوطه حتى وصل الى منزل فيه خوخة فدخل الفرس منها بقوة فانكسر ظهر الامير ووقع عن الفرس ميتا وتولى الاقطاع غيره فى ذلك اليوم وهو رجل من أصحاب سيدى قال فركب الامير الثانى وجاء الى سيدى وأخبره أن السلطان أنعم عليه باقطاع ذلك الامير وهو فرح مسرور فقال سيدى للفقراء اطلبوا لى شمس الدين القصبى قال فحضر بين يديه فقال سيدى للاميران هذا من أولادنا الفقراء وقد حصل له مع الامير الذى سبق ماهو كذا وكذا وقص عليه القصة ففى الوقت كتب الامير منشور السائر الحكام ان هذا الفقير من جملة مجاورى الحنفى بزاويته ولا يتعرض له أحد وهو معتوق من الفلاحة ودفعه الى بحضور سيدى فرحم الله سيدى ونفع به آمين ومما وقع لسيدى مع رجل يعرف بابى بكر العجان وكان يشار اليه بالمشيخة وكانت له زاوية فى حارة الاتراك قريبة من زاوية سيدى وكان ينتمى الى السطوحية وكان رجل من بعض الاتراك وقف بيتا على زاوية سيدى فبلغ الشيخ العجان ذلك فمضى الى منزل الرجل التركى وأرسل لزوجته وقال لها أنا ما كنت أحق من الشيخ الحنفى وانى رجل فقير ومحتاج وليس هو محتاجا الى ذلك وتكلم لها فيه بكل كريهة فقالت له لا تحمل هما مكتوب الوقف عندى وأنا

أعمل لك ما تريد وكانت زوجة الواقف تميل الى الشيخ أبى بكر البجان فلما أن توفى زوجها الجندى الواقف للمكان المذكور أخفت مكتوب الواقف وذكرت أن المكان ملك لها فارسلت خلف الشهود ووقفت المكان على الشيخ أبى بكر البجان وأعطته مكتوب وقفها الذى جددته والحال ان زوجها الجندى المتوفى كان فى حال حياته كتب للمكان الذى وقفه نسختين نسخة أعطاها السيدى محمد الحنفى المشار اليه ونسخة عنده وزوجته لم تعلم بالنسخة الثانية فوضع البجان يده على المكان المذكور مدة واستعمله باسم زاوية البجان فبلغ سيدى ذلك فسكت فتكلم فى ذلك بعض أصحاب سيدى غيرة على الزاوية فبلغ البجان ذلك فمضى الى بعض الامراء وتظلم لهم وشكى لهم من أصحاب سيدى فاتفقوا معه ان يطلعوا الى السلطان ويعلموه بذلك الامر ويستأذنوه فى هدم زاويته عليه قالوا ما ننزل من عند السلطان حتى يأذن فى هدم الزاوية قال فبلغ ذلك الخبر لسيدى فقال سيدى رحمه الله ان قدروا يسألون السلطان فى ذلك الامر ما أعود أجلس على سجادة الفقراء فلما كان من الغد طلعوا الى السلطان فلما انفض الموكب تقدموا الى السلطان وقالوا يا مولانا السلطان ان الشيخ الحنفى قال فالتفت السلطان اليهم مغضبا وقال لهم ماله قال فسكتوا فعرفوا ان فى وجه السلطان الغيظ والغضب قال فتلجلجوا فى الجواب ولم يقدروا على الكلام قال ثم ان السلطان أمر بامساكهم فمسكوا بين يديه فامر بهم الى الاسكندرية فنزلوا بهم فى الوقت الى البحر وسجنوهم فى الجب وأصبحت ديارهم قاعا صفصفا وأخبروا سيدى بذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم مضت مدة طويلة ولم يرسل سيدى الى السلطان فى ذلك ولم يراجعه فى الكلام والشيخ المعروف بالبجان يستولى أجرة البيت مدة سنين وكان ذلك البيت بجوار زاوية سيدى وكان فيه جندى من مماليك السلطان ساكنا بالاجرة وهو يدفع الاجرة الى البجان كل ذلك وسيدى ساكت ويقول ان كان الموضع موعودا بشئ لابد منه ثم ان المملوك الذى كان ساكنا فى البيت الموقوف صار يشوش على فقراء الزاوية ويرمى عليهم الكلام فحصل لهم بذلك غاية الحصر والهم وكان بالعادة ان الاوقاف تكون عند دوادار السلطان وكان الدوادار فى ذلك الوقت على زمن الاشرف برسباى رحمه الله تعالى سودون السودونى وكان الواقف لما وقف الاول دفعه الى سودون المذكور فاطلع عليه ورده اليه فدفعه لزوجته فلما حصل التنازع بين جماعة سيدى وبين البجان توجه الى السلطان الدوادار ورمى نفسه عليه وأرسل يساعده فارسل بطلب مكتوب الوقف من المرأة فراحت اليه ورفعت المكتوبين الذى يشهد لسيدى والذى يشهد للشيخ البجان فاخفى سودون السودونى مكتوب الوقف الاول الذى وقفه على زاوية سيدى وأظهر مكتوب الوقف الثانى الذى يشهد للبجان فسأل السلطان الامير سودون عن الوقف الذى عنده للبجان فقال له عندى يا مولانا السلطان فقال له السلطان والوقف الذى على زاوية سيدى قال ما هو عندى ما عندى الا وقف البجان فقال له السلطان اذهب وائتنى به حتى

أنظر فيه قال فرجع الدوادار الى بيته فاخذ الوقفين وقرأهما ثم أخذ أحدهما ووضع
احدهما مع الاوراق التى عنده ووضع الآخر فى جيبه وطلع للسلطان فكان الذى
وضعه فى جيبه لامر يريده الله هو وقف سيدى والذى خلفه فى البيت هو وقف الجمان فلما
وقف الدوادار بين يدى السلطان قال له أين الوقف الذى طلبته منك قال يا مولانا
السلطان حاضر ثم أخرجه من جيبه وناوله للسلطان فقرده السلطان ونظر اليه وتأمله فوجده
وقف سيدى قال فالتفت السلطان الى الدوادار وقال له يا قليل الدين يا قليل التقوى أنت
تقول لى وقف سيدى ماهو عندك وهو هذا أنتم ماترجعون عن عنادكم ولا عن طغيانكم
يا كلاب يا خنازير والله لولا انك عزيز لاحقتك باصحابك الذين هم فى السجن انزل فى ساعتك
هذه واكشف رأسك لسيدى واستغفر فى حقه وأعطه هذا المكتوب أنت ياسودون
تعرف الحق وتغطى عليه أنت ماتعرف تاريخ هذا الوقف سابقا على تاريخ الجمان انزل
لا بارك الله فيكم قال فنزل الدوادار خائبا خجلا فى غاية مايكون من الفضيحة من السلطان
ومن سيدى فنزل الى بيته أولا وجعل يتروى فى نفسه والحياء من سيدى يمنعه أن يمضى اليه
وتحير فى نفسه وأمره قال فبلغ سيدى ماوقع للدوادار مع السلطان وكان قد خرج الدوادار
من منزله الى بيت سيدى وتكلم معه فى قضية الجمان وقد صار يحاج سيدى فى ذلك قال
العبد جامع هذا الكتاب وكنت حاضرا ذلك المجلس ورأيت سودون السودونى وهو شيخ أشقر
صاحب لمعة عظيمة أحمر الوجه ورأيت الاتراك الذين كانوا حول سيدى وفى خدمته
يرفعون أصواتهم على الدوادار بالكلام ولم يرد عليهم جوابا وقد كانت ساعة صعبة وسيدى
يشير الى الاتراك بيده حتى يسكتهم ويرجعوا عن الدوادار فوالله العظيم لقد رأيته يقول فى
تلك الساعة لنا واحد وهو واحد لا يدخل أحد بينى وبينه قبل ان يسكت الاتراك عن
الدوادار ثم نزل الدوادار من القلعة وهو يتروى فى نفسه هل يمضى الى سيدى بالمكتوب
أم لا وهو متحير فى أمره وكان سيدى بلغه ماوقع بينه وبين السلطان وانه أمره ان يمضى
بمكتوب الوقف الى سيدى فالتفت سيدى الى سيدى أبى العباس وقال له قم فى ساعتك
وامض الى الدوادار تجده على دكته فى الدوار وتجد الوقف فى يده وهو ينظر فيه فقل له
السلام عليكم ثم اقرأ سورة ألم تر كيف الى أن تصل الى قوله ترميهم بحجارة فكررها فى نفسك
حتى ترتعش يده ويقع الوقف من يده فأسرع فى أخذه من على الارض وائتنى به مسرعا
ولا تخف منه وكن آمنا على نفسك فان أحدا لا يتبعك من عنده قال فذهب سيدى أبو
العباس مسرعا الى الدوادار والوقف فى يده وهو ينظر اليه ففعل سيدى أبو العباس
ما أمره به سيدى وصار يكرر قوله تعالى ترميهم حتى ارتعشت يد الامير الدوادار
فوقع الوقف من يده على الارض قلت فأسرع سيدى أبو العباس وأخذ الوقف وخرج
به مسرعا حتى وصل به الى سيدى قال فلحقه الدوادار على الفور حتى دخل الى زاوية
سيدى مسرعا فوجد سيدى قد سبقه الى دخول الخلوة والدوادار فى أمر عظيم وهم كبير

بسبب ارتعاش يده وقصد ان يكشف رأسه ويستغفر الله فى حق سيدى فوقف على باب الحلوة ينتظر خروج سيدى مدة فلم يخرج فرجع الدوادار الى بيته وهو فى كرب عظيم ومازال على ذلك كل يوم الى أن مات قلت وأخبرنا سيدى محمود قال حدثنى سيدى عبد الرحمن السويفى قال كان سيدى فى ابتداء أمره اذا احتاج الى شئ من النفقة اقترضه من أصحاب أهل الدنيا على ذمة الله تعالى فاذا حصل له شئ من الفتوحات دفع الى كل ذى حق حقه قال فضاق عليه الامر فى بعض الاوقات وكثر عليه الدين حتى صار عليه نحو الستين ألف درهم قال فاستحى سيدى من الناس غاية الحياء واستكثر الناس ما على سيدى من الدين قال فعند ذلك طلب سيدى جميع أصحاب الدين فحضروا عنده وكان عنده فى ذلك الوقت جماعة من القضاة والاتراك وبعض الامراء فقال بعضهم لبعض مال هؤلاء الجماعة قد حضروا عند سيدى فاخبروا بخبرهم وان لهم على سيدى ديونا كثيرة قال فتشاوروا فيما بينهم واتفقوا على انهم يتحاصون ذلك القدر الذى على سيدى ويدفعونه الى أصحاب الدين ويعطون كل ذى حق حقه فبينما هم على الاتفاق اذا برجل قد دخل الى الزاوية وهو ذو هيبة عظيمة ووقار وعليه ثياب فاخرة وعليه طيلسان أبيض ومعه كيس ملآن من المال فسلم على سيدى وعلى الناس وجلس بين يدى سيدى ثم قال له ياسيدى كل من له عليك دين فليتقدم يأخذ دينه ثم طلب ميزانا فاحضروا السيدى ميزانا وصار وايتقدمون واحدا بعد واحد وصار ذلك الرجل يزن لكل واحد منهم دينه ويعطيه له ونحن ننظر ذلك حتى فرغ جميع ما فى الكيس وما بقى لاحد على سيدى شئ من المال ثم استأذن سيدى وخرج من بين يديه ونحن ننظر اليه حتى خرج من باب الزاوية ولا نعلم من أين جاء ولا من أى موضع ذهب قال وتعجب الناس من ذلك عجبا عظيما قلت فقال سيدى أبو العباس لسيدى من ذلك ياسيدى فقال هذا صير فى القدرة أرسله الله تعالى يوفى عنا ديننا قال فنكسنا رؤسنا عند ذلك وتعجبنا وغبنا عن حسنا فلما استيقظنا من غشوتنا وجدنا سيدى قام من المجلس ودخل الخلوة ولم نعلم به رضى الله عنه وأخبرنى سيدى بركات ولد سيدى محمود ولد سيدى الكبير عن سيدى عمر قال كان لسيدى عادة فى كل سنة يحيى ليلة النصف من شعبان ويذبح فيها ذبائح كثيرة ويطبخ فيها طبيخا وطعاما فاخرا ويكثر من ذلك قال فدعانى سيدى يوما وقال لى ياعمر قد هجمت علينا الشعبانية ولم نستعد لها والوقت ازف ولم يكن معنا فى هذا الوقت غير ما فى هذا الكيس ثم أدخل يده فى جيبه وأخرج كيسا مطويا ودفعه الى وقال أنظر ما فيه ففتحته فاذا ما فيه بعض فضة فقال لى ياعمر والله هذا المبلغ عسى أن يكفى حباش المطبخ قال فقومت جميع ما يطلبه من حباش المطبخ فاذا هو بقدر ما فى الكيس ثم طويته ولففت عليه خيطه ودفعته الى سيدى فوضعه فى جيبه ثم قال لى ايش تطلب من العسل فقلت كذا وكذا ثم قال لى فما ثمن ذلك فقلت كذا وكذا قال فاخرج الكيس من جيبه وقال أنظر ما فيه فاذا هو مثل ما ربطته بيدى ففتحته فاخذت ما فيه من الفضة فاذا هو المبلغ الذى

عينته من العسل ثم ربطت الكيس ولفيت عليه خيطه وناولته لسيدى فاخذه و وضعه فى
جيبه ثم قال ونطلب قرعا وقلقاسا قلت نعم ياسيدى قال وما ثمن ذلك قلت كذا وكذا قال
فأخرج ذلك الكيس من جيبه وقال لى انظر ما فيه قال ففتحته وأخذت ما فيه فاذا هو
بقدر الثمن الذى ذكرته ثم طويت الكيس وناولته لسيدى فاخذه و وضعه فى جيبه ثم
قال بقى علينا حملة كثيرة نطلب بقرة وأربع خرفان فقال بكم تساوى ياعمر قلت ياسيدى أما
البقرة فتكون بثمانية اشرفيات وأما الخرفان فاربعة الجملة اثنا عشر دينارا قال فوضع
يده فى جيبه وأخرج منه الكيس وقال لى أنظر ما فيه فاخرجت ما فيه فاذا هو اثنا عشر
دينارا لا تزيد ولا تنقص قال وكانت هذه القصة فى زمن الاشرف الظاهر جقمق فان الملك
الاشرف برسباى رحمه الله كان يتفقد الزاوية فى المولد وفى الشعبانية بالبقر والغنم
والدراهم وغير ذلك ثم قال سيدى عمر والله العظيم كل ما ذكرته جرى ووقع بحضورى وأنا
أنظر وأتعجب وانا كلما آخذ ما فى الكيس أطويه وألف عليه بالخيط فاذا دفعته الى سيدى
آخذه بالربطة التى ربطته بها فكلما احتجنا الى شئ أخرج ذلك الكيس من جيبه وأخذنا
منه حتى اكتفى سيدى بما يصرفه على الشعبانية وأغناه الله عن الناس وأخبرنا
سيدى أبو العباس قال أصابنى صداع فى رأسى حتى طرد عنى النوم فلما أصبحت بشكوت
ذلك الى سيدى فقال لى اكشف رأسك قال فكشفت رأسى فوضع يده على رأسى ومسح
رأسى وقال البس عمامتك فوضعتها على رأسى فوالله العظيم الذى لا اله الا هو ما عرض لى
من ذلك الوقت صداع الى الآن وأخبرنا سيدى محمود ولد سيدى الكبير قال أخبرتنى
الوالدة رحمها الله قالت لدغت بعقرب فى حياة سيدى فحصل لى من ذلك ألم شديد عظيم
وحرقان وجعلت أصيح من شدة الالم واذا بسيدى قد دخل الى وقال ما الخبر فاخبروه بخبرى
قالت وكنت قد لدغت فى ابهام رجلى اليمنى قالت فتفل سيدى بريقه على موضع اللدغة
فوالله ما كأنى لدغت فلم أجد بعد ذلك ألما ببركة سيدى رحمه الله وأخبرنى الشيخ عبد
الرحمن القمنى رحمه الله قال كانت لى زوجة مباركة تعرف بام أبى الفتح فدخلت الى بيت
سيدى يوما من الايام قالت فرأيت فى يد سيدى كيسا أبيض على هيئة خريطة قالت فلما
تقدمت اليه وقبلت يده قال لى يا أم أبى الفتح خذى هذا الكيس وادخريه عندك للفتوح
الذى يأتى من القلعة اليك قالت فاخذته من يد سيدى بعد ان قبلتها وقلت فى نفسى ياترى
ما هذا الفتوح الذى يأتينى من القلعة وليس لى ولا لزوجى تعلق بالقلعة فلما رجعت الى
بيتى قلت لزوجى الشيخ عبد الرحمن اتفق لى مع سيدى كذا وكذا فصار الآخر يقول
كقولى ويتعجب ويقول كأن سيدى اطلع على أمر مغيب عنا فامتثلى ما أمرك به سيدى
فلعله يكون خيرا ان شاء الله تعالى فلما كان بعد مدة ماتت امرأة لبعض الاتراك الخاصكية
وذلك أنها كانت حاملا فلما أخذها الطلق وضعت بنتا وماتت فى نفاسها بالخلاص فشق ذلك
على زوجها مشقة عظيمة وحمل همها بسبب ذلك وصار يقول من يربى هذه المسكينة وهو

متحيرة فى أمره قالت أم أبى الفتح وكان معى صبى أرضعه فقالت له جماعته وأصحابه من الاتراك و بعض من النساء ان فى مصر امرأة تسمى أم أبى الفتح زوجة الشيخ عبد الرحمن القمنى مرضعة ولها ولد صغير ترضعه قالت أم أبى الفتح فجاءتنى جماعة من النساء وسألتنى فى ذلك وقلت لى يا أم أبى الفتح اقبلى هذه البنية اليتيمة وأرضعيها ولا بد لك من فتوح كثير ان شاء الله تعالى قالت فاخذتها وأرضعتها وألفتنى والفتها من فضل الله تعالى وصارا لخاصكى يتفقدنى بالمأكل والمشرب وغير ذلك و يعطينى كلما فرغ الشهر أشرفيين فكنت كلما أعطانى الاشرفيين أجعلهما فى ذلك الكيس الذى أعطاه لى سيدى فبعد قليل مات الخاصكى فطلع بعض اخوانه الى السلطان واخبره بموته وان له بنتا صغيرة رضيعة يتيمة ولها مرضعة قد رتب لها أشرفيين كل شهر قال فرسم السلطان بان الاشرفيين فى كل شهر يكونان للمرضعة واكد فى ذلك قالت أم أبى الفتح فكنت كلما فرغ الشهر ووصل الى المبلغ أجعله فى ذلك الكيس حتى امتلأ ذهبا وفضة فقال لى زوجى الشيخ تقى الدين عبد الرحمن القمنى انظرى يا أم أبى الفتح ما أشار به سيدى وما أعلمك به قبل موته وكيف جاءنا الفتوح من القلعة فرحم الله سيدى ونفع به ومن بركات سيدى رضى الله عنه ان شابا من مصر العتيقة يعرف بابراهيم المعرف وكان صاحب سطوة فى حال شبو بيته وكانت بركة الخادمة فى خدمة بيت سيدى تريد ان تقول لسيدى عليه وتعلمه باحواله عسى أن يلاحظه و يصلح حاله و يرجع عما هو فيه لانه كان ولد ابنتها وقصدها له كل خير قالت فدخلت يوما الى سيدى فوجدته نائما فتقربت منه حتى صرت تحت اقدامه ثم جعلت فى تحت اقدام سيدى وجعلت أوشوش اقدامه قالت ففتح سيدى عينيه فرآنى تحت اقدامه فقال لى يا بركة قبلت شفاعتك فى ابراهيم قالت فصرخت صرخة كادت نفسى ان تخرج فلما رجع الى حالى قال لى يا بركة اذا جئت الينا غداة غد فاصحبى ابراهيم معك فقلت حبا وكرامة فلما كان من الغد جاءت به معها وقالت له اذهب الى سيدى وقبل قدمه واجلس تحت اقدامه قال ففعل ذلك فاقبل سيدى عليه وجعل يحدثه سرا ثم أمره بالرجوع الى مصر العتيقة وقال له أكثر من خدمة الشريف النعمانى فانه ليس له ولد وأرجو من الله ان تكون خليفته من بعده قلت فرجع ابراهيم المعرف من وقته الى مصر العتيقة وجعل يخدم الشريف النعمانى بقلب حتى اشتهر أمره وصلح حاله وعرف بين الناس بالخير والصلاح وصار يدعى بابن النعمانى فلما انتقل الشريف النعمانى بالوفاة الى رحمة الله تعالى جلس ابراهيم فى مجلسه المشهور بالنعمانية وورث المقام بها بعده وصار له فقراء ومريدون واشتهر بالمشيخة ونسب الى النعمانى وذريته الى الآن قلت والمشهور عن سيدى ان زوجته وابنته وأخته وجاريته اتفقن على السفر صحبة الحجاج مع صهر سيدى أخى زوجته قال فاستأذنوا سيدى فى ذلك فاذن لهم وأوصاهم بحمل الاذى وكف الاذى والتصدق على الفقراء وبسط اليد بالكرم وان لا يردوا سائلا ولا يمنعوا عطشانا من الماء وأوصاهم بالمحافظة على الصلوات الخمس وغير ذلك من أفعال الخيرات فحفظوا وصيته وعملوا

بهاذها باوا يا يافاتفق انهم بعد التوجه كانوا على ساحل البحر وكانت الجارية حاملة بنت سيدى على كتفها وكانت بقرب البحر قالت فجاءت فى تلك الساعة موجة عظيمة فصدمت البر والجارية جالسة على جانب البحر والبنت على كتفها فوصل الماء اليهن وابتلت الجارية ووصل بعض الماء الى البنت الصغيرة قالوا فسمعنا صيحة عظيمة وقائلا يقول الله أكبر الى الصغيرة ورأينا ذراع سيدى ممدودا قد حال بينها وبين الموجة وجاءت موجة أخرى أعظم من الاولى وذراع سيدى حائل بين الموجة وبين الجارية ثم اختفى ذلك وكان سيدى فى ذلك الوقت فى خلوته بمصر فرأى ذلك من كان حاضرا معه وقد أخبرنا بعض أتباعه بذلك بعد مجيئنا من السفر قال فسئل سيدى عن ذلك فقص عليهم القصة وقال اكتبوا تاريخ هذا اليوم وهذه الساعة فكتبوا ذلك فلما ان جاء الحج ووصلوا الى البيت الذى لسيدى واستقر بهم المجلس حكوا ما وقع لهم وما شاهدوه وما سمعوه من قول سيدى الله أكبر فعند ذلك أخرجوا التاريخ وقرؤه فاذا هو موافق لذلك اليوم وتلك الساعة قال وكان سيدى يخبر بما وقع له من الكرامات على عادة السلف من الاولياء المتمكنين ويستدلون على ذلك بقوله سبحانه وتعالى وأما بنعمة ربك فحدث قلت وقد سمعت سيدى محمودا يقول كان سيدى عهد الى والدتى حين خروجها الى السفر كلمات تقولهن كل ليلة تحفظ نفسها وتحفظ بها الحاج قال لها اياك ان تغفلى عنها فما يحصل للحاج خير واجعليها فى بالك واتخذيها حرزا فقالت له السمع والطاعة ياسيدى قالت فلم أزل أقولهن كل ليلة والحاج فى أمان بقراءتى له تلك الكلمات فلما كنا فى الرجعة وقربنا من العقبة غلب على النوم تلك الليلة فنمت ولم أقل الكلمات لامر قدره الله تعالى فوالله ما استيقظت من نومى الا على عجيج الحاج جميعه وهو فى أمر عظيم ووجل وخوف وقلت ما الخبر فقالوا ان العرب أخذوا من الحاج كذا وكذا جمالا محملة وحصل من العرب ضرب وطعن فى الحج وغلبت العرب على الحج ومضوا بالاحمال فقلت انا لله وانا اليه راجعون قال فلما هدأ الحج قرأت تلك الكلمات ونمت فرأيت رجلا ذا هيبة وجمال وعليه هيبة ووقار وهو يقول لى قد غفلت عن الكلمات التى علمها لك صاحب الوقت حتى حصل للحاج ما حصل فقلت له ياسيدى من تكون انت قال أبو بكر الصديق قالت فاستيقظت وقد ازددت ندما على ندمى ومازلت أحمل هم ذلك حتى دخلت الى مصر وقد اجتمعت بسيدى فقال لى يازهرة ألم أعهد اليك وأوصيك ان لا تقطعى تلك الكلمات عند نومك فقلت ياسيدى وكان أمر الله قدرا مقدورا فقلت ياسيدى ان أبا بكر الصديق جاءنى من دون الصحابة فقال ان لنا نسبا منه يعنى ننتسب اليه قالت وكان سيدى قال لى قبل ذلك انه ينتسب الى أبى بكر الصديق وله عادة يغيثنا فى جميع النوائب وعن سيدى محمود أيضا قال حدثتنى الوالدة رحمها الله وذلك بعد وفاة سيدى رحمه الله قالت كنت يوما فى البيت انتظر دخول سيدى واذا به قد دخل على فقمت اليه وقبلت يده فلما جلس قال لى يافلانة ان فلانا وفلانا قد عزما على ان أكون عند كل منهما فى تلك الليلة وقد وعدتهما بذلك وكانت

تلك الليلة ليلتى مع سيدى فقلت له والله ياسيدى الليلة ليلتى ولا أتركها لغيرى أبدا فقال لى مايحصل الاخير قالت فبات سيدى عندى تلك الليلة الى أن خرج لصلاة الصبح فلما فرغ من السبحة كنت واقفة عند باب الخلوة وقد انصرف الناس وتأخر منهم رجلان فقال أحدهما لسيدى والله قد حصل لى بركة سيدى بسبب بياته عندنا فقال الآخر والله ياسيدى وأنا كذلك وسيدى ساكت يسمع كل واحد منهما ينظر الى صاحبه ويتعجب من كلامه فلما دخل سيدى قبلت يده وقمت اليه وقلت له ماسمعته من كلام الرجلين ياسيدى أنت الليلة مافارقتنى فقال لى يافلانة اذا كان العبد مخلصا الى الله تعالى خلق الله ملائكة على شكله يصدقون مقالته قال وحكمت لنا بركة الخادمة التى تقدم ذكرها قالت رأيت سيدى يوما فى بيته وقد وضعوا بين يديه صحنا فيه باذنجان مشوى وبعض خبز وهو يأكل وحوله جماعة من النساء وهن ذات حسن وجمال عليهن ثياب فاخرة ولهن روائح عطرة وهن من نساء الامراء والخاصية وغيرهم من أبناء الدنيا قالت فلما نظرت الى سيدى يأكل وهذه النسوة حوله خطر ببالى مايخطر ببال الناس وقلت فى نفسى والله ياسيدى أنت فى هذه الساعة فى زهربستان والله ان السلطان ماهو فى هذه الحالة قال فوالله ماتم خاطرى حتى نادانى سيدى وقال لى يابركة فقلت نعم ياسيدى فقال تعالى فاسرعت اليه ووقفت بين يديه فقال لى اجلسى فجلست فقال لى يابركة أنظرى الى وجوه تلك الجماعة اللاتى حولى من النساء قالت فنظرت اليهن فاذا هن صفر الوجوه عمش العيون ولعابهن سائل من أفواههن على صدورهن ومناخرهن تسيل فيحا ولهن رائحة كريهة كانهن والله قد خرجن من القبور قال فلما نظرت اليهن استقذرتهن وانكرتهن فالتفت الى سيدى فقلت أف ياسيدى فقال والله يابركة ما انظر اليهن ولا الى غيرهن الا على هذه الهيئة فاحسنى ظنك بالفقراء والايخف عليك قالت فقلت أنا ياسيدى أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه اللهم انى تبت من حقك ياسيدى الى الله تعالى ومن كرامته ما أخبر به سيدى الشيخ الامام العالم العلامة المحقق العارف بالله تعالى شمس الدين بن كتيلة قال كنت يوما جالسا فى ميعاد سيدى قريبا منه فلما ختم المجلس افتتح الواعظ يعنى المادح وأنشد شيأ من كلام سيدى عمر بن الفارض قال فجعلت أتواجد على كلامه وأنا قاعد وأحرك رأسى فحانت منى التفاتة فرأيت سيدى ينظر الى قال فأطرقت برأسى الى الارض وسرى عنى ما كنت أجده من التواجد فغلبنى النوم فنمت وأنا قاعد والمنشد ينشد فرأيت فى نومى سيدى عمر بن الفارض واقفا على باب زاوية سيدى وفى فمه قصبة من الغاب الفارسى طرفها فى فمه والطرف الآخر تحت عتبة زاوية سيدى كانه يشرب شيأ من تحت العتبة قال ففتحت عينى وأنا متعجب مما رأيت فالتفت الى سيدى وقال رأيت ياشمس الدين بعينك قال فكشفت رأسى وقبلت ركبة سيدى واستغفرت الله تعالى وذهب عنى ما كنت واجده قلت ومن المشهور عن سيدى رضى الله عنه أنه كان يقول لو كان عمر بن

الفارض موجودا فى زماننا ما وسعه الا الوقوف ببابنا قال ومن كراماته رضى الله عنه ما أخبرنى به الفقيه شهاب الدين المعروف بابن النجار قال أخبرنى الشيخ الصالح نور الدين بن على المعروف بابن عراق الهيثمى أحد أصحاب سيدى قال لما نزل سيدى الى الغربية ومعه جماعة كثيرة طلع الى المحلة الكبرى وقد كان ذلك فى زمان سيدى الشيخ الصالح الزاهد العابد أبى بكر الطريني قال وكنت بصحبة سيدى وفى خدمته وكان الحاج نور الدين بن النوسانى ذلك الوقت متدركا بصندفا فلما سمع بسيدى ركب اليه وعزم عليه وعلى جميع من معه قال فاجاب سيدى دعوته وركب معه الى صندفا وأقام عنده يومين فى الضيافة وسيدى أبو بكر الطريني يتردد اليه وكذا قاضى القضاة شهاب الدين البجمى وغيرهما من الاعيان المشهورين قال وقد بذل الحاج نور الدين بن النوسانى المجهود فى الضيافة وأكثر من الذبائح والاطعمة والحلوى قال وما دخل على سيدى الا وهو مشدود الوسط من فرحه بسيدى وبمن كان معه قال الشيخ نور الدين بن عراق وكانوا اذا مدوا السماط بين يدى سيدى يأكل الفقراء وغيرهم وسيدى جالس على رأس السماط ولم يمد يده الى اللقمة الواحدة والحاج نور الدين النوسانى ينظر اليه ولم يمكنه أن يعترض عليه لم يستطع ان يكلمه فى شئ من ذلك قال وكان فى هذه الضيافة جماعة من أهل بلقينا فى خدمة سيدى وهم منتظرون له وقصدهم ضيافته وان يركب معهم الى بلادهم فاجابهم سيدى على ذلك فركب معهم الى بلدهم فاقام عندهم يوما وليلة ولم يأكل عندهم شيأ قال الشيخ نور الدين وكنت قد تجاسرت على سيدى فى الكلام فتقدمت اليه بعد ما ركب من محلة أبى الهيثم فقلت له ياسيدى رأيتك لم تأكل شيأ منذ أربعة أيام وقد تعجبت من ذلك فقال لى والله ياولدى كان بنا وارد فكرهنا ان ندنسه بشئ من هذا الطعام الفانى قلت ومما أخبرنا به أيضا الفقيه شهاب الدين ابن النجار قال أخبرتنى زوجة الشيخ نور الدين بن عراق الهيثمى انه كان يحضر ميعاد سيدى يوم الثلاثاء بالقاهرة وهو فى منزله بمحلة أبى الهيثم قالت وذلك انى دخلت عليه يوما وهو بمعبده الذى يتعبد فيه فلم أجده فيه وكان ذلك عقب صلاة الصبح يوم الثلاثاء قالت فالتفت يمينا وشمالا فلم أره فتأملت موضع جلوسه فوجدت جبته السوداء مطروحة فى ذلك الموضع فاخذتها ورفعتها بيدى عن الارض ووضعتها فى مكانها فاذ هل عقلى وأسرعت فى الخروج ووقفت على باب المعبد ساعة طويلة وأنا متفكرة فى أمره واذا به قد تنحنح وقال لى يا فلانه فقلت له نعم فقال لك فى صحبتنا سنون كثيرة وأنت قائمة بحقى وبخدمتى وما رأيت منك الا خيرا فاكتمى أمرى فانه ما بقى لنا من العمر الا القليل ويقع الفراق بيننا فقلت له ياسيدى وما مقدار ما بقى فقال مقدار شهر وأريد من فضلك لا تعلمى أحدا بحالى واكتمى ما رأيت فقلت له بالله عليك ياسيدى أين كنت فقال اما تعلمين ان هذا اليوم يوم ميعاد الاستاذ سيدى محمد الحنفى أتظنى انى انقطع عن ميعاد سيدى أبدا سواء كنت قريبا منه أو بعيدا قالت فوالله ما أقام بعدها غير شهر واحد وانتقل الى رحمة الله تعالى وأخبرنى

النقيب زيادة خادم زاوية سيدى ان زوجته كانت مرضت مرضا شديدا أشرفت فيه على الهلاك وكانت ساكنة فى طبقة على الزاوية والناس يدخلون عليها وكانوا يسمعونها تضج من شدة الالم وتقول ياسيدى أحمد يابدوى خاطرك معى وصارت ملازمة لهذا الكلام مدة طويلة فلما كان بعد ذلك دخلوا عليها فوجدوها قد طابت وزال عنها ذلك الالم وكانوا فى ذلك اليوم قد فارقوها بعد صلاة العشاء وقطعوا العشم منها وهى لم ترد لكل من ناداها جوابا وقد أيقنوا بموتها فقالوا لها يافلانة كنت الليلة قد أشرفت على الموت وماقلنا انك تصبحين فى الدنيا قلت ان حكايتى عجيبة فقالوا وماهى قالت بينما أنا فى هذه الليلة نائمة اذ رأيت رجلين قد دخلا على وقالا لى قومى كلى فقلت أكلم من فقالا رجلا أرسلنا خلفك فقلت لهما والله ما أقدر أمشى من شدة مرضى فقالا قومى نحن نعينك قالت فاخذانى ومضيا بى الى المدرسة المعروفة بالمؤيدية فقالا ادخلى فدخلت وأنا بينهما أتوكأ عليهما حتى أقعدانى بين يدى رجل جالس وعلى وجهه لثام وعليه جبة عظيمة واسعة الاكمام وهو عريض الصدر أحمر الوجه أحمر العينين فقال لى كم تنادينا وتستغيثين بنا أنت ماتعلمين انك فى حمى رجل من الرجال الكبار المتمكنين وأنت تستغيثين بنا فى موضعه وفى حماه أنت تظنين اننا نتعرض عليه فى موضعه ومحله وتتهجم عليه اما تعلمين ان الادب بين الفقراء مطلوب فلا تعودى تقعين فى هذا القول بل قولى أغثنى ياسيدى محمد ياحنفى خاطرك معى فاستيقظت من نومى فوالله كأنه ما كان بى مرض وقد شفانى الله تعالى وقد أصبحت بخير وعافية قلت وأخبرنى ولد سيدى الكبير سيدى مجد الدين اسماعيل أدام الله النفع ببركته قال حدثنى أحمد الرزاز من أهل مصر العتيقة قال كنت أصنع فى كل يوم قدحين من الارز العزيزى واضع ذلك فى ماعون جيزى أحمر نظيف وكان يقوم بى وبعائلتى ويكفينا مؤنة كل يوم لايزيد ولاينقص قال فطبخت يوما من الايام على عادتى وصببته فى الماعون وخرجت به الى السوق فلم أشعر الا وسيدى خرج راكبا وبين يديه جماعة كثيرة وهو قاصد الاثر الشريف فلما وصل الى التفت نحوى وقال احمل هذا الارز معك وسر بنا الى الجامع الكبير يعنى جامع سيدى عمرو بن العاص وخذ ثمنه قلت سمعا وطاعة قال ثم قمت وحملت ذلك الماعون على رأسى وكنت قويا فى نفسى لاسيما وقد أذن لى سيدى بحمله فحملت ذلك ولحقت سيدى الى الجامع الكبير فلما دخلوا وجلسوا وضعت ذلك الطعام بين يديه وأصحابه جلوس بين يديه وعن يمينه وعن شماله فدفع الى سيدى دراهم وقال اشتر لنا خبزا وائتنا بشئ من الاصحن والاوانى نغرف فيها الطعام قال فاسرعت واشتريت خبزا وجئت بالاصحن والاوانى كما أمرنى ثم قال لى اجلس واغرف واملا الاصحن والاوانى فجعلت اغرف فى الصحون وأقول ياترى ان كان هذا يكفى أصحاب سيدى فقال لى سيدى سم الله واغرف فصرت أقول بسم الله وأغرف حتى ملأت الصحون والاوانى فقام بعض الفقراء ومد السماط بين يدى سيدى فقال سيدى لاصحابه بسم الله سموا وكلوا فوالله

العظيم لقد أكلوا وفضل فى جميع الاصحن الطعام والخبز أيضا فقال لى سيدى ارفع بقية العيش والطعام واذهب به الى بيتك وأطعم من شئت قال فحملت ذلك وساعدنى بعض الفقراء الى منزلى فاكلنا وفرقنا وفضل عندنا منه شئ كثير ثم ركب سيدى الى الاثر الشريف ولم يعطنى شيأ فحملت هما بسبب ذلك وقلت فى نفسى ان كنت يا فلان تقدر على طبخ الارز العزيزى كل يوم فما بقى لك حيلة تطبخ غدا شيأ فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحملت هما كثيرا وجلست على الدكان وأنا حزين القلب قال فلم أشعر الا وسيدى قد رجع من الاثر فى اليوم الثانى فقمت ووقفت فى موضعى ودعوت له فاشار الى بيده فاسرعت نحوه وقبلت يده فوضع يده فى جيبه فاخرجها مطبوقة وقال لى خذ هذا الفتوح قال فمددت يدى اليه فاعطانى صرة فاخذتها وقبلت يده ومضيت وأنا أقول عسى أن يكون ثمن الرزيزات ومايصرف عليها غدا ان شاء الله تعالى قال فلما رجعت الى منزلى وأنا فرح من ذلك وفككت الصرة فوجدتها عشرة دنانير فوالله العظيم هم رأس مالى الى الآن وأنا عائش فى بركة سيدى من ذلك ولم أحتج الى أحد ولم اقترض من أحد شيأ ومن كراماته ما أخبرنا به الفقيه شهاب الدين المعروف بابن النجار قال حدثنى الشيخ الصالح الورع الزاهد طلحة المنشأوى من أهل المنشأة الكبيرة التى تنسب اليه السخاوية قال دخلت على سيدى الكبير عائدا له فى مرض موته الذى مات فيه فجلست عند رجليه وقبلتهما وبكيت فلما أحس بى قال لى ياطلحة قلت نعم ياسيدى فقال لى يوم مبارك وكرر ذلك قال فانتحبت بالبكاء فقال لى ياولدى يكون نظرك على من تعرفه من أصحابنا فانهم اخوانك ياطلحة وانما قلنا لك يكون نظرك على من تعرفه فان من لاتعرفه كثير واعلم ياطلحة ان لنا أربعمائة ولى قد خرجوا من هذه الزاوية وفى رواية ثلاثمائة وستين على قدمى هذا يعنى على طريقتى كلهم داعون الى الله وأصحابنا بالغرب كثير وبالشام والروم أكثر وأكثر أصحابنا باليمن لايعلمهم الا الله تعالى وأما سكان البرارى أهل الكهوف والمغارات فكثير وصار يكثر من هذا الكلام حتى غبت عن حسى فلما أفقت من غشوتى ودعته واستأذنته فأذن لى ودعا لى فكان ذلك آخر اجتماعى بسيدى رحمه الله قال وأخبرنا أيضا الفقيه شهاب الدين بن النجار المذكور قال حدثنى سيدى طلحة انه لما نزل سيدى الى بلاد الغربية ودار على أصحابه فى بلادهم وأماكنهم وأحيى قلوبهم وأنعش خواطرهم طلع الى المنشأة الكبيرة فتلقاه اعمامى وكان والدى قد انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى قال فانزله اعمامى فى الزاوية ووقفوا فى خدمته وقاموا بحقه وكنت أنا صغيرا وعلى رأسى طاقية وكنت يتيما وكانت الوالدة تعيش وكان اعمامى وأولادهم يحيفون على فى أمر الرزيقات ولا يعطونى منها الا القليل قال فلما صار سيدى عندنا فى الزاوية قالت لى الوالدة ياطلحة أخرج الى سيدى وأشك اليه بما تفعل أولاد عمك فيك وانهم يمنعونك ماتستحقه من الرزيقات قال فخرجت الى سيدى فقبلت يده وجلست بين يديه وأخبرته بحالى مع أولاد عمى قلت فلما سمع كلامى بكى ووضع يده على

رأسي وقال لي والله يا طلحة كلهم ينقرضون ولا يتخلف بعدهم غيرك ويصير كل ما في أيديهم في يدك وما يعمر البيت الا أنت قال ففرحت بذلك فرحا شديدا قال فلما بلغت من العمر خمس عشرة سنة تزوجت ورزقت خمسة أولاد ذكور وانقرض أولاد عمي كلهم وماتت أولادهم جميعا ووقع ما قال لي سيدي عليه وما عمر البيت غيري فرحم الله سيدي وعفا عنه ونفع به آمين ومن كراماته ما أخبرنا به الفقيه نور الدين الطوخي جزاه الله خيرا قال بينما أنا جالس على باب زاوية سيدي الكبير رحمه الله اذا أنا برجل مار علي وفي رجليه قيد وهو يجره ويسرع في مشيته ففهمت أنه مظلوم وهارب من الحبس فقال لي هذه زاوية سيدي الحنفي قلت له نعم أدخل أدخل فقال يا سيدي أنا مستجير بالله ثم بسيدي يا سيدي خبئني وأجرك على الله فقلت له لا تخف ولا تحزن فلك الامان ان شاء الله تعالى ثم قمت اليه وأخذت بيده وأدخلته زاوية سيدي وأدخلته في خلوة وأغلقت عليه الباب فلما كان بعد ساعة طويلة اذا بمملوك قد أقبل ودخل الى الزاوية وبيده سيف مسلول وهو موهوج يقول هل جاءكم رجل هارب مقيد فبينما هو كذلك اذ ظهر سيدي من الخلوة فقلنا له اذهب الى سيدي فسلم عليه تحصل لك البركة قال فتقدم الى سيدي وسلم عليه وجلس بين يديه فقال له سيدي ضع سيفك على الارض واطمئن على نفسك فما يحصل الا خير قال الفقيه نور الدين الطوخي فتقدمت الى سيدي وأخبرته بخبر الرجل المقيد فطلبه سيدي فتوجهت الى الخلوة واطلقت ذلك الرجل فحضر بين يديه فقال له استاذه انت هربت من حبسك فقال له نعم والله يا سيدي ما هربت الا خوفا قال فاقبل سيدي على ذلك الجندي وقال له ايش حكاية هذا الرجل المسكين فقال له يا سيدي له عندي ست سنين وهو في الحبس مقيد فقال له سيدي لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كيف تلقى الله تعالى يوم القيامة وكيف حالك اذا سألك الله تعالى عن ظلم هذا الرجل وماذا يكون جوابك لله تعالى قال فاطرق الجندي رأسه خجلا وعرض له البكاء فبكى حتى غشي عليه فلما أفاق قال يا سيدي مرني بشيء أفعله قال ان طلبت النجاة يوم القيامة فاسأل هذا الرجل براءة الذمة فانك لا تقدر ان تدخل الجنة الا أن ترضيه قال يا سيدي اشهد علي انى قد أسقطت مالي عليه من المال الى يوم تاريخه فقال له ادفع اليه وصولا بالتغليق حتى لا يكون عندك له طلب قال سمعا وطاعة فدفع اليه وصول التغليق وفك عنه القيد وخلع عليه ملابسه وزوده ببعض دراهم وأمره بالرجوع الى بلده وصار ذلك المملوك من ذلك اليوم من أصحاب سيدي وفي خدمته الى ان انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى قلت وحدثني سيدي محمود ولد سيدي الكبير رضي الله عنه قال أصابتني فاقة شديدة بعد وفاة سيدي فدخلت اليه وجلست عند ضريحه قبال وجهه وقرأت شيأ من القرآن وذكرت الله تعالى وأهديت ذلك الى روح سيدي ثم قلت بعد ذلك يا سيدي ولدك محمود قد اشتد به الجوع والفاقة وهو في هذا الوقت لم يجد شيأ يقتات به وكذلك عائلته بهذا الحال وقد كنت عهدت الينا عند موتك وقلت لنا من كانت له حاجة

متعسرة فليأت الينا ويطلب حاجته منا فانه ليس بيني وبينكم غير ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل ثم قمت من عند الضريح وخرجت فجلست في البيت وأنا حامل حملة عظيمة من ضيق المعيشة وسوء الحال قال فبينما أنا جالس في منزلي فلم أشعر الا برجل دخل علي وعلى رأسه طبلية فيها خروف مشوي وخبز كثير ومعه رجلان معهما طعام وغير ذلك وهم يقولون ياسيدي محمود اقبل هذا فانه قد أرسله لكم محبكم فلان ولا تؤاخذوه عليه قال فاخذت ذلك الطعام وفرقت على الوالدة منه وعلى أهل البيت جميعا ولم يفرغ ذلك حتى يسر الله علينا كل خير فرحم الله سيدي ما كان أشفقه علينا في حياته وكذا في مماته قلت ومن كراماته ما أخبرني به سيدي محمود أيضا فقال والله الذي لا اله الا هو انه قد حصل لي في وقت آخر ضيقة وشدة حتى انه لم يبق لي حيلة الى شئ استتر به بين الناس سوى قميص مرقع وسخ وجبة بيضاء خلقة وسخة واشتد الامر وضاق بي فقصدت الى مقام سيدي وهجمت عليه وجلست عند الضريح قبال وجهه وشكوت حالي اليه وقلت له ياسيدي انا ولدك محمود وقد اشتد بي الحال وضاق بي الامر حتى صرت لا أقدر على شئ استتر به بين الناس غير هذا القميص المرقع الوسخ وهذه الجبة الدنسة وقد ضاق صدري مما أنا فيه ثم قمت ونزعت عني القميص والجبة عن جسدي وألقيتهما عند رأس الضريح وأنا أبكي وكان ذلك وقت العشاء الاخيرة ثم ذهبت الى البيت فلما نمت تحت الغطاء وأنا عريان حزين ضيق الصدر وأنا نائم فوالله ما استيقظت الا بعد طلوع الشمس والوالدة تقول يا محمود اقعد يا ولدي فان خوند بنت ططر التي كانت زوجة الاشرف جاءت اليك ومعها هدية فجلست والتفيت في ملاءة الفرش واذا بها قد دخلت ومعها جارية حاملة القماش فسلمت علي وقالت ياسيدي محمود خاطري عندك والله ما أعلمني بحالك الا سيدي في هذه الليلة وهو يقول لي يا فلانة روحي الى أخيك محمود واكسيه فانه جاء الينا وشكا حاله لنا وما نام هذه الليلة الا عريانا وما عليه شئ يستتر به وكان عليه خلق جبة وخلق قميص قد رقعهما ونزعهما عن بدنه ورماهما عند الضريح وخرج من عندي باكيا فأدركيه واكسيه قال ثم قدمت الي القماش الذي جاءت به فاذا هو بردتان احداهما لونها صاف والاخرى لونها كحلي وثوب بعلبكي رفيع وبطائن كذلك وشقة شرب قال فتسامع الجيران بذلك فجاؤا اليها وسلموا عليها وقاموا اليها قال فأقامت معهم ساعة وأنا ملفوف بالملاءة ثم عمدت النساء الى القماش فاخذوه ففصلوه ملوطي طرح وملوطي بعلبكي وقميصي شرب ثم أخذت كل امرأة شيأ من القماش وجعلن يخطن ذلك فما أذن الظهر حتى لبست قميصا وملوطية طرحا وأخذت النساء بقية القماش وخطنه فما كملت ثلاثة أيام حتى كملت الخياطة وكانت خوند زوجة الملك الاشرف قد دفعت الى نفقة كثيرة وأغناني الله من فضله ببركة سيدي رضي الله عنه قلت ومن كراماته ما أخبرني به الفقيه علي نور الدين المعروف بالطوخي المتقدم ذكره قال كنت يوما جالسا في زاوية سيدي وذلك في زمن الملك الظاهر جقمق واذا برجل من بعض المباشرين قد دخل الى الزاوية

وهو موهوج خائف قلت وكان سيدى الكبير جالسا على باب خلوته و بين يديه جماعة فلما وقع نظره المباشر على سيدى هرول اليه مسرعا حتى قبل يده وسلم عليه وجلس بين يديه وشكى اليه حاله وانه قد انكسر عليه مال للامير زين الدين أبى الفرج الاستادار فقال له سيدى ما يحصل الا خير ان شاء الله تعالى قال فاقام ذلك الرجل فى زاوية سيدى تحت نظره مدة أيام فأرسل الاستادار يطلبه و يسأل سيدى فى أمره وأن يرسله اليه وعليه الامان قال فطلب سيدى ذلك الرجل فحضر بين يديه فقال له سيدى ان الامير زين الدين أرسل يطلبك منا وأرسل يقول سيدى يرسله لنا وله الامان فقال له ياسيدى انى أخاف أن يعاقبنى ولا لى قدرة على عقوبته ولا جلد فقال له لا تخف اذهب اليه وأنت تقول ما أقول لك فقال وما أقول ياسيدى فقال قل بسم الله الخالق الاكبر حرز لكل خائف لا طاقة لمخلوق مع الله عز وجل ثم كررها سيدى عليه حتى حفظها ثم طلب خاطر سيدى وذهب الرجل مع قاصد الاستادار فما غاب سوى قدر ساعتين ثم رجع الى سيدى وعليه خلعة سنية و بيده وصول التغليق وأخبر سيدى بانه اعاده الى وظيفته وترك له ما عليه من المال فرحم الله سيدى ما كان أكثر نفعه للناس قلت وأخبرنى سيدى بركات ولد سيدى محمود ولد سيدى الكبير قال بلغنى أن رجلا من التجار المحبين من أهل مصر العتيقة أرسل لسيدى مطبقة فيها خشتنانك وغيره مع رجل من جهته فبينما هو ما رفى الطريق اذ راودته نفسه أن يأكل مما فى هذه المطبقة قال ففتحت المطبقة وكانت نحاسا وهى طبقات طبقة فوق طبقة وهى أربع طبقات أو خمس طبقات غير الغطاء قال فلما أردت ان أتناول منها منعت نفسى وقلت لا أكون خائنا ثم وضعت الغطاء مكانه فوقع لى ذلك ثلاث مرات وأنا أمنع نفسى فلما وصلت الى سيدى وضعتها بين يديه و بلغته الرسالة بالسلام فقال لى جزاك الله عنى خيرا ثم فتح سيدى المطبقة وجعل يطعم الفقراء ويعطيهم بيده المباركة قال فاستأذنته فى الرجوع فقال لى اصبر حتى تأخذ حق طريقك فقبض قبضة أولى فأخذتها فى كمى ثم قبض قبضة ثانية فاخذتها أيضا فى كمى ثم قبض الثالثة وقال لى خذ فقلت ياسيدى هذا كثير فقال اما تعلم انك قد منعت نفسك عن الاكل ثلاث مرات من المطبقة خوفا من الخيانة ولو زدت لزدناك قلت وأرسل آخر من أصحابه مطبقة ملآنة عجمية من مصر العتيقة أيضا مع رجل من خدامه فلما صار بين مصر والقاهرة راودته نفسه على الاكل منها قال فال الى ذروة كوم فى طريقه وأكل منها وسوى موضع أكله بيده فلما وصل الى سيدى وضعها بين يديه وجعل سيدى يفرق على الفقراء حتى فرق على الجميع الا ذلك الرجل القاصد فانه لم يعطه شيأ فقال له ياسيدى بقى العبد فقال له يا ولدى أنت حودت فى ذروة الكوم وأكلت نصيبك فقال ياسيدى أنا أستغفر الله العظيم وأتوب اليه قال فوضع اليه سيدى نصيبه ولم يخيبه فرضى الله عنه ما كان أحسن خلقه وألين كلامه وأرفقه بالناس وأخبرنى رجل من أصحاب سيدى يعرف بالشيخ موسى الجديلى ورأيته وأعرفه رحمه الله وكان عنده طرف وله وكان الغالب عليه سلامة الصدر وحسن

الظن وسداجة باطن *(قال المؤلف)* رحمه الله ان سيدى أعطاه طاقية من طواقيه بيده وقال له ياموسى اجعلها عندك ذخيرة فكل من شكى اليك وجعا برأسه المسه بها بيدك وكل امرأة عسر عليها الطلق اجعلها على رأسها تسهل عليها الولادة واحتفظ عليها واذا حضرتك الوفاة فأمر أهلك أن يجعلوها على رأسك وان تدفن معك فانه يحصل لك بها البركة ان شاء الله تعالى قال فوالله ماشكى الى أحد صداعا برأسه وألبسته طاقية سيدى الا عافاه الله تعالى ولا عسر الطلق على امرأة ووضعتها على رأسها الا تضع سريعا وهى عندى الى الآن حتى تدفن معى وهى على رأسى قلت وكان الامر كذلك رحمه الله وعفى عنه آمين قال وكنت يوما بين يدى سيدى مع الفقراء والسبحة تدار بين يديه والجماعة محدقون به اذ دخل عليه رجل فسلم عليه وقبل يده وقال ياسيدى لى أخ له مدة فى السجن عند تغرى بردى المؤيدى الدوادار وكان هذا فى زمن الظاهر جقمق قال فقال له سيدى توكل على الله ياولدى بلغنى ان هذا الدوادار المذكور طلب أن يحدث ديوان الاحباس المذكور ويمنع المستحقين حقوقهم من الرزيقات ويقطع أرزاقهم وكان هذا الرجل اجتمع باخيه وهو فى السجن وأعلمه بانه يمضى الى سيدى ويعلمه بحاله قال فجلس الرجل بين الجماعة ساعة والسبحة دائرة بينهم وكانت ألف حبة كل حبة قدر الليمونة الكبيرة وهم يقرؤن عليها سورة قل هو الله أحد ثم انقضت السبحة وجمعها النقيب ووضعها مكانها على باب المنبر قال سيدى بعد ذلك للفقراء اقرؤا الفاتحة وادعوا لاخى هذا الرجل بأن الله يحسن خلاصه من السجن فقرؤا الفاتحة وسألوا الله تعالى فى ذلك وأقاموا بعد ذلك ساعة طويلة وسيدى جالس مكانه لم يدخل الخلوة دون العادة فلم يشعروا الا والرجل الذى قد كان فى السجن دخل الى الزاوية فلما رآه أخوه قام اليه واعتنقه وتباكيا ثم جاء به الى سيدى وقال له ياسيدى هذا أخى قد خلص من السجن ببركتك سيدى فقال له أخوه ياأخى كيف وقع لك وما كان سبب خلاصك فقال أنت ماقلت لى أنا أريد أن أمضى الى سيدى واعلمه بحالك قال نعم والله بينما أنا جالس فى السجن فى هذه الساعة اذ أرسل خلفى الامير وقال لى أخرج سافر الى البلد فقبلت يده وخرجت من عنده وجئت الى سيدى قال فصار الناس يتعجبون من بركة سيدى ويبكون فلما هدأ حالهم تقدم الاخوان واستأذنا سيدى فى السفر فأذن لهما فخرج كل منهما من عند سيدى مجبور الخاطر والناس ينظرون اليهما ويتعجبون ثم قام سيدى ودخل الخلوة قال وحضرت ميعاد سيدى رحمه الله فلما انقضى الميعاد وانفض الناس الا القليل واذا برجل دخل الى الزاوية وهو مع رسول فى الترسيم فى زنجير معه والرجل الذى مع الرسول ذو هيبة عظيمة وشكل عظيم وجمال فلما صارا بالقرب من خلوة سيدى جلسا فلما كان بعد هنيهة ظهر سيدى فقاما اليه وقبلا يده فأذن لهما سيدى بالجلوس فجلسا اليه ثم التفت سيدى الى ذلك الرجل وقال له المخدوم من أى البلاد فقال له ياسيدى عبدك الحاج ابراهيم ابن سابق من بلد يقال له دملو فقال له مرحبا بك مرحبا فقال له الرسول ياسيدى هذا من

فلاحى محبك التمرازى وقد انكسر عليه بعض مال وله مدة فى السجن ودلوه على صدقات
سيدى فقال ما يحصل الاخير ثم التفت سيدى الى الشيخ ناصر الدين الغرزر رحمه الله وأمره
ان يذهب الى التمرازى ويأتى به قال فأسرع الغرزر رحمه الله وذهب الى الامير واحضره فى
الوقت بين يدى سيدى فقبل يد سيدى وجلس فاهل به سيدى وصبر هنيهة حتى استقر به
المجلس ثم أقبل على الامير وقال له هذا الرجل بلغنا انه من فلاحيكم وله مدة فى السجن
وما كنت أظن أن المخدوم يقع منه هذا فى حق مسلم لما أعلم فيك من الخير ومحبة الفقراء
فقلت ياسيدى بعد ما جاء الى سيدى ما عاد يحصل له الاخير فقال له سيدى بارك الله فيك كم
لك من المال قال ياسيدى هو يعرف ما عليه فالتفت سيدى الى الحاج ابراهيم بن سابق
وقال كم له عليكم قال له ياسيدى مائة ألف وستون ألف فقال سيدى للامير كم تخلون للفقراء
من هذا المبلغ فقال الامير والله العبد لا يملك مع سيده لا مالا ولا روحا ولو أمرنى سيدى
ان أترك المال جميعه تركته فقال له سيدى اترك للحاج ابراهيم ثمانين ألفا وخذ منه ثمانين
الفا موزعة على الاقساط واخلع عليه وأمره ان يذهب الى بلده يفرح به عائلته وأهله
واجبر بخاطره يجبر الله بخاطرك ويكسرك يوم القيامة بين يديه فقال ياسيدى السمع
والطاعة فعند ذلك أمر الامير الرسول أن يفك عنه الترسيم ثم أرسل الامير الى البيت
فاحضر له خلعة سنية فارخاها عليه بحضور سيدى عليه ورسم ان لا يأخذ منه أحد شيأ
لا ترسيما ولا حق طريق ولا غير ذلك ثم أمره الامير بالسفر الى بلده وزوده سيدى بقراءة
الفاتحة وسافر الى بلده وصار يتردد الى سيدى الى ان انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى
ومما وقع لسيدى ان رجلا دخل الى الزاوية وهو متضعف نحيف البدن مصفر اللون خلق
الثياب كانه خرج من قبر ومعه رجل آخر من السجانين فدخل الى سيدى فوجده
جالسا على باب خلوته وحوله جماعة من أصحابه فقبل يد سيدى وجلس بين يديه قال فنظر
اليه سيدى وقال مرحبا مرحبا مالى أراك فى هذه الحالة فقال له والله ياسيدى لى أربع
سنين فى السجن ما خرجت منه الا فى هذه الساعة وانا قبل ذلك مضى على سنتان وأنا ضعيف
وقد قتلنى الجوع والعرى وأكلتنى البراغيث والقمل والبق فسمعت بسيدى فسألت
السجان أن يخرجنى من الترسيم مع أحد من جهته حتى أجئ الى سيدى واعلمه بحالى
فعطفه الله على وأرسلنى مع هذا الرجل متحفظا بى وأنا ياسيدى من فلاحى الامير طوغان
الاستادار قلت وكان ذلك فى زمن الاشرف برسباى ثم قال الرجل لسيدى فبالله ياسيدى
أنظر فى حالى فانه مالى الا الله قال فالتفت سيدى الى بعض قصاده وقال له اركب وتوجه
الى الاستادار وائتنى به سريعا قال فخرج القاصد مسرعا وركب الى الاستادار فما
ذهبت ساعة يسيرة الا وقد ركب الاستادار وتمثل بين يدى سيدى فلما جلس واستقر به
المجلس قال له سيدى ياطوغان ان هذا القباء الذى عليك مليح قال فاسرع الامير الاستادار
ونزع القباء الذى كان عليه وطواه ووضعه بين يدى سيدى وقال له ياسيدى هذا

القباء صار حلالا لسيدى حراما على فقال له سيدى بارك الله فيك ياطوغان اشتره منى فقال اشتريته من سيدى بخمسين ألفا فقال سيدى ياطوغان أنت بخيل فقال له ياسيدى اشتريته بمائة ألف أزنها بين يدى سيدى فى هذه الساعة قبل أن أقوم من هذا المجلس فقال له سيدى بعتك هذا القباء بمائة ألف فقال له الامير اشتريته من سيدى بمائة ألف كل ذلك والامير يترجم بين يدى سيدى ثم ان سيدى طلب ذلك الرجل الذى كان قال له أقعد فى الزاوية حتى أطلبك قال فلما حضر الرجل ووقف بين يدى سيدى قال سيدى للامير طوغان المائة ألف التى صارت للفقراء عندك خذها عن هذا الرجل الذى له عندك فى الحبس أربع سنين وهو فى هذا الحال أنظر اليه ياطوغان فنظر اليه الامير فعرفه قال وكان على ذلك الرجل الفلاح مائة ألف فقال سيدى للامير طوغان مايكون جوابك عند الله تعالى اذا سألك يوم القيامة عن هذا الرجل وهو فى هذه الحالة من الجوع والعرى والمرض والقمل والبق والقهر وتحمل الهم وضيق الصدر وأنت تتنعم وتأكل الطيبات والشهوات وتنام مع السرارى والزوجات على فرش الحرير والجوارى تخدمك وأنت جالس على السرير وقد نسيت هذا المسكين وهو فى شدة وتعب وأنت فى راحة ونعيم

ومازال سيدى يكرر هذا الكلام حتى أبكى الامير بكاء شديدا وبكى كل من سمع هذا الكلام حتى اشتفى والامير يقول وأنا أستغفر الله العظيم وأتوب اليه ثم ان الامير دفع الى ذلك الرجل وصول التعليق ودفع اليه دراهم يكتسى بها وأذن له أن يقيم عند سيدى فى الزاوية حتى يعافيه الله تعالى فاذا عوفى يسافر الى بلده فاقام ذلك الرجل فى زاوية سيدى حتى شفاه الله تعالى وملك عافيته وشكر الله تعالى على ذلك ثم استأذن سيدى فى السفر فاذن له ومازال يتردد الى سيدى الى ان انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى

وحكالى رجل من أهل أبى صير بلدنا يقال له الريس أحمد ويعرف بابن غير وكان صاحب مركب فقال وقع لى مع سيدى الحنفى حكاية عجيبة وذلك انى كنت فى ساحل بولاق والمراكب فارغة وأنا منتظر رزق من عند الله تعالى واذا بجماعة من جهة الامير بيبغا المظفرى وكان صاحب أبى صير فجاؤا الى المركب ورسموا عليها حتى يبعثها الامير الى الصعيد الى بلد تسمى فرجشوط يوسقها قمحا قال فحصل لى أمر عظيم بسبب ذلك وحملت هما كبيرا فقال لى بعض الناس رح الى سيدى محمد الحنفى فضيت اليه فلم أجده فى الزاوية فقالوا لى انه ركب الى الروضة فضيت الى الروضة فوجدته فلما دخلت اليه وسلمت عليه قبلت يده وقلت له ياسيدى أنا رجل غويب ذو عائلة ولى مراكب وان الامير بيبغا المظفرى طلب يسخرنى ويبعثنى الى فرجشوط أوسق قمحا لشونته وأكون معه فى السخرة حتى ينقضى شغله والعبد ماله جلد على ذلك ويضر ذلك بالعيال فقال لى ايش اسمك فقلت اسمى أحمد فقال لى ياأحمد تعال لى غدا ومايحصل الاخير قال فضيت الى المركب ونمت فيها فلما أذنوا على الماذن قمت وشددت وسطى وأسرعت الى الروضة فى ميعاد سيدى فلما دخلت

عليه

عليه ورآنى سكت زمانا ثم قال لى يا أحمد تردد غدا ان شاء الله تعالى تقض حاجتك قال فمضيت
وجئت اليه اليوم الثالث فقال لى اصبر قليلا قال فأقمت عنده فى ذلك اليوم وأكلت من
سماطه فاذا نحن برجل دخل الى سيدى وقال له يا سيدى ان السلطان قد أخذ يبغا وأرسله
الى الاسكندرية والمدينة فى هذا اليوم فى أمر مريح قال فالتفت الى سيدى
وقال لى يا أحمد قم فاذهب الى المراكب لئلا يحدث فيها حادث
قال فقبلت يده وسألته الدعاء فدعا لى وخرجت مسرعا
فوجدت المركب على حاله فبعث الله لنا بالمعاش
وانحدرنا فى خير وعافية وأمان وكان
ذلك ببركة سيدى أعاد الله علينا
وعلى المسلمين من بركاته
وبركات علومه
آمين

تم الجزء الاول من مناقب السلطان الحنفى ويليه الجزء
الثانى أوله ومن كراماته رضى الله عنه ما أخبرنى به
سيدى أبو الغيث ولد سيدى رضى الله تعالى عنه

(الجزء الثانى من كتاب)

السر الصفى فى مناقب السلطان الحنفى قطب الغوث شمس الدين سيدى محمد التيمى البكرى الشاذلى الصديق رضى الله تعالى عنه تأليف العلامة الفاضل الشيخ على بن عمر الشهير بالبتنونى

(تنبيه)

قد عن لنا أن نطبع أيضا بذيل هذه المناقب بعد حزب النور الرسالة المسماة المآثر النفيسة فى مناقب السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وذلك تتميما للفائدة ولتكون امدادات هذه الطاهرة علينا وعلى جميع المسلمين عائدة

(حقوق الطبع محفوظة وعائدة)

الى الشيخ سليم سيد أحمد شراره القبانى ملتزمها ومظهرها من حيز الخفاء غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين

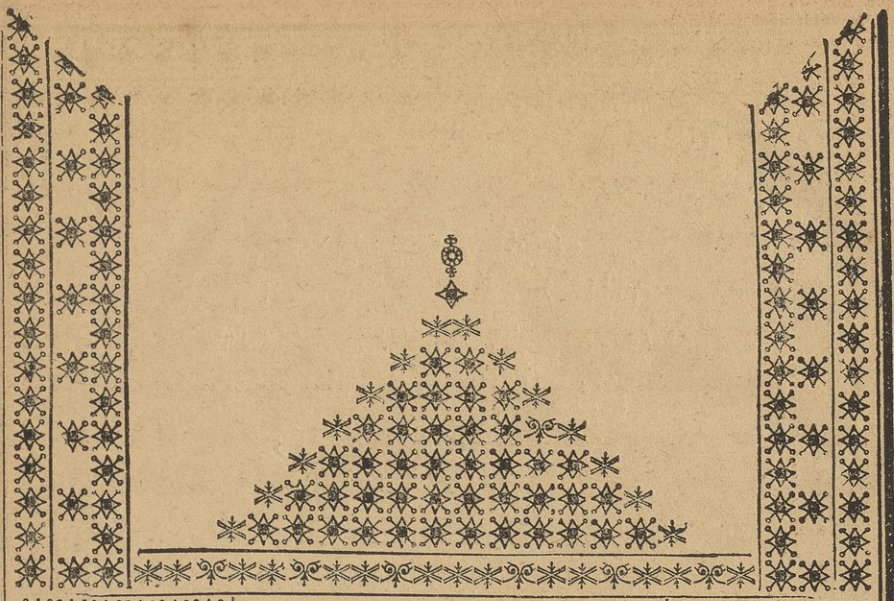

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه القدير الشيخ على البتنونى انى ذكرت كرامات سيدى الكبير شمس الدين محمد الحنفى فجمعت منها البعض وشرعت فى الآخر وهذا أوان الشروع فى ذلك فأقول

فمن كراماته رضى الله عنه ما أخبرنى به سيدى أبو الغيث ولد سيدى نفع الله به قال أخبرنى الوالد رحمه الله ورضى عنه ومتعه بالنظر الى وجهه الكريم ان امرأة من بعض نساء الامراء جاءت الى بيت سيدى فاشرفت على الفقراء المجاورين بالزاوية فرأتهم يأكلون على السماط فتأملت الى الاوانى التى فيها الطعام فرأتهم أصحنارملية صغارا فانكرت ذلك بقلبها جهلا منها ببركات سيدى فاضمرت فى نفسها أنها تصنع أطعمة كثيرة وتدعو سيدى الشيخ وجماعته حتى يأكلوا ويشبعوا فلما رجعت الى منزلها وفعلت ما قالت فى نفسها من انواع الاطعمة واللحومات وذبحت من الغنم ما ذبحت وغير ذلك من الاوز والدجاج وأكثرت ثم دعت سيدى أعاد الله علينا من بركاته وجماعته الفقراء وكان من جملة الفقراء سيدى يوسف القطورى المعروف بابى طاقية فاجابها سيدى والفقراء والشيخ يوسف المذكور قال الشيخ يوسف لسيدى ياسيدى ما جعت قدر هذا اليوم وكان ذلك فى وسط النهار فقال له سيدى أدخل المطبخ فدخل اليه فقدموا له نحو نصف بقرة فاكله فقدموا له شيأ آخر فاكله فازالوا يقدمون له وهو يأكل فخاف الطباخون ان يأكل ما عندهم فاخرجوه وأغلقوا الباب فلما قدموا السماط ووضعوا عليه شيأ كثيرا

من أنواع الاطعمة واللحم وغير ذلك قال سيدى امسكوا أيديكم يا فقراء ثم قال يا يوسف كل
ما فى هذا السماط قال فجعل يوسف يأكل والناس ينظرون اليه حتى أكل جميع ما كان
على السماط فلما ركب سيدى ورجع الى الزاوية ادركته المرأة صاحبة الطعام ودخلت
الى البيت فقال لها سيدي يا فلانة قد عرفت ان البركة فى طعام الفقراء وفى أوانيهم فقالت
له يا سيدى أنا استغفر الله العظيم واتوب اليه فقال بعض الفقراء لسيدى يوسف المذكور
يا سيدى ما صنعت بالطعام الذى اكلته كله قال اوصلته الى الاسارى الذين هم ببلاد الافرنج
واخبرنى الفقيه شهاب الدين السملاوى المعروف بابن النجار قال بلغنى ان سيدى لما نزل
الى الغربية طلع الى بلدة يقال لها قطور وهى بلد الشيخ يوسف المتقدم ذكره فاقام بها عند
اصحابه يومين فلما أن أراد ان يركب للسفر اذا برجل جاء الى سيدى ومعه صحن كبير من
عسل النحل وصحن كبير ملآن من البيراف فوضعهما بين يدى سيدى وقال بالله يا سيدى
أجبر بخاطرى قال فاكل سيدى من ذلك واكلت جماعة الفقراء ثم قال سيدى يا جماعة
من فيكم يأكل هذه اللقمة من العسل عن سيدى ابى العباس ولقمة أخرى من البيراف
بشرط ان تنزل اللقمتان الى بطنه قال فما رد احد على سيدى جوابا فقال سيدى انا آكل
عنه ذلك قال فاكل سيدى لقمة من العسل ولقمة من البيراف ثم امر برفع الصحنين وقال
لصاحب العيش ارفع العيش واطعمه لاهل البيت بحسب البركة ثم ركب سيدى وسافر
فلما دخل سيدى الى البيت وسلم عليهم خرج الى سيدى ابو العباس قال فجلس سيدى
ابو العباس بين يدى سيدى وقال يا سيدى من أعجب ما جرى لى منذ يومين كنت جالسا فى
مكانى هذا اذ دخل على فلان الحاكى ومع غلامه صحنان احدهما فيه عسل نحل والآخر
فيه بيراف ووضعهما بين يدى وقال يا سيدى كل من هذين وابعث البقية الى بيت سيدى قال
فاكلت من هذا لقمة ومن هذا لقمة ثم حملت الصحنين ومشيت بهما الى الباب وقلت يا فرح
احمل هذا الى أهل البيت واخبرهم انه من عند فلان فتبسم سيدى ونظر الى الفقراء
الذين كانوا معه فى ذلك الوقت وحكوا ذلك لسيدى ابى العباس قال سيدى ابو العباس الله
أكبر والله انها بركة كبيرة وأخبر بذلك ايضا الفقيه نور الدين المخلصى شيخ المخلصية بصندفا
الا انه اخبرنى ان القضية كانت ببلدة يقال لها سيلا وهو المرجح فان سيدى نور الدين المخلصى
كان اسن من الفقيه احمد بن النجار وقد صحب سيدى قبله بسنين كثيرة والله اعلم واخبرنى
الشيخ نور الدين على المعروف بالسيناسى وكان من اصحاب سيدى المتقدمين قال وكنت
مع سيدى بالروضة بجملة الفقراء والفقراء جلوس بين يدى سيدى اذ دخل عليه مغربى
وعليه آثار السفر والخير والصلاح والخفر فسلم على سيدى ووقف بين يديه وقال يا سيدى
اسألكم عن شئ فى الطريق الى الله تعالى قال له سيدى اسأل قال فسأله مسألة فى علم
التصوف فاجابه عنها ثم سأله عن مسألة أخرى فاجابه عنها فقال له سيدى اسأل يا مغربى عما
شئت أجبك وان لم يكن عندى جواب اجبك من اللوح المحفوظ قال فعند ذلك بهت

كل من فى المجلس حتى صار لهم ضجيج ثم طلع المغربى من عنده فطلبناه فلم نجده قال سيدى للجماعة اتعرفون من هذا قالوا لا ياسيدى فقال لهم هذا رجل من الرجال المعدودين ببلاد الغرب جاء كم يعلمكم الادب مع الاستاذ يعنى انه مع علو مرتبته وارتفاع منزلته لم يقدر ان يسأل سيدى عن تلك المسائل الا وهو واقف بين يديه بادب قلت وكيف لا يكون ذلك وقد كان يحضر مجلس سيدى فى ميعاده مثل الشيخ جلال الدين البلقينى الذى قال لسيدى بعد ما انقضى مجلسه وانصرف وجلس بين يديه والله ياسيدى رأيت اربعين تفسيرا للقرآن وطالعت فيها ما رأيت هذا التفسير الذى ذكره سيدى فى هذا المجلس وكان اذ ذاك الوقت قاضى القضاة وممن حضره ايضا فى مجلسه شيخ الاسلام العينى الحنفى وكذا حضر مجلسه ايضا شيخ الاسلام شمس الدين البساطى المالكى وكذا القاضى علم الدين الاخنائى وكذا شيخ الاسلام الشيخ سراج الدين البلقينى الذى قبل سيدى بين عينيه وقال له انت تمكث فى الارض زمانا طويلا لان الله تعالى يقول وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض وانت تنفع الناس قلت وسمعت سيدى رضى الله عنه يقول فى بعض مواعيده لما ان استغرق فى الكلام حتى خرج عن افهام الناس وههنا كلام لو ابديناه لكم لخرجتم مجانين ولكن نطويه عن غير أهله وكان يحضر مجلسه جماعة من أهل الوعظ ومن طلبة العلم ومعهم مشايخهم ومعهم الاوراق والمحابر يكتبون كلام الاستاذ ويخبرون عنه ويتبركون به وكذلك العباد المنقطعون فى الجبل المقطم والكهوف والمغارات وسكان القرافة جميعهم يحضرون مجلس الاستاذ رحمه الله تعالى وكان للاستاذ أحوال عجيبة مع الله تعالى لا يعلمها غير الله منها انه ظهر يوما من الخلوة وطلب شهاب الدين امام الزاوية وخطيبها وناظر الكتب وفقيه مكتب السبيل وقد كنت معه فى المكتب أساعده فى قراءة الاولاد وقد كان يعرف بالشيخ شهاب الدين بن المسدى قال فلما حضر بين يدى الاستاذ قال له جهز حالك للسفر مع الحج واذا دخلت الى مكة كن مقيما بها وانزل فى رباط ربيع ولا تخرج منه ولا تقطع أخبارك عنا قال وكان قد بقى على خروج الحج ثلاثة أيام قال فامتثل ما أمره به الاستاذ وجهز حاله وسافر الى مكة المشرفة فاقام فيها نحو العشرين سنة وتوفى بها ولم يخرج منها الى حين ما علم بانتقال الاستاذ فجاء الى هذه البلدة قاصدا الى زيارته وعاد الى مكة وقد كان فى كل سنة يرسل الى الاستاذ من الهدية ما يلائمه ولا يقطع اخباره عنه وقد صار شيخ رباط ربيع وهو رباط معروف بمكة وكان للاستاذ بمكة رجل من أصحابه يعرف بابى العباس وهو من مشايخ الصوفية فنزل الشيخ شهاب الدين عنده باذن الاستاذ وأرسل له سيدى كتابا معه بالوصية عليه قال ولما جاء الشيخ شهاب الدين بن المسدى الى الاستاذ ليودعه عند السفر بكى عند فراقه ثم قال ياسيدى هذا الفراق فتى الاجتماع قال يا أحمد فى الجنة ان شاء الله تعالى قال فازداد حزنا على حزنه وبكاء على بكائه قلت ومما وقع لسيدى زين خلف المشالى مع الاستاذ ان الاستاذ ظهر يوما من الخلوة وقال اطلبوا لى الشيخ خلفا قلت

وكان الشيخ خلف من أهل الفضل والعلم وهو أحد مشايخى وقد كان حنفى المذهب رحمه الله قال فلما حضر الشيخ خلف وجلس بين يديه قال له جهز حالك واذهب الى البرلس ولا تخرج منه الا باذن منا فقال سمعا وطاعة ثم قال له وادع الناس الى الله تعالى واشغل من تختار منهم بالعلم قال وكان للشيخ خلف فى المذهب مصنفات منها شرح مجمع البحرين لم يسبق اليه ولم يكمله وقد عمل فيه قطعة عظيمة أبدع فيها وأغرب وله شئ فى المعانى والبيان وكان عالما فى علم البديع وله باع طويل فى المناظرات وصحبته شهرا وقرأت عليه متنا وشرحا قال فلما دخل الى البرلس باذن الاستاذ أقام بها سبع سنين يعلم الناس ويفقههم فى الدين ويدعوهم الى الله تعالى حتى انتفع منه خلق كثير وانتموا اليه وتعرفوا به قال فلما مضت السبع سنين أرسل اليه الاستاذ يطلبه فحضر واقام عنده بعض أيام قلائل ثم أمره بالاقامة فى مصر العتيقة قال فلما سجن ابن الاشرف بالاسكندرية وتسلطن الملك الظاهر جقمق أرسل الى الاستاذ يطلب منه الشيخ خلفا ليشتغل عليه فى مذهب الحنفى فاستأذن الاستاذ فاذن له فتوجه الى الاسكندرية واجتمع بالعزيز فرتب له جراية وما يحتاج اليه من المأكل والمشرب والملبس وأمره بالاقامة فى الاسكندرية فاقام بمدرسة هناك قال ولما دخلت الاسكندرية مع سيدى أبى الفضل رحمه الله اجتمع به وعزم عليه واضافه فى مدرسته التى هو مقيم بها قال سيدى أبو الفضل نزل ببعض المدارس ثم أرسلنى الى سيدى خلف وأرسل الشيخ شمس الدين بن القصبى المالكى الذى كان تولى القضاء بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم فذهب العبد بصحبة الشيخ شمس الدين بن القصبى وأرسل الشيخ أبو الفضل معنا فرسا الى سيدى خلف ليركبها فاجتمعنا بالشيخ خلف وسلمنا عليه وقال لنا يوم مبارك وظن اننا جئنا بغير صحبة أحد فقلنا له ان سيدى أبا الفضل حضر الى الاسكندرية فى المكان الفلانى فعند ذلك نهض مسرعا وخرجنا معه ماشين الى أن وصلنا الى الشيخ أبى الفضل فقام اليه وسلم كل منهما على الآخر ثم ان سيدى خلفا حلف على الشيخ أبى الفضل فقام معه الى المدرسة التى هو فيها فمد له سماطا فيه جبن وعسل وقال ذلك فى خاطر الفقراء فبينما نحن نأكل على السماط واذا بنائب أمير الاسكندرية قد جاء الى الشيخ أبى الفضل فجلس خلف المنبر حتى ارتفع السماط فقام اليه أبو الفضل واعتنقه وكان له به معرفة ثم ان الامير حلف على سيدى أبى الفضل أن يكون تلك الليلة القابلة عنده فى منزله دار السعادة قال فتوجهنا معه وأقمنا عنده تلك الليلة الى الصباح وكانت ليلة عظيمة قال فلما أصبحنا جاء الينا قاضى القضاة الشيخ شهاب الدين بن المحلى فاقمنا عنده فى ضيافته أربعة أيام وأرسل يقول للامير لا تكلف خاطرك لسيدى أبى الفضل فى شئ قال فلما مضت الاربعة أيام ركب سيدى أبو الفضل وخرج معه قاضى القضاة حاتم زمانه فى الكرم والسخاء ثم رجعنا الى البلاد فى عافية وأمان وما أحسن ما قال بعضهم

*مضت لنا أوقات * بالانس والمسرات * ترى يرجع مافات * يا دمعتى فسيلى من العينات *

ومن كراماته ما أخبرني به الشيخ فتح الدين السكندري وكان من أهل العلم قال كان والدي من أصحاب الاستاذ الحنفي وكان تاجرا صاحب مال فقصد الحج ومعه من القماش الاسكندراني ماله صورة فلما دخل مصر قصد الى زيارة الاستاذ حتى يأخذ بخاطره فلما دخل عليه أهل به ورحب وقال له يوم مبارك فقال والدي خاطرك على محسوبك فانه يريد السفر الى الحج في البحر قال فسكت الاستاذ هنيهة ثم قال له ان كان ولابد فلا تسافر في مركب جديدة فقال سمعا وطاعة قال فلما وصلت الى الطور وجدت مركبا جديدة ورأيت جماعة من أصحابنا التجار قد نزلوا فيها وقالوا لي يا فلان بالله لا تسافر الا معنا فقلت لهم مالي عدل في السفر واحتجيت لهم باني ضعيف فقالوا لي ان كان ولابد فارسل ما معك من القماش معنا أمانة فاذا شفاك الله فالحقنا في مركب غير هذه قال فانصاع عقلي لكلامهم ووضعت القماش الذي كان معي معهم وتأخرت عنهم يومين قال فلحقتهم في مركب أخرى فلما سار واغير قليل الا وجدت مركبهم قد انكسرت وذهب جميع ما فيها من القماش وما وصلنا الى جدة الا ونحن في كرب عظيم وقد صرنا فقراء لا نملك شيأ من الدنيا الا القوت اليومي قال ولده الشيخ أبو الفتح وما مات والدي الا فقيرا ومن كراماته ما أخبرني به الشيخ شمس الدين بن عمر قال بينما أنا نائم ذات ليلة اذ رأيت نبي الله يعقوب عليه السلام يشير الى الاستاذ بيده وهو يقول لا يبلغ الرجل مقام الاولياء حتى يكون مثل هذا يعني محمد الحنفي قال فاستيقظت من نومي فرأيت وجه الاستاذ يتلألأ نورا ومن كراماته ما أخبرني به ظهير الدين المؤذن وقد كان رجلا دينا قال رأيت الاستاذ ظهر يوما من خلوته وقال اطلبوا لي يوسف أبا طاقية قال فلما حضر بين يديه قال له يا يوسف أخرج في هذه الساعة الى ناحية قليوب ولا تكلم أحدا في الطريق ولو كلمك أحد لا تكلمه ولا تغفل عن ذكر الله تعالى فقال له سمعا وطاعة ثم خرج من ساعته الى ناحية قليوب وهو يذكر الله تعالى واذا هو بثلاثة رجال يقرب البلد راكبين على خيولهم ومع كل واحد منهم رمح ومتقلد بسيف قال فتوجهوا نحو الشيخ في الطريق وقالوا له أين تريد أيها الشيخ فاشتغل بذكر الله زيادة فقال واحد منهم ما أنت الا ذكاري فجعل يذكر ولا يلتفت اليهم حفظا لوصية الاستاذ قال فلما رأوا منه ذلك احتقروه وتركوه في حاله وصاروا يتبعونه من بعيد حتى دخل قليوب فدخل بعض الازقة فوجد مسجدا فدخله وكان على وضوء فصلى ركعتين لله ثم جلس يذكر الله وكان هؤلاء الجماعة من أهل قليوب وكانوا يقطعون الطريق ومسكنهم في ذلك الزقاق قال فلما رأوا الشيخ دخل ذلك المسجد ذهبوا الى منازلهم ووطنوا خيولهم ورجعوا الى المسجد فتوضؤا وصلى كل واحد منهم ركعتين ثم قالوا للشيخ صل بنا صلاة العصر فاقاموا الصلاة وصلى بهم ثم جلس يذكر الله فجلسوا معه وذكروا الله وكذلك صلى بهم صلاة المغرب ثم ذهبوا لمنازلهم وحملوا بعض زاد فاخر فلم يأكل منه شيأ لانه عرف أنهم قطاع الطريق وان كسبهم حرام وجعل يذكر الله الى وقت العشاء

فاقام

فأقام الصلاة وصلى بهم صلاة العشاء وجلس يذكر الله الى أن أخذ مشروبه فختم الذكر ودعا الله تعالى وقام الى جهة من جهات المسجد فوضع جنبه على الارض ليستريح سويعة قال فنام الجماعة كلهم بعيدا عنه ولم يذهبوا الى منازلهم قال فلما جاء الثلث الاخير من الليل قام الشيخ يوسف لورده فلما أحسوا به قاموا أيضا وتوضؤا وصلوا معه ماشاء الله تعالى ثم جلس يذكر الله تعالى فجلسوا يذكرون الله معه الى أن صلى الصبح وصلوا معه صلاة الصبح ثم قرأ الشيخ يوسف حزب الاستاذ حتى فرغ منه وهم يسمعون له قال فلما طلع النهار خرج الشيخ يوسف يريد القاهرة ويعلم الاستاذ بما وقع له فخرجوا معه وقالوا له والله ياسيدى نحن صرنا عبيد الك ولا نفارقك ونحن معك حيث ماتتوجه كل ذلك وهو يذكر الله وهم يتبعونه الى أن وصل الزاوية فدخلوا معه الى الاستاذ وكان سيدى فى تلك الساعة على باب الخلوة فتقدم اليه الشيخ يوسف وقبل يده فقال له بارك الله فيك يايوسف كما حفظت الوصية وجئت بالجماعة قال فلما رأوا الاستاذ ورأوا ما عليه من الهيبة والوقار انكبوا على قدميه يقبلونهما ويبكون ويقولون ياسيدى نحن عبيدك وقد تبنا على يديك ونحن نستغفر الله ولا نعود الى ما كنا فيه قال والاستاذ يقول لهم ما يحصل الا كل الخير ثم أخذوا عليه العهد وبايعهم على الكتاب والسنة وأكل الحلال وترك الحرام والشفقة على خلق الله تعالى والعمل بالطاعة فقبلوا ذلك من الاستاذ وأقاموا عنده ذلك اليوم والليلة قال فلما أصبحوا استأذنوا من الاستاذ بالرجوع الى قليوب وهم يبكون فاذن لهم وصاروا من جملة الفقراء المحبين ولا يقطعون حضور ميعاد سيدى وكل قليل يزورون سيدى ويتمتعون برؤيته ويلازمون الاذكار والاحزاب وصاروا من أهل الاجتهاد والصيام والقيام وكانوا فى الورع يضرب بهم الامثال ومن كراماته ما أخبرنى به الشيخ شمس الدين بن عبد القادر وهو معروف بالصدق والديانة والعدالة والصيانة قال أخبرنا الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله قال جاء رجل الى الاستاذ وقبل يده وجلس بين يديه ثم قال ياسيدى قد بلغنى انكم تعلمون علم الكيمياء والمقصود من سيدى ان يعلمنى هذا العلم ليغنينى عن سؤال الناس واستعين بذلك على طعام الفقراء والعيال قال فقال له الاستاذ ان أردت ذلك فاقم عندنا سنة كاملة بشرط انك كلما أحدثت تتوضأ وكلما توضأت تصلى ركعتين فقال سمعا وطاعة ياسيدى فأقام ذلك الرجل فى زاوية الاستاذ سنة كاملة على هذا الحكم قال فلما بقى من السنة يوم واحد تقدم الرجل الى الاستاذ وقال له ياسيدى غدا آخر السنة فقال له فى غد ان شاء الله تعالى تقضى حاجتك قال فلما كان من الغد قال له الاستاذ قم واملأ دلوا من البئر لاجل الوضوء فقال له سمعا وطاعة قال ثم قام وشمر اكمامه وشد وسطه وملأ من البئر دلوا فطلع الدلو مملوأ فضة قال فصبه فى البئر والاستاذ ينظره ثم ملأ دلوا آخر فطلع مملوأ ذهبا فقال له الاستاذ خذ من ذلك ماشئت فقال والله ياسيدى ما فى شعرة تشتهيه فقال له صبه مكانه واذهب الى بلدك فانك قد صرت كلك كيمياء قال فعند ذلك ذهب ذلك

الرجل الى بلده وأقام فى زاوية هناك وصار يدعو الناس الى الله تعالى حتى انتفع على يديه خلق كثير وأرسل يقول للاستاذ ياسيدى والله هذه هى الكيمياء الحقيقية فجزاك الله عنى خيرا قال ومات ذلك الرجل عن فقراء ومحبين ومعتقدين وكلهم متبعون طريقته حتى لحقوا به رضى الله عنه وأخبرنى سيدى شمس الدين بن عبد القادر قال أخبرنى الشيخ شمس الدين بن كتيلة قال كان الاستاذ اذا صلى كان يصلى عن يمينه أربعة روحانية وعن يساره أربعة جثمانية فاما الاربعة الروحانية فهم من الملائكة وأما الاربعة الجثمانية فمن أولياء الله ولا براهم الا الاستاذ وأخبرنى الشيخ أبو الخير عن ابنة الاستاذ واسمها الست قطر الندا قالت كانت لى ابنة صغيرة فوقعت من أعلى مكان عندنا فى البيت قالت فاندهلنا وصحنا بأعلى أصواتنا وقلنا أدركنا ياسيدى محمد ياحنفى فانسعر الا وشخص قد وضعها بين يدى وقال ياسيدة خذى ابنتك فهى سالمة قالت له من تكون قال أنا من الجن من اتباع الاستاذ وقد كنا عهدناه ان لا نضر أحدا من أولاده ولا من اتباعه الى يوم القيامة ولا نستطيع أن نخالفه وأخبرنى الشيخ نور الدين المخلصى قال لما توفى الشيخ أبو بكر الطرينى وقد تخلف بعده أخوه سيدى محمد فكان أبو بكر قد عهد الى أخيه سيدى محمد عند موته أنه يلازم باب المدفن ولا يفارق عتبة الضريح فاقام سيدى محمد على ذلك مدة من السنين قال الشيخ نور الدين فبينما أنا نائم فى بعض الليالى اذ رأيت الاستاذ فى المنام وهو راكب على فرس بيضاء وهو واقف على باب زاوية المخلصية وحوله جماعة ومن جملتهم الشيخ محمد الطرينى والاستاذ يقول سلموا على أخيكم محمد الطرينى فانه قد أعطى الولاية فى هذه الليلة قال فلما استيقظت صليت الصبح ومضيت الى الزاوية فوجدته فسلمت عليه وأخبرته بالمنام فقال لى بشرك الله بالجنة يانور الدين وجزاك الله عنا خيرا قال فما مضت بعض أيام قلائل حتى هرعت الناس اليه وازدحموا عليه وكثرت حوائجهم اليه وشاع ذكره وانتشر أمره وقد أعطى الشفاعة عند الملوك وغيرهم من الامراء وابناء الدنيا وأرباب الدول والمناصب والحكام وأكابر البلاد فلا ترد له كلمة ولا يخالفه أحد فى شفاعته وكانت الولاة والكشاف والقضاة يترددون اليه فى الزاوية ويتأدبون فى حقه ويقضون له حوائجه ولم يزل مؤيدا منصورا وكان كلامه لا يرد وذكره وتسبيحه لله لا يعدع ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فرحم الله سيدى محمد الطرينى ورضى عنه وجعل الجنة مثواه ونفع به وبسلفه آمين ما كان أشفقه على المسلمين وأعزه لاهل الحق والدين فلقد كان سيدى كلما سمع عنه ذلك الامر يقول اللهم زده خيرا وأعنه على الخير واجعله ممن يهدى به آمين ومما وقع للاستاذ ما حكته ابنته الست قطر الندا الملقبة بام المحاسن قالت كنت مع والدى بالروضة بالقاعة الكبرى المطلة على بحر النيل السعيد فلما كان وقت الغروب واذا بشئ مثل الندا قد ملأ الجو واذا بجماعة صاعدين من البحر عليهم الثياب البيض الزاهرة والعمائم النظيفة والطيالسة نازلة على أعقابهم وعليهم أنوار وبهاء عظيم فدخلوا من طيقان القاعة

واصطفوا للصلاة فلما قام الاستاذ لصلاة المغرب صلوا معه جميعا بصلاته قياما وركوعا وسجودا فلما سلم الاستاذ سلموا وذكر سيدى وذكروا ودعوا الله تعالى ودعوا ثم تقدموا الى الاستاذ وقبلوا يده ونزلوا من الموضع الذى صعدوا منه الى البحر بثيابهم وكان ذلك فى منتهى زيادة النيل قالت فقلت ياسيدى اما تبتل ثيابهم من الماء فتبسم وقال هؤلاء جماعة من عباد البحر ومسكنهم فيه جاؤنا للزيارة وقال الشيخ أبو الغيث قد حكت لى أيضا سيدتى قطر الندا قالت قام الاستاذ لورده فى الليل فرأى فى دور القاعة التى فى بيته رجلا واقفا فقال له الاستاذ من أنت فقال ياسيدى لص فقال له اسرق واقض شغلك فقال ياسيدى ما أقدر أتحرك بحركة قط فدعاه الاستاذ عنده فجاء اليه فجعل سيدى يتلطف به ويقربه اليه وهو يقول ياسيدى تبت الى الله على يدك قالت فكانت توبته صادقة واستمر فى خدمة والدى بالزاوية الى أن توفى الى رحمة الله تعالى قلت وأخبرنى الشيخ أحمد المعروف بابن لاشين الابوصيرى قال مما وقع لى مع الاستاذ رحمه الله انى كنت واقفا ذات يوم فى الزاوية فدعانى الاستاذ فاسرعت اليه ووقفت بين يديه فقال يا أحمد أخرج فى هذه الساعة الى القاهرة وشق شوارعها وأسواقها وارفع صوتك بين الناس وقل ياأهل الاشواق من أهل الاسواق يقول لكم محمد الحنفى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى أفانت تقدر تفعل هذا فقلت ببركة سيدى ان شاء الله فقال قم وافعل ما أمرتك به ولا تخالف ولا تخف قال فخرجت من ساعتى وجعلت أشق الاسواق والشوارع وارفع صوتى وأقول ما أمرنى به سيدى والناس يسمعون كلامى ويبهتون ويتعجبون منى ومن قوة جنانى ولم أترك بالقاهرة لا شارعا ولا سوقا ولا قيسارية ولا غير ذلك الا سلكت ذلك الموضع وقلت هذا الكلام وأقمت على ذلك ثلاثة أيام حتى شاع هذا بين العلماء والقضاة والامراء وبلغ ذلك السلطان الاشرف ولم يقدر أحد من أهل المدينة ينطق بكلمة ولا يتفوه بشئ الا أنهم يسمعون ما أقول وهم سكوت قال فمررت ذات يوم على مجلس من مجالس الشهود ووقفت حذاءهم ورفعت صوتى وقلت ياأهل الاشواق من أهل الاسواق يقول لكم سيدى محمد الحنفى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فنادانى رجل من ذلك المجلس فجئت اليه فقال لى بحضرة أصحابه ياولدى ما هذا الا قول الله تعالى ايش كان سيدك قال فلم التفت اليه ووليت عنه وصرت أقول ما كنت أقوله حتى وصلت الى زاوية الاستاذ فرآنى سيدى فدعانى عنده وقال لى ياأحمد ايش جرى لك فى ذلك اليوم ولم يقل لى قبل ذلك اليوم شيئا فقلت ياسيدى جرى لى مع رجل من الشهود ما هو كذا وكذا فقال لى يا أحمد ما عليك منه ولكن ان شاء الله ما يحصل الا خير فكن على حالك ولا تبال قال فصرت ملازما لما أمرنى به الاستاذ فلما كان اليوم الرابع من ذلك اليوم مررت بذلك المجلس الذى فيه الشهود وأنا أقول ما كنت أقول فدعانى واحد منهم وقال لى ياسيدى شئ لله من خاطرك ياسيدى ياشمس دين الله ياحنفى

اما تعرف ياسيدى ما الذى جرى للرجل الذى قال لك ما قال فقلت لا قال انه قد مات بالامس ودفن فقلت انا لله وانا اليه راجعون قال فرجعت واخبرت الاستاذ فقال لى يا أحمد كل شئ بقضاء الله وقدره ثم قال لى لا تعد تفعل ما أمرتك به وحكى أن الاستاذ السيد محمود قال مما وقع لى مع مملوك خاصكى وكان من أصحاب سيدى عمر وكان اسمه شادبك وكان سيدى عمر جعله وصيا على ماله بعد موته قال فدخلت على سيدى عمر وقلت له كيف تجعل هذا وصيا على مالك ويصير له كلام على الاخت وتكون تحت حجره وتحت أمره ويحصل لها بسبب ذلك قهر فقال كيف أفعل فقال اجعل لها النظر وتصير تقبض وتصرف وأنت تعرف ياسيدى انها دينة وأمينة فقال سمعا وطاعة فاشهد عليه بذلك ورفعوا الامر الى قاضى حنفى وحكم بصحة الوصية فبلغ الخبر الى المملوك الذى كان وصيا فشق عليه ذلك وحقد فى نفسه على سيدى محمود وقد أضمر له سوأ فركب المملوك وتوجه الى الوزير المعروف بالبباوى وقص عليه القصة وسلطه على سيدى محمود وقال له خذ منه من المال ما شئت فارسل الوزير الى سيدى محمود فحضر اليه وكان أرمد بعينيه قال فلما وقف بين يديه قال له احضر لى ستة آلاف دينار والا أعلم السلطان بما فعلت قال وكان فى ذلك الوقت والدى قد انتقل قال فامر بى فى الترسيم فاقمت فيه أياما ثم انه أرسل الى فلما وقفت بين يديه أغلظ على فى الكلام وكلمنى كلاما سيأ وسألنى ثم قال لى بعد ذلك نبدل الستة آلاف بستمائة دينار فلم أرد عليه جوابا لانى ليس معى من ذلك ولا دينار واحد ثم قال لى أخرج وائتنى بذلك والا فعلت وتركت وهددنى بالضرب قال وبعد ذلك أمر بالقائى على الارض وأمر بضربى فوالله العظيم لقد رأيت والدى فى هذا الوقت واقفا امامى على هيئته التى كان عليها فى الدنيا ومعه عكاز وهو يشير به الى الوزير قال ففى الوقت أمر الوزير باقامتى من على الارض والهم الله تعالى المملوك ان يقول للوزير ان مرسومكم يكون عندى فى بيتى فى الترسيم فادخلونى فى الترسيم حتى يغلق ذلك المبلغ قال فامر الوزير ان أتوجه الى منزلى وآتيه به قال سيدى محمود فاخذنى بصحبته وأراد أن يوقع بى أمرا فتركته ودخلت منزلى فالهمنى الله تعالى النوم فرأيت فى تلك الليلة والدى وهو يقول لى لا تخف فانك تخلص على أحسن حال فجلست ذلك اليوم فى منزلى فرأيته فى الليلة الثانية كانى نزلت عنده فى قبره وهو جالس فيه وهو يقول لى اما ما كان من أمر شادبك فانه قد انقضى شغله على آخر هذا الشهر فقلت ياسيدى ما يصدقنى أحد فقال قل هذا الكلام ولا تبال بمن كذب أو صدق قال فلما أصبحت واذا بشادبك جاء الينا وجعل يعتذر الى فقلت له ياشادبك انتهى شغلك آخر هذا الشهر فقال لى ياسيدى أنا أستغفر الله العظيم فى حقك ولا تؤآخذنى فقلت له والله اذا خرج السهم من كبد القوس لم يرد قال فكشف لى عن باطنه فرأيت تحت لباسه شيأ كهيئة البطيخة قال لى والله انى رأيت والدك فى هذه الليلة وهو يعاتبنى بسببك وقد ضربنى بحربة بيده فى بطنى فانا أتألم منها الغاية الآن

فقلت

فقلت له والله يا شاديك قد نفذ الامر قال والله فكان الامر كذلك فمات شاديك آخر الشهر قلت وحكى لى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله قال لما تزوجت بابنة الاستاذ ونقلتها الى المحلة الكبرى بعد وفاة سيدى فكانت النساء يأتين اليها ويسلمن عليها فكانت تطعمهن من جميع ما فى المنزل ولا تدع واحدة منهن تخرج حتى تطعمها وذلك من مكارم أخلاقها ومن سخاوة نفسها قال فلما طال الامر على قلت لها يا بنت سيدى أنا ما أقدر على هذا الحال فانى فى ذلك الوقت فقير وأنا على باب الله فقالت له أنا ما أكلفك بشئ تشتريه ولا يكون خاطرك الا طيبا قال فما تم لنا كلام حتى دخلت علينا امرأة ومعها دقيق وأرز وبهجتها جدى سمين وبعض من القرع فقام أهل البيت وأخذوا ذلك منها وذبحوا وطبخوا وأكلنا وقد وسع الله علينا قال فنمت تلك الليلة فرأيت الاستاذ فى النوم وهو يقول لى يا محمد مالك تقهر ابنتى وتقول لها كذا وكذا كم بعت بيتا عليها كم بعت قاعة كم بعت حانوتا عليها فقلت والله يا سيدى ما بعت شيأ من ذلك الا أن الوقت ضيق على الفقير فقال لى يا محمد اجعلنى سبحتك فكلما ضاقت عليك الحال قل يا حنفى قال فامتثلت أمره فوالله ما ضاقت على الا وقلت يا حنفى وأكرر هامرارا حتى يبعث الله لنا الخير من جميع الجهات حتى كنت ما أعرف أضع الرزق فى أى موضع من كثرته وكل ذلك من بركته رضى الله عنه قلت ومما وقع لابنة الاستاذ والدة سيدى أبى الغيث رضى الله عنه أنها لما جلت بسيدى أبى الغيث وكانت فى زمن الوحم قد اشتهت شيأ من طلع النخل وذلك بعد وفاة الاستاذ فارسلت زوجة سيدى الى الخولة الذين كانوا فى الجنينة التى كانت بالروضة تطلب منهم كوز طلع لابنة الاستاذ فجاء القاصد للخولى محمد البطينى ولاحمد بن الشنيف وقال لهما ان بنت الاستاذ طالبة شيأ من طلع النخل فانها تتوحم عليه فقالا سمعا وطاعة قال ثم دخلا الجنينة وصار كل واحد منهما يطلع نخلة لعله يظفر بشئ من الطلع فلم يجدا شيأ من ذلك فقالا للقاصد والله ما وجدنا شيأ فرجع القاصد واخبر زوجة الاستاذ فاخبرت بنتها بذلك فاغتمت غما شديدا قال فلما كان من غداة اليوم الثانى جاء أحمد بن الشنيف أحد الخولة الى بيت سيدى وأرسل لزوجته كوزين من الطلع واعتذر وقال والله ما دلنا عليهما الا الاستاذ فى هذه الليلة جاء الينا منامانا وقال يا أحمد ان ابنتى أمة الله زوجة الشيخ شمس الدين بن كتيلة أرسلت لكم قاصدا تطلب منكم شيأ من الطلع وانها تتوحم فما وجدتم لها شيأ قال نعم يا سيدى ما وجدنا شيأ فقال له افتقد النخلة التى وراء باب الجنينة عن يمينك فتجد فيها كوزين فلما أصبحنا أخبرنى أحمد الخولى بذلك ثم طلع الى تلك النخلة التى دله عليها سيدى فوجد فيها هذين الكوزين وأرسلهما اليكم فهذه كرامة منه رضى الله عنه قلت ومما وقع لسيدى مما يحكيه عن نفسه وقد سأله بعض أصحابه عن سبب تأليفه الحزب المبارك المشهور فقال كنا فى ابتداء الامر محافظين على حزب سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فكان بعض الناس

يستطيلونه فاستخرت الله تعالى وجمعت هذا الحزب من الكتاب والسنة قال فلما فرغت من تأليفه أخفيته ولم أعلم به أحدا وقلت انى لا أظهره الا باذن سيدى أبى الحسن الشاذلى فبينما أنا نائم ذات ليلة وهو يقول لى يا محمد اظهر حزبك الذى ألفته وأمر أصحابك يقرؤنه فقلت يا سيدى ان حزبكم فيه كلمة جمعت خير الدنيا والآخرة فهل فى حزبى شئ من ذلك فقال نعم قلت وما هو قال قولك فيه واعصمنى من كل هلكة قال فلما أصبحت أظهرته باذن سيدى أبى الحسن الشاذلى وأشهرته بين أصحابى فحفظه الناس وداوموا عليه ولله الحمد والمنة قال وسمعت الشيخ شمس الدين بن كتيلة قال كنا فى مجلس الاستاذ رحمه الله وكنا جماعة فجرى فى المجلس ذكر ابليس لعنه الله فقال رجل من الحاضرين لعنه الله فالتفت اليه الاستاذ وقال له ولو كانت لعنته تجوز ولكن لا تعود لسانك الا على الخير قال رضى الله عنه يقول كنت يوما من الايام فى بيت الاستاذ مع ابنته وبيننا طعام ولحم واذا بقط قد تعرض لنا وخطف قطعة لحم من المائدة قال فقلت له لعنك الله وطردته فقالت ابنة الاستاذ يا سيدى ما شأنك تذكر اللعنة على لسانك ثم قامت عن المائدة فقلت لها الى أين فقالت الى والدى واخبره بما وقع منك فقلت لها بالله عليك لا تخبريه فانى أستغفر الله وأتوب اليه قال فرجعت وجلست مكانها على المائدة وهى تقول لى يا سيدى مثلك يقول ذلك وأنت رجل يقتدى بك وتفتى المسلمين فى أمور دينهم فقلت لا أعود لمثل ذلك أبدا قلت وكان الشيخ شمس الدين رحمه الله تعالى يقول عن الاستاذ رضى الله عنه انى سمعته يقول والله ما ذكر فى مجلسى ذمى بسوء ولله الحمد على ذلك قال وكان سبب ذلك ان رجلا كان فى مجلس الاستاذ فقال له كنت عند القاضى ولى الدين بن قاسم فسألته فى شئ من الدنيا فاعطانى أربعين درهما فقال الاستاذ رحمه الله الذى لا شئ لك عنده ما أعطاك خذه فقال الرجل لا اله الا الله ومتى كان القاضى ولى الدين بن قاسم قال فلما سمع الاستاذ منه ذلك نهض من مجلسه قائما ودخل الخلوة وأغلق عليه الباب وصرنا نحن فى خجل عظيم واستحياء منه قال بعض الجماعة لذلك الرجل هكذا تفعل حتى احرمتنا ان نتمنى برؤيته وفرقت بيننا وبينه حتى قال فازددت والله خجلا على خجلى وصرت متحيرا فى أمرى فمضيت الى خلوة فدخلتها وأغلقت على الباب وجلست أستغفر الله تعالى مما قلته قال فلما كان بعد ساعة سمعت خلوة الاستاذ قد فتحت واذا به قد ظهر وجلس مكانه قال فاسرعت اليه وقبلت يده وقلت يا سيدى أنا أستغفر الله مما صدر منى فقال ما أحسن هذا وصرت من ذلك الوقت تابعا لطريقته فرحمه الله ما كان أحسن تعليمه لاصحابه وما كان ارأفه بهم وما كان أشفقه عليهم فجزاه الله عنا خيرا قلت

ومما وقع للاستاذ رحمه الله ان رجلا من أعيان الناس دخل يوما اليه وسلم عليه وجلس بين يديه ومعه شاب من طلبة العلم فسأل الاستاذ فى ذلك الشاب ان يرسل مكاتبة للشيخ شهاب

الدين بن حجران يجلسه فى المكان الفلانى شاهدا من طلبة العلم وهو فقير الحال فكان جواب الاستاذ له ان رأيت ان تركب معنا غدا ة غد الى الروضة فقال سمعا وطاعة قال فلما أصبح ركب الاستاذ فى جماعة من وصحابه وقصد الى الروضة و بصحبته ذلك الرجل الشفيع فبينما الاستاذ سائر بين مصر العتيقة و بين المدينة اذ وقع نظره على ذلك الشاب فوجده مستقبل القبلة مكشوف العورة وهو يبول فى الطريق قال فطلب الاستاذ ذلك الرجل الشفيع فلما حضر قال له يحل لك من الله تعالى ان تشفع فى هذا الشاب وهو يفعل ذلك قال فالتفت الشفيع الى ذلك الشاب فلما رآه على تلك الحالة قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال ياسيدى أنا أستغفر الله تعالى وأتوب اليه ولا أعود أتكلم فى مثل هذا أبدا ولا أقع فيه فانظروا الى هذا السيد العظيم الذى قد أطلعه الله تعالى على هذا الشاب انه يقع منه هذا الامر فى ذلك اليوم وكيف قال لذلك الرجل الشفيع ماترى يافلان ان تركب معنا غدا الى الروضة حتى يريه كيف حال ذلك الشاب فرحم الله سيدى لقد كان ينظر بعين قلبه مالا ينظر بعين رأسه ورأيت الشيخ أحمد بن لاشين الاباصيرى المتقدم ذكره قال قدم فقير الى المدينة فنزل فى حارة تعرف بمعديد فريح فى مسجد فيها تصلى فيه الاتراك وغيرهم وكان ذلك الفقير عريانا وفى وسطه مئزر وسروال وله شعرة اذا حلها تغطى اكتافه فأقام فى تلك الزاوية يذكر الله تعالى ليلا ونهارا حتى هرع الناس اليه وازدحموا عليه وصاروا يحملون له الاطعمة والخبز والهدايا الحسنة والذهب والفضة وصار على بابه القضاة والامراء والتجار وأرباب الدول قال لى أحمد بن لاشين فلما سمعت به مضيت اليه ودخلت عليه فرأيته فى خلوة ورأسه مكشوف وهو عريان وفى وسطه مئزر وهو جالس على سجادة وعيناه محمرتان وهو يذكر الله تعالى ذكرا خفيا والناس يدخلون اليه ويتبركون به وهم يتعجبون من أمره فلما رأيت ذلك ملأت نظرى منه قال ثم رجعت الى الاستاذ وأخبرته بما رأيت منه فقال لى ياأحمد وما اسمه قلت ابراهيم فقال اذهب اليه وقل له يا ابراهيم كلم محمدا الحنفى قال فلما قال لى الاستاذ هذا الكلام غاب صوابى قال فعرف الاستاذ حالى فقال لى مالك يا أحمد اذهب وائتنى به ولا تبال به قال فذهبت اليه بقلب مثل الحديد حتى دخلت عليه فلم أجد فى زاويته أحدا من المخلوقات لا من الرجال ولا من النساء وهى خالية فقلت انا لله وانا اليه راجعون قال ثم دخلت عنده فوجدته جالسا وحده فقلت له السلام عليكم ورحمة الله قال فرد على السلام ثم جلست بين يديه هنيهة وقلت له ياشيخ ابراهيم كلم الاستاذ الحنفى قال فتغير لونه كانه صبغ بزعفران ثم قال لى ياسيدى أكلم من فقلت سيدى محمدا الحنفى فقال أى شئ أكون أنا وما مقدارى حتى يبعث الى الشيخ الحنفى وانى رجل مسكين وغريب قال فقلت له ياشيخ ابراهيم لابد من رواحك اليه قم ولا تتهاون ولا ينبغى أن تتأخر عنه قال فسكت ساعة ثم قال بالله عليك يافقير خذ هذين الزوجين الاوزكلهما أو بعهما وسدعنى

فقلت لا تطل فلابد من رواحك معى اليه قال فرفع طرف السجادة فوجدت تحتها فضة كثيرة فقال يا فقير خذ من هذه الفضة ما يكفيك وسد عنى هذا الطلب فقلت له يا شيخ ابراهيم قم بلا كلام فلابد من رواحك قال فلما رأى منى الجد قام وخرج معى وهو متغير لونه فاخذته ومررت به على مسجد الست مسكة ولم أمر من سويقة السباعين مراعاة لخاطره حتى وصلنا الى باب الزاوية فاراد أن يرجع ثم قال لى يا سيدى سد عنى غيبة الاستاذ وقل له انه وصل الى باب الزاوية واستحى أن يدخل قال فقلت له يا شيخ ابراهيم لا تكره الاجتماع على الاستاذ فان اجتماعك به يحصل لك منه خير كثير وينظر لك وهذه المدينة ما هى قليلة ومثلك يحتاج الى معرفة سيدى ولم أزل به أخاطبه حتى أدخلته الزاوية فرأينا الاستاذ جالسا على باب الخلوة قال فلما وقع نظره على الاستاذ اضمحل وعرف مقام الاستاذ وتلاشى عنده مقام نفسه ولم يعلم ان فى الزاوية خبايا فعند ذلك تقدم الى الاستاذ وجلس بين يديه على ركبتيه طارقا رأسه الى الارض قال فلما رأيت ذلك تأخرت فتكلم معه الاستاذ بكلام خفى وهو طارق رأسه لا يستطيع ان يرد عليه جوابا قال فلما كان بعد ساعة يسيرة قد أشار اليه الاستاذ بالقيام فقام من بين يديه ورجع الى خلفه قليلا حتى خرج من باب الزاوية فمشيت وراءه قليلا ورجعت عنه فلما كان من اليوم الثانى ذهبت اليه لانظر كيف حاله بعد ذلك قال فلما وصلت الى زاويته لم أجد بها مخلوقا ولا لها حسا مثل العادة ولم أجده فخرجت من الزاوية فالتفت يمينا وشمالا فوجدته جالسا على دكان بسويقة السباعين فلما رأيته من بعيد رجعت الى زاوية الاستاذ قال فلما كان آخر النهار مضيت اليه فلم أجده أصلا فسألت عنه صاحب الدكان فقال والله يا فقير ما كان شيأ كان وقد ارتحل من هذا المكان ولم نعلم أين ذهب والزاوية مقفولة كانه لم يكن بها أنيس ولا حس حسيس قال فرجعت الى الاستاذ فقال لى يا أحمد أين صاحبك فقلت سبحان من يعلم بحاله فقال لا اله الا الله والله يا أحمد يا ولدى هذه مائدة لا يجلس عليها طفيلى رضى الله عنه قلت وأخبرنى سيدى محمود رضى الله عنه قال كان من جملة أصحاب والدى امرأة مغربية وكان اسمها منصورة وكانت من الطيارة وهى تحفظ القرآن فقال لها يوما الاستاذ يا منصورة أطعمينا حب العزيز فقالت سمعا وطاعة فغابت مقدار عشرة أيام من غير زيادة ثم حضرت ومعها حب العزيز أخضر بعروقه فقال لها الاستاذ من أين هذا قالت من جهة يزرعونه للصدقة على الفقراء فقال لها الاستاذ هو صدقة عليك وهدية لنا قال وكان من جملة أصحابه امرأة تسمى مرحبة قالت له يوما يا سيدى ما أحسن السجود بين الملائكة على السماء فقال لها محبة الله خير من ذلك قال فاستغرقت فى المحبة ثلاثة أيام فلما أفاقت قال لها يا مرحبة شاهدت مقاما يليق بك ومما اخبرنى به الفقيه علم الدين سليمان السملاوى رحمه الله قال كنت يوما واقفا بزاوية الاستاذ الحنفى مع بعض الفقراء واذا بقائل يقول يا سملاوى كلم الاستاذ قال فاسرعت اليه وتمثلت بين

يديه

يديه فقال ياسليمان اخرج فى هذه الساعة وانت تذكر الله ولا تغفل عن ذكر الله حتى تصل الى مصر العتيقة ثم عد الى الروضة فاذا طلعت البهاشق فى شوارعها وانت تذكر الله وعليك بالمواضع الخربة المهجورة وأكثر من ذكر الله فيها حتى تشهد لنا المواضع والبقاع والخرابات والعمران والطرقات يوم القيامة قال فقمت من ساعتى وخرجت وأنا أذكر الله تعالى جهرا رافعا صوتى حتى وصلت الى مصر العتيقة ثم عدت الى الروضة ومشيت فى شوارعها ثم دخلت الى المواضع الخربة المهجورة وأنا أذكر الله فيها فرأيت دارا خربة فدخلتها فاذا فيها عبدا سود وبين يديه رجل ذا هيئة عظيمة كهيئة القاضى وتحت ذلك العبد سجادة مفروشة وذلك الرجل يقرأ فى كتاب والعبد يشرح له فيه قال فلما دخلت ذلك الموضع قلت السلام عليكم ورحمة الله فردا على السلام فقال لى ذلك العبد كان الاستاذ الحنفى أمرك بذلك فقلت له نعم فقال لى من وفق للذكر فقد أعطى منشور الولاية قال فلما فرغ ذلك الرجل من قراءته قرأ الشيخ سورة الفاتحة ودعا الله تعالى وقال لى اقرئ الاستاذ منا السلام فقلت له سمعا وطاعة ثم خرجت من عنده وأنا أذكر الله تعالى حتى دخلت على الاستاذ فقال لى ياسليمان ايش جرى لك مع العبد قال فسقطت على الارض كالمغشى عليه فلما رجع الى حالى قلت ياسيدى قال لى من وفق للذكر فقد أعطى منشور الولاية فقال صدق هكذا روى عن سيدى المرسلين صلى الله عليه وسلم قال ثم حكيت له ما رأيت من العبد ومن أدب الرجل الذى كان معه فقال لى ياسليمان أنظر الى هذا العبد الذى لا يعبأ به الناس ولا يلتفت اليه أحد على هذه الحالة التى هو فيها فاياك ياسليمان ان تحتقر باحد من الناس وسلم للناس أحوالهم تسلم فان التسليم أسلم ومن سلم سلم قال وقد كنت قبل ذلك لا أعتقد فى أحد من الفقراء ولا أعبأ بهم حتى أدبنى الاستاذ فأنا الآن اعتقد فى جميع الفقراء وأحسن ظنى بهم واحترمهم واعتقد بركاتهم رحم الله الاستاذ ما كان أحسن ظنه بالمسلمين والطفه بالفقراء والمساكين قلت ولقد بأصدق الفقيه سليمان فى ذلك فلقد كان الاستاذ كذلك مع وجود ارتفاع منزلته وعلو رتبته وعظم شأنه وما أعطاه الله من الهيبة والوقار وقد كانت الملوك والامراء وأرباب الدول والمناصب والمراتب العلية يجلسون بين يديه طارقين رؤسهم الى الارض كأن على رؤسهم الطير من هيبته لا يلتفت أحدهم يمينا ولا شمالا فاذا انصرف أحد من بين يديه لا يقدر ان يعطيه ظهره بل يمشى الى خلفه خطوات حتى يبعد عنه ويعرف ان الاستاذ قد اشتغل بغيره من الناس ومع وجود هذا كله من جملة محبيه رجل يعرف بشمس الدين بن مكى أعرفه كان قد احتاج الى الاستاذ فى حاجة وذكر هاله عسى أن تقضى على يديه فكثرت الناس على الاستاذ حتى اشتغل عنه فانقطع عن الاستاذ أياما وكان يقرأ بجوقة وكان له صوت عظيم وكان يقرأ ليلة ميعاد سيدى وله رفيق آخر يقرأ بجوقة أخرى يعرف بشمس الدين بن كاتب الدجاج

أعرفه وصحبته وكان سليم الصدر حسن الظن بالناس فلما انقطع شمس الدين بن مكى عن عادته وعن حضور ليلة الميعاد عرف الاستاذ أنه قد وجد علة فى قلبه فارسل له بعض الفقراء قال فلما حضر كان الاستاذ فى البيت فظهر فرآه واقفا فكشف الاستاذ عن رأسه واستغفر فى حقه فجعل ابن مكى يبكى ويقول ياسيدى أنا أستغفر الله فالذنب منى لا منك قال فلما هدأ ابن مكى من بكائه أعطاه الاستاذ شيأ من الدنيا له صورة ومما وقع للاستاذ أيضا أنه كان راكبا فى بعض الايام مع أصحابه قاصدا الى الروضة واذا به قد صاح صيحة عظيمة ونزل عن الفرس ثم أخذ طيلسانه من على رأسه وشد وسطه ففعلوا أصحابه كلهم كذلك ثم مشى فمشوا معه فبعد ساعة حل الاستاذ وسطه وركب الفرس فركبوا خيولهم وساروا معه ولم يعلموا لذلك سببا الا أن بعض الفقراء قال كان الاستاذ تحركت عليه نفسه ففعل ذلك تأديبا لها وتواضعا لله تعالى قال سيدى أبو الخير ولد الاستاذ رضى الله عنه قال قلت يوما لوالدى ياسيدى قد اشتقنا الى الروضة فعسى أن تركب الينا ونكون بصحبتك قال حتى تحضر النية الصالحة التى ليس فيها حظ للنفس فدل ذلك على ان الاستاذ رحمه الله كان لا يركب لموضع الا بنية صادقة ليس للنفس فيها حظ ومما وقع للاستاذ فى زمن الملك المؤيد الشيخى ان كاتب السر المعروف بالبارزى عمل وليمة وذبح فيها من الذبائح الكثيرة وطبخ أطعمة مفتخرة مختلفة الالوان وجمع فيها أعيان أهل مصر كالائمة الاربعة وغيرهم من العلماء والقضاة والامراء وأعيان الاغنياء من أرباب الدنيا وأرباب الدول والمناصب ثم أرسل ولده للاستاذ يدعوه الى منزله فلما حضر ولد كاتب السر الى الاستاذ جلس بين يديه وقبل يده وقال له ياسيدى كان والدى كاتب السر عنده فى هذا اليوم وليمة وقد حضر فيها مشايخ كثيرة منهم الائمة الاربعة والعلماء والقضاة وغيرهم ورأى ان المجلس لا يتشرف الا بحضورك قال فنظر الاستاذ الى ولد كاتب السر وقال له والله ياولدى أنتم ماتدعون الناس الى منزلكم تجبرون بخواطرهم وانما تدعونهم يأكلون من طعامكم لتفتخروا به عند الناس وتقولوا عملنا وليمة وحضر فيها فلان وفلان وتجعلون الفقراء فى أفواهكم حكاية ولا تقصدون بذلك جبر خواطر الفقراء والله ياولدى ماوطئ حافر فرسى باب أحد على هذا الوجه الا خربت ديارهم قال فلما سمع ذلك ابن كاتب السر قال له والله ما اعترض عليك ثم قبل يده وخرج من بين يديه وركب الى منزله وأخبر والده بذلك قال فما زال كاتب السر ممقوتا عند الملك المؤيد حتى قتله قال وقد تقدم شئ من ذلك فى أثناء هذا الكتاب قلت وكنا جماعة مع الاستاذ وقد ركب الى التاج والسبع وجوه فلما رجعنا الى المدينة فى اليوم الثانى كنت ماشيا تحت ركاب الاستاذ ورفيقى سيدى شمس الدين السخاوى المعروف بابن القصبى وذلك قبل أن يتولى القضاء بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى أريد أن أسأل سيدى عن الشيخ حسين الحلاج فقلت له تقدم واسأل فتقدم وكنا عن يمين الاستاذ وهو راكب على الفرس فقبل

ركبته فالتفت اليه الاستاذ فقال له ياسيدى ماقولك فى حسين الحلاج فقال رضى الله عنه ونفعنا به هذا قولنا فيه وأما عيرنا كالشيخ سراج الدين البلقينى وغيره فانهم يقولون بخلاف ذلك ومن تواضع الاستاذ رحمه الله انه كان له غلام يقال له الحاج على فانقطع عنه يومين فسأل عنه الاستاذ فاخبر أنه ضعيف فركب اليه الاستاذ وكان منزله فى أطراف المدينة قريبا من مصر العتيقة وركب معه جماعة فلما وصل الى بيت الحاج على نزل عن الفرس وفتح له الباب فدخل اليه وسلم عليه وجلس عنده ساعة وبره بشئ من الدنيا له صورة وهو فى الحاج على رحمه الله بعد ذلك بيومين وجاء الى الاستاذ فى الزاوية وكان الحاج على رحمه الله من أهل الدين والتقوى والعفة والامانة وكان هينا لينا قليل الكلام وكان عزيزا عند الاستاذ رحمه الله وكان سيدى كلما كثر تواضعه زاده الله عزا ورفعة وكساه هيبة ووقارا ولقد كان رضى الله عنه اذا عطس فى مجلسه لم يقدر أحد يجلس اذا سمعه بل يقوم من مجلسه بين يديه سواء كان غنيا أو فقيرا أو قاضيا أو أميرا أو صغيرا أو كبيرا حتى يفرغ من عطاسه فيقولون كلهم يرحم الله سيدى ثم يجلسون ولا يلتفت الاستاذ الى ذلك ولا يعبأ به وهكذا كان حاله اذا طلب الكوز ليشرب فاذا تناول الكوز من سيدى أحمد المغربى نفعنا الله به يقول حينئذ كل من فى المجلس بعد شربه هنيأ ياسيدى ثم يجلسون وكل ذلك من الادب فى حق الاستاذ فسبحان من يعز من يشاء ويذل من يشاء قال وكان يهدى للاستاذ الهدايا من سائر الاقاليم اهدى اليه من الهند هدية من جملتها ثوب بعلبكى فى قصبة غاب فارسى وشاش فى فلقة جوز هندى وسمعته مرة يقول رضى الله عنه اهدى الينا من الروم دويبة تمشى على ثلاث قوائم مؤخرها على رجلين وصدرها على واحدة وكانت قدر الجدى الصغير فاقامت عندنا نحو ستة أشهر وماتت واهدى الى الاستاذ من المغرب هدية من سلطان تونس الخضرى المعروف بمولاى أبى فارس من جملتها مشط لتسريح اللحية اذا فردوه يصير كرسيا كهيئة كرسى المصحف فاذا ضموه يصير مشطا ويسرح به اللحية فاهداه الاستاذ الى الملك الاشرف برسباى ففرح به وأعجبه قال واهدى اليه من مدينة دمشق الشام خوخ ويسمى عندهم دراقا كل واحدة تملأ الكف فارسل للملك الاشرف من ذلك قوطتين فاعجب ذلك السلطان وفرق منه على الامراء وأرباب الدولة على سبيل البركة قال وكان من شأن سيدى أن يهادى الملوك لمنافع المسلمين لكثرة حوائج الناس اليه ولكثرة شفاعته عند الملوك والامراء وغيرهم من أرباب المناصب فكانت مقاصده كلها جميلة رضى الله عنه قلت ولقد دخل عليه رجل فى بعض الايام فوجده جالسا على باب خلوته وعليه ثياب جميلة حسنة وكان الاستاذ يزين مايلبسه ويحسنه بخلاف غيره فتقدم اليه ذلك الرجل فسلم عليه وجلس بين يديه ونظر اليه وهو فى تلك الهيئة العظيمة والجمال العظيم وقال له ياسيدى عن اذنكم أتكلم فقال له تكلم قال ياسيدى طريقتكم هذه ماهى طريقة الاولياء فان

طريقتهم لبس الخشن من الثياب وغيرها فقال له الاستاذ وما مقصودك فقال مقصودى انك تمشى الى القرافة وأنا بصحبتك وتلبس هذه الجبة الصوف التى أنا لابسها وتنزع ما عليك من الملبوس الجميل وقد كان الاستاذ عليه ثوب صوف أخضر شاهق اللون بسجاف طرى قد اهداه له بعض التجار قلت ورأيته على سيدى يوم الميعاد ثم قال له ذلك الرجل نزور القرافة مشاة من غير ركوب قال وقد كان ذلك الرجل يظن بالاستاذ انه لا يطيعه فيما قاله فقال له الاستاذ سمعا وطاعة ثم نهض سيدى من وقته ودخل الخلوة ونزع ما عليه ثم ظهر وقد كان الرجل نزع الجبة الصوف التى كانت عليه فأخذها الاستاذ ولبسها قال وخرجا ماشيين حتى وصلا الى باب القرافة فاذا هما ببعض الامراء وهو راكب بين مماليكه وبين اتباعه فنظر ذلك الامير الى الاستاذ وحققه فعرفه فاسرع بالنزول عن جواده وتقدم اليه وقبل يده وقد كان على الامير قباء وكان غالى الثمن لا يلبسه الا الملوك فنزعه ذلك الامير من عليه واقسم على الاستاذ ان يلبسه قال فاخذه منه ولبسه ثم حلف عليه ان يركب على الجواد الذى كان راكبه وقد صاح على المماليك ان يعينوه على الركوب فحملوه ووضعوه على سرج الجواد والامير ماسك بلجام ذلك الجواد ومشى بين يدى الاستاذ فقال الاستاذ ان كان ولا بد فواحد من المماليك غيرك يفعل ما أردت فصاح الامير على مملوك من مماليكه خضر وقد أخذ بلجام الفرس التى راكب عليها الاستاذ والامير ركب فرس المملوك باذن من الاستاذ وصار وافى خدمته حتى زاروا جميع من فى القرافة ورجعوا الى الزاوية وقد جلس على الدكة المصوبة فى الدرب قال فلما علم أهل البيت بقدوم الاستاذ ارسلوا له الثوب الصوف الذى كان عليه فلبسه وأعطا الامير القباء الذى كان ألبسه لسيدى فابى أن يأخذه فحلف عليه الاستاذ فاخذه ولبسه لعلمه انه ما هو لبسه قال ثم بعد ذلك قبل الامير يد الاستاذ ومشى خلفه حتى خرج من باب الدرب فركب ومضى الى منزله مع مماليكه قال ثم دخل الاستاذ الى الزاوية وجلس على باب الخلوة وطلب ذلك الرجل فحضر بين يديه فقال له الاستاذ يا هذا قد نظرت ما كان فيه فهذا شئ أراده الله تعالى وهو سابق فى علمه القديم فما لك والاعتراض فوالله لولا انك من أولاد الفقراء ما حصل لك خير قال فما كان له جواب الا أنه كشف رأسه واستغفر الله تعالى فى حق الاستاذ وطلب منه المبايعة فقال له الاستاذ امدد يدك فناوله الرجل يده فبايعه سيدى وعاهده وصار من أصحابه وكان يتردد عليه ويحضر ميعاده ولازم خدمته الى أن توفى الى رحمة الله تعالى فرحم الله الاستاذ فوالله ما كان فعله سدى وانما كان عن سائقة ربانية حتى ذكروا عنه رضى الله عنه انه ما اشترى قط كسوة لنفسه ولا فرسا للركوب وانما كان ذلك كله هبة وهدية من الاصحاب والمحبين ولم يتكلف بشراء شئ من الملبوس والمركوب بل يأتونه بذلك باختيارهم من غير سؤال منه لهم ولقد كان من أصحاب الاستاذ رجل تاجر يعرف بعبد القادر وكان له ولد اسمه محمد وكان يقرأ على فى مكتب

السبيل وكان لى عليه فى كل شهر مائة درهم وللعريف الذى يأتى به من البيت الى الكتاب
ويمضى به من الكتاب الى البيت خمسة عشر درهما وكان عبد القادر التاجر فى ابتداء أمره
رجلا فقيرا فأطلع الله تعالى الاستاذ على حاله وانه سيكون غنيا بعد ما كان فقيرا فقال له
الاستاذ يا عبد القادر ان أغناك الله تعالى بعد فقرك ايش تجعل للفقراء المجاورين بالزاوية
فى كل سنة من الزكاة فقال يا سيدى اجعل لهم نصف زكاة مالى فقال له لا ولكن اجعل
ربع زكاة المال فقال سمعا وطاعة ومضى هذا الكلام وكان عبد القادر فى ابتداء أمره
خليعا فى بعض الاسواق ففتح الله عليه وكثر عليه البيع والشراء وعرفه الناس وقصدوه
يبيعون له ويشترون منه واقبلت عليه الدنيا حتى كثر ماله وحسن حاله واشترى له عبدين
وجاريتين وبنى له اصطبلا للخيل وانتقل من الدكان الذى كان فيه خليعا الى سوق الشرب
فكان يذهب اليه راكبا ويرجع الى منزله راكبا وقد تزوج باكثر من امرأتين غير السرارى
ومع ذلك كله لم ينقطع عن الاستاذ ولا عن حضور مجلسه ولا خالفه فيما التزمه من أمر الزكاة
الذى اتفق عليه مع الاستاذ للفقراء المجاورين ومضى على ذلك سنون قال فلما كان بعد
ذلك بعث اليه الاستاذ بعض الفقراء بوصول ليعطيه ثمن جبة صوف أو ثمن عشرة أذرع
ملحم وكان ذلك فى يوم العشر فعبس وجهه وأبى أن يعطيه فرجع الفقير خائبا مكسورا الخاطر
قال فاخبر الاستاذ بما وقع له من عبد القادر التاجر قال فسكت الاستاذ وأطرق رأسه الى
الارض زمانا واذا بعبد القادر حضر بين يدى الاستاذ وهو مكشوف الرأس وهو يستغفر
له قال فقال له الاستاذ والله يا عبد القادر لقد استدركت فارطك أى ما فرط منك والله يا عبد
القادر لو قعدت عنا اليوم ما كان يحصل لك خير فصار يعتذر له ويقول له حلمك يا سيدى
يحملنى فقال له والله يا عبد القادر ما أخاف عليك الا أنك تعود الى حالتك الاولى فقيرا كما كنت
أولا ولكن لا تعود الى مثلها قال سمعا وطاعة تبت الى الله وأنا أستغفر الله قال فما زال
عبد القادر طوعا للاستاذ لا يخرج له عن أمر وعاش مشتورا الى أن توفى الى رحمة الله تعالى
ومن كراماته أنه ركب يوما الى التاج والسبع وجوه وبات به ليلة ورجع فى اليوم الثانى
من بين القصرين ورجع به أصحابه من غير قصد منه قال فعددت بين يديه ثلاثا وثمانين فرسا
غير البغال والحمير وغير المشاة وبين يديه جماعة يذكرون الله تعالى رافعين أصواتهم ومن
خلفه كذلك جماعة يذكرون بالنوبة قال فلما وصل سيدى الى الجامع الاقمر خرج الشيخ
نور الدين الملوانى من درسه الى الاستاذ ليراه ويسلم عليه وكان كلما سمع حس الذكر سأل
الطلبة عن ذلك فأخبروه بان هذا الاستاذ الحنفى فاسرع اليه الشيخ نور الدين فلما رآه
الاستاذ لوى عنان الفرس الى ناحية باب الجامع ومد يده الى الشيخ نور الدين وسلم عليه
فقبل الشيخ نور الدين يد الاستاذ رضى الله عنه قال فلما وصل الاستاذ الى الاشرفية
وتعداها هرعت الناس اليه وازدحموا عليه فمنهم من وصل اليه وجعل يقبل يديه ومنهم من

يقبل اقدامه ومنهم من لم يصل اليه من كثرة الازدحام فجعل يحذف منديله أو شده حتى يصيب به الاستاذ ثم يرجع ويضعه على وجهه ويقول والله ان هذا النهار أبرك الايام ومنهم من يرفع صوته بالدعاء للاستاذ ويقول الله يفسح فى أجلك للمسلمين ومنهم من يقول ما اتخذ الله من ولى جاهل حتى علا النجيج وكثر العجيج وارتفعت الاصوات بالدعاء للاستاذ والثناء عليه وخرج تجار الشرب والتربيعة والحشيبة وهم يقولون الشيخ الحنفى الشيخ الحنفى وصار الناس يتبعونه حتى وصل الى الفاكهانى خارج باب زويلة ومن الناس من مشى معه حتى وصل الى الزاوية ويقبل يده ويرجع وكان يوما مشهودا فسبحان من يعز ويذل والعجب ان من كان راكبا من الامراء والقضاة وواجه سيدى يرجع مع الجماعة الذين فى خدمته حتى لا يجوز على سيدى وهو راكب فاذا وصل الى الزاوية قبلوا يده ورجعوا الى مقاصدهم ويكون ذلك اليوم أبرك الايام عندهم فسبحان من تفضل عليه بذلك ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله العظيم لقد سمعت بعض كبراء الاعيان يقول والله طيب ياحنفى لك مدة خمسين سنة أو أكثر فى هذه الولاية ولا طفئت لك نعمة ولا ردت لك كلمة ولا شفاعة فسبحان المعطى الوهاب ومن مكارم أخلاق الاستاذ رحمه الله ما حكاه الفقير الى الله تعالى تقى الدين عبد الرحمن السويفى قال كنت يوما مارا فى بعض أزقة المدينة فرأيت رجلا من أعيان الشهود وكنت أعرفه واقفا على باب بيته وكان ذا هيئة حسنة فقلت له السلام عليكم فقال وعليكم السلام من أين جئت قلت له من زاوية الاستاذ الحنفى قال فأسمعنى فى سيدى ما أكرهه حتى خجلت من كلامه وكتمت ما معى قال فلما رجعت الى الاستاذ أخبرته بما قال لى ذلك الرجل وسميته له فعرفه قال فاطرق الاستاذ رأسه الى الارض ساعة ثم وضع يده فى جيبه فاخرج منه ثلاث أشرفيات وقال لى خذ هذه واذهب الى بين القصرين فاشتر بها قصبا عراقا وتينا ولوزا وبندقا وجوز قلب وحلاوة جوزية وان فضل معك شئ فاشتر به تفاحا وكمثرى واحمله الى ذلك الرجل وسلم عليه قال فخرجت من بين يدى الاستاذ وامتثلت أمره بالسمع والطاعة وفعلت ما أمرنى به وتوجهت الى ذلك الرجل فوجدته جالسا على باب داره فسلمت عليه ووضعت ذلك بين يديه وقلت له سيدى يقرئك السلام ويسألكم ان تتفضلوا عليه بقبول ما أرسله اليكم واجبر وا بخواطر الفقراء قال فقال لى أنت قلت لسيدى على ما وقع منى فقلت له نعم فقال يا فضيحتى من الله والله يا فلان منذ فارقتنى وأنا نادم على ما قلته ندما عظيما ولا تسأل عما أنا فيه من الخجل فكيف يكون لى وجه ان أقابل سيدى بعد هذا فقلت له طب نفسا وقر عينا فان سيدى عنده حلم عظيم وما يؤاخذك بما قلت قال فسكت ساعة وهو فى شدة الخجل والاستحياء من كلامه المتقدم قال ثم أخذ الهدية وادخلها منزله قال فلما خرج قال لى ما ترى ان أسير فى خدمتك الى سيدى فقلت له سمعا وطاعة ثم سرنا الى الزاوية فرأينا الاستاذ جالسا على باب الخلوة قال فلما وقع

نظره على الاستاذ كشف رأسه ودخل اليه وهو مكشوف الرأس فجثا على ركبتيه وقبل يده وسلم عليه وهو يبكى فقال له الاستاذ لا بأس عليك قال فاخذ ذلك الرجل فى الاعتذار والاستغفار حتى أخذ سيدى عمامته منه وجعلها على رأسه ولم يقم ذلك الرجل من مجلسه حتى بايع سيدى وصار من أصحابه وكان يتردد اليه وحصل له خير كثير من الاستاذ الى أن توفى الى رحمة الله قال عبد الرحمن السويفى فقلت لسيدى حين أمرنى ان اشترى الهدية واحملها الى ذلك الرجل انه يقول فى حقك ما يقول وأنت تبعث له هدية فقال يا عبد الرحمن هذه طريقتنا اما سمعت قول الله فى كتابه العزيز ادفع بالتى هى أحسن قلت وأخبرنى الشيخ الامام العالم العلامة العارف بالله تعالى سيدى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله ونفع به قال رأيت رجلا من المباشرين المنسوبين الى جوهرا الحازن دار خازن دار الملك الاشرف دخل الى الزاوية هاربا منه ويحتمى بالاستاذ وقد كان قد كسر للخازن دار مالا له صورة وضاق عليه الامر بسبب ذلك فهرب من الامير الى الزاوية واحتمى بسيدى فأقام عنده فى خلوة وكان يحبته رجل يخدمه فكان الاستاذ بعد صلاة العشاء الاخيرة يحمل اليه الفرش والغطاء اللائقين به حتى الوسادة التى يضعها تحت رأسه فيتلقى ذلك بعض الفقراء من الاستاذ ويحمله الى خلوة ذلك المباشر وكان الاستاذ يرسل اليه الذى يحتاجه من الطعام والحلوى وغير ذلك فاقام عند الاستاذ نحو الشهر على هذه الحالة حتى سأل عنه الاستاذ فقيل له قد طال عليه الامر والمسؤل من فضل سيدى ان يتكلم مع الامير الحازن دار بسببه فقال سمعا وطاعة قال فأرسل الاستاذ خلف الامير وتكلم معه بسببه فقال له الامير يا سيدى هذا الرجل كسر لى مالا كثيرا وأتلفه على لكن والله يا سيدى بعد ان جاء اليك ما بقى لى عنده شئ وقد أبرأته من جميع مالى عنده ولو كان أكثر من ذلك فقال له الاستاذ جزاك الله خيرا قال المؤلف وكنت أعرف ذلك الرجل فاطلع من الزاوية حتى أصلحه الاستاذ مع الامير وسلمه اليه وعاد الى وظيفته كما كان فرحم الله سيدى ما كان أكثر نفعه لجميع من احتاج اليه ومما قال لى الشيخ شمس الدين بن كتيلة كنت بزاوية سيدى وأنا أنظر الى احسانه الى ذلك الرجل فصرت أتفكر فى ذلك كل ذلك والرجل المباشر لا يحضر لسيدى ميعادا ولا حزبا ولا مجلس ذكر وسيدى مع ذلك يحسن اليه قال فجلست يوما فى خلوتى أقرأ فى سورة البقرة فى المصحف الشريف فلما وصلت الى قوله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين اذ سمعت باب خلوة سيدى قد فتح وخرج منه سيدى فقمت عند ذلك مسرعا وهرولت اليه وقبلت يده وجلست بين يديه ثم نظرت الى ذلك المباشر وهو جالس على باب الخلوة التى هو فيها فتفكرت فى أحواله وتقصيره فى أمر دينه فقلت يا سيدى عن اذنكم أتكلم فقال تكلم فقلت هذا الرجل المباشر يحسن اليه سيدى كثيرا مع وجود تقصيره فى حضور مشاهد الخير قال فنظر الى سيدى وقال لى أنت ما قرأت وأحسنوا ان

الله يحب المحسنين قال فوالله لقد غاب صوابي عند ذلك وصرت أقول في نفسي هل كان سيدي معي في الخلوة حين قرأت هذه الآية فرحم الله سيدي ونفعنا به قلت ولقد سمعت من سيدي كلاما في بعض مجالسه يدل على عظم شأنه وعلو منزلته وارتفاع درجته ونفاذ كلمته وانه لو أرسل أحد قصاده الى أعلم أهل مصر يطلبه لحضرته لحضرله من غير امهال ولا اهمال حتى يجلس بين يديه كالولد الصغير مثل الشيخ شهاب الدين بن حجر شيخ الاسلام فريد عصره ووحيد دهره في علم الحديث النبوي فكان يحضر اليه ويجلس بين يديه متأدبا طارقا رأسه الى الارض جاثيا على ركبتيه ومثل الشيخ شمس الدين البساطي قاضي قضاة المالكية العالم الزاهد الذي كان قوته من صيد السمك وهو قاضي القضاة فكان يختفي ويخرج في الغلس بشبكته فيصطاد ما يبيعه بقوت ذلك اليوم وهو في هيئة الصيادين ثم يجيء من خوخة في بيته فيدخل منها الى منزله ويلبس الشاش والطيلسان والملوطة البيضاء ويخرج من الباب الاصلي الى الدهليز ويجلس بين القضاة للحكم بين الناس ومع ذلك كان يجلس بين يدي سيدي متواضعا كغيره وكذا شيخ الاسلام قاضي القضاة محمود العيني الحنفي عالم وقته ووحيد دهره كذلك ومثلهم القاضي علم الدين الاخنائي المالكي من أعيان القضاة المالكية ومثلهم القاضي ناصر الدين الشنشي الحنفي أحد نواب العيني واحد الاعيان ومثلهم الشيخ جلال الدين البلقيني شيخ الاسلام وقاضي القضاة الشافعية وكذلك والده شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني المجتهد الكبير ومن أمثالهم لا يعد ولا يحصى فسمعت سيدي رحمه الله يقول قدم علينا بعض العلماء من بلاد المغرب وكان يتكلم في عشرين علما فاقام عندنا بعض أيام ثم سألني ان أجمع بينه وبين الشيخ سراج الدين البلقيني ليتكلم معه في شيء من بعض العلوم قال فارسلناله فحضر واجتمع به وجلس معه في هذا الموضع وأشار الى مكان في الزاوية قال فتكلم معه ذلك المغربي في بعض العلوم فتكلم معه الشيخ سراج الدين فيه قال فانتقل معه المغربي الى علم آخر وتكلم معه فيه فتكلم معه الشيخ سراج الدين فيه ولا زال المغربي ينقله من علم الى علم والشيخ سراج الدين يتكلم معه فيه من غير ان يأخذ له أهبة ولا استعدادا لكن جاءه على غفلة حتى تعجب ذلك المغربي فقام اليه واعتنقه وقبل يده وشكر له واثنى عليه خيرا قال فلما مضى الشيخ سراج الدين قلت لذلك المغربي ما قلت في الشيخ سراج الدين فقال يا سيدي بحر عجاج متلاطم بالامواج قال فلما سافر المغربي الى مكة وحضر الشيخ سراج الدين الى هنا قلت له ما تقول في ذلك المغربي فقال يا سيدي بحر عجاج متلاطم بالامواج كما قال المغربي في حقه وان هذا الكلام سمعته من سيدي يحكيه لبعض أصحابه وأنا قريب خلف الحلقة التي بين يدي سيدي قلت وكل هؤلاء حضروا مجلس سيدي وسمعوا ميعاده مع جلالة قدرهم وعلو درجتهم وكلهم مذعنون معترفون بفضل سيدي رحمه الله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

وكان

وكان مع ذلك لا يتحرك لاحد منهم ولا يغير جلسته لا في مجيئهم ولا في رجوعهم ومع هذا يترددون اليه ولا ينكرون عليه بل يسلمون له حاله ويعترفون له بالفضل عليهم فسبحان المتفضل بالجزيل من العطاء على من يشاء من عباده ومما حكاه الحاج جمال الدين بن سليمان وهو مدرك بطينة بالغربية وكان كبيرها وكان من أصحاب الاستاذ رحمه الله قال سافرت في بعض السنين الى القاهرة لزيارة الاستاذ فلما وصلت اليه وسلمت عليه أمر الخادم ان يخلي خلوة من خلاوى الزاوية ففعل ذلك الخادم ونزلت فيها وكان ذلك عادتي مع الاستاذ رحمه الله قال فاقمت عنده أياما فدعاني ذات يوم فلما جلست بين يديه قال لي يا عبد الله هل معك شئ من الدنيا قلت نعم ياسيدي فقال أقرضنيا اياه فقلت سمعا وطاعة ثم نهضت من بين يديه مسرعا ودخلت الى خلوتي وكان معي ألف دينار فعددت منها خمسمائة دينار واحضرتها بين يدي سيدي في منديل قال فاخذها الاستاذ ودخل بها الى الخلوة فلما أصبحنا وصلينا صلاة الصبح دعاني سيدي فحضرت بين يديه فناولني المنديل بالخمسمائة دينار على حالها وقال لي يا عبد الله قد استغنينا عنها ثم قال لي والله يا عبد الله المال الذي قد أخرته عنا ما يبقى معك منه شئ وأما هذا فانه يبقى معك ويزيد زيادة كثيرة قال فندمت على ما فعلت ثم قال والله العظيم لقد ذهبت مني الخمسمائة دينار التي أخرتها عن سيدي على الظابة ولم انتفع منها بشئ وأما الخمسمائة دينار التي دفعتها لسيدي فكنت أبيع فيها واشترى حتى بلغت عشرة آلاف دينار وهذا ما وقع لي مع الاستاذ رحمه الله تعالى وكان ذلك سبب سعادتي قلت وأخبرني الشيخ أحمد البطيني القباني وكنت جالسا معه في دكانه الذي على القنطرة فجرى بيني وبينه كلام يتعلق بسيدي وبكراماته فقال لي كنت يوما جالسا في هذا الدكان فجاءني الحاج ناصر الدين بن الحاج عبد الله بن سليمان وأخذ بيدي وسحبني الى حبس المحلة وأنا معه ذليل مهان فقال أدخل ذلك الحبس حتى ترضينا في خسارة فلاحتك قال فعطف الله على جماعة من أهل المحلة الكبرى وهم من أهل الخير فخلصوني منه فرجعت الى الدكان وأنا مكسور الخاطر وصرت أتردد بين الاقامة وبين السفر الى جهة الاستاذ واقص عليه قصتي قال فلما أصبحت صليت الصبح وعزمت على السفر للاستاذ لاعلمه بما وقع لي مع ناصر الدين بن عبد الله بن سليمان فسافرت حتى دخلت القاهرة ومضيت الى زاوية الاستاذ فوجدته جالسا على باب الخلوة فدنوت منه وسلمت عليه وجلست بين يديه فلما نظر الي قال لي يا حاج أحمد ما جئت الينا الا لحاجة ضرورية قال ياسيدي اتفق لي مع ناصر الدين بن الحاج عبد الله بن سليمان ما هو كيت وكيت وقصيت عليه قصتي فقال لي تقيم هنا الليلة أو تسافر فقلت أسافر ياسيدي فانه لا يمكنني أن اقيم قال فدعا عبد الرحمن السويفي وامره ان يكتب كتابا للحاج عبد الله بن سليمان قال فكتب اليه بالسلام من عند سيدي ثم قال له اكتب له وقل له يا عبد الله تقول لي والله ياسيدي

ما اقول للفرخة هش فايش هذا الكلام الذى يخالفه الفعل يا عبد الله اذا عاهدت الفقراء
على شئ لا تخرج عنه والسلام فلما طوى عبد الرحمن الكتاب وناولنى اياه ودعت سيدى
وعزمت على السفر فلما دخلت المحلة قصدت الى بطيخة من فورى فلما وصلت الى الحاج
عبد الله سلمت عليه وناولته الكتاب فلما رأى علامة الاستاذ نهض قائما على قدميه ثم قبل
الكتاب ووضعه على رأسه وعلى عينيه فلما قرأه عليه صار يرتعد ويقول يا حاج احمد ما عملت
معى خيرا كنت شكوتنى للسلطان ولا كنت تشكونى للاستاذ الحنفى ثم ارسل خلف ولده
ناصر الدين وهدده بالضرب وقال له يا ناصر الدين انت تريد تخرب ديارى قم الى الحاج احمد
واكشف رأسك واستغفر له وصار يبكى حتى ابكى من حوله ثم قال لى يا حاج احمد عليك
الذمام ولك الامان ان كنت فى المحلة أو فى غيرها ثم نهض قائما وضمنى الى صدره وقال لى وانا
ايضا اقول فى حقك استغفر الله ونحن اولاد اليوم قال فزال ما عندى وحصل لى جبر خاطر
ورجعت الى المحلة وانا منشرح الصدر فمن ذلك اليوم وانا فى راحة وامان ولم ار من الحاج
عبد الله ومن ولده ناصر الدين الا خيرا فرحم الله سيدى وجزاه الله عنى خيرا ما كان اشفقه
على المسلمين قلت ومما يدل على شفقته بالمسلمين ان ولده سيدى ابا الفضل اكبر اولاده
امره الاستاذ ان يعمل فى الزاوية ميعادا يوم الثلاثاء وكان ذلك فى حياة الاستاذ فاقام مدة
يعمل ذلك الميعاد ويحضره جماعة كثيرة فجلس يوما يعمل الميعاد فذكر فيه صفات النار وما
اعد الله فيها من انواع العذاب والنكال للعصاة والفجار واطنب فى ذلك وطول فبهت
الناس وخمدت منهم الانفاس وكان الاستاذ فى خلوته يسمع كلام سيدى ابى الفضل فلما
طول سيدى ابو الفضل فى ذكر صفات النار قام الاستاذ وظهر من خلوته فقام الناس اجلالا
له على عادتهم فلما أحس سيدى ابو الفضل بظهور والده نزل عن دكة الوعظ وقبل يد الاستاذ
فجلس مكان ولده وجلس سيدى ابو الفضل مع الناس فافتتح الاستاذ فى الذكر وذكر مجلسا
لطيفا ثم اخذ يتكلم للناس فى صفات الجنة وما اعد الله لاهلها فيها لهذه الامة من الخيرات
والنعيم والحور والولدان وما فيها من الاشجار والانهار والثمار والقصور والحجرات
والمقاصير والقباب والخيام وان لكل مؤمن من عشرة آلاف خادم وان ادناهم منزلة من يسير
فى ملكه سنتين وان حصباء انهارها الدر والجوهر واللؤلؤ والمرجان وترابها الزعفران
وطينها العنبر وان فيها اشجارا تطرح الحلل من السندس والاستبرق والحرير والديباج
وفيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال وكل ذلك لامة محمد صلى الله
عليه وسلم قلت وما ذكرته من بعض ما ذكره سيدى رضى الله عنه فلما سمع الناس ذكر
الجنة من الاستاذ ذهب عنهم ما كان بهم من الخوف والحزن والجزع من ذكر النار وفرحوا
واستبشروا بذلك وحمدوا الله وشكروه على ذلك فلما انتهى مجلس الاستاذ رفع الناس
أصواتهم بالدعاء له فانظر الى سيدى ما الطفه بالمسلمين وما أشفقه عليهم رضى الله عنه وارضاه

وجعل

وجعل الجنة متقلبه ومثواه ولقد حكى لى بعض الفقراء قال دخلت الحمام مع الاستاذ وكنت بجملة الفقراء فلما جلس الاستاذ على الحوض وجلس الفقراء حوله اخذ الاستاذ بيده ماء من الحوض ورشه على جماعته وقال النار التى يعذب الله بها العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مثل هذا الماء فى سخونته قال ففرح الفقراء بذلك ورفعوا أصواتهم بالدعاء للاستاذ رضى الله عنه ونفع به قلت ويؤيد ذلك ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يقضى بالموت على العصاة من أمتى فى النار حتى لا يحسوا بالعذاب أو كما قال صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث ذكره الامام القرطبى فى كتابه المعروف بالتذكرة قلت وما حكاه سيدى الشيخ نور الدين على الاورينى المعروف بابن مشاق رحمه الله تعالى قال مما وقع للاستاذ رضى الله عنه ان رجلا من شهود أعيان القاهرة وقيل انه كان قاضيا دخل اليه وقبل يده وجلس بين يديه وسأله ان يسلكه الطريق الى الله تعالى قال فارسل الاستاذ الى خادم الزاوية وكان اسمه مصباحا وقال له افتح الخلوة الفلانية لهذا الرجل وأعطه مفتاحها ثم التفت الاستاذ الى ذلك الشاهد وقال له قم فادخل الخلوة واعتكف فيها وانزع عنك هذه العمامة وهذه الجبة الفاخرة والبس الجبة الصوف التى تجدها فى الخلوة وتعمم بالمئزر الصوف وكن على طهارة كاملة واشتغل بذكر الله تعالى وكل من طعام الزاوية قال فأقام ذلك الرجل يومين أو ثلاثة ثم ان الاستاذ دعا النقيب مصباحا وقال له قل للقاضى اخرج املأ من البئر ماء وصبه فى المجراة التى الفسقية حتى يتوضأ منها الناس للصلاة قال فذهب مصباح الى القاضى وأمره بذلك فقال السمع والطاعة ثم ظهر من الخلوة وشد وسطه وشمر اكمامه وملأ بالدلو من البئر حتى ملأ الفسقية فكأن سلبة البئر التى فيها الدلو أثرت فى يديه فتجرحت يداه وصار يتألم من ذلك كل ذلك والاستاذ ذهنه معه فعند ذلك طلب الاستاذ النقيب مصباحا فلما حضر بين يديه قال له يا مصباح قم واملأ من البئر ثلاثة ادلاء وكلما طلع دلو اعرضه على القاضى فاذا نظر اليه صبه فى البئر قال فأسرع النقيب مصباح الى البئر وأخذ الولد من يد القاضى وقال له كن على حالك حتى أملأ ثلاثة ادلاء فوقف القاضى مكانه فملأ مصباح أول دلو فطلع وهو مملوء فضة بيضاء فلما صار عند خرزة البئر قال للقاضى انظر فلما رآه القاضى تعجب عجبا عظيما قال فصبه النقيب مصباح فى البئر وملأ دلوا آخر فطلع مملوءا ذهبا فلما وصل الى الخرزة قال للقاضى انظر فلما نظر فرآه مملوءا ذهبا سهى اليه وبهت فصبه فى البئر وملأه ثالثا فطلع وقد امتلأ جواهر قال فلما نظر اليه القاضى كاد أن يخرج عقله فاسرع نحو الاستاذ وهو يبكى فقال له الاستاذ والله يا فلان يا ولدى ما تصل الى هذا الا ان صبرت على ما أمرتك به وان لم تصبر فما تصل الى شئ من هذا قال فقبل القاضى يدى الاستاذ وخرج من بين يديه وهو باك نادما على عدم تحصيل مطلوبه كذا حكاه الشيخ نور الدين الاورينى وكان من أصحاب سيدى الخواص وكان

رجلا صالحا عالما بالطريقة عارفا بالله تعالى وقد انتفع على يديه جماعة كثيرة من البحيرة وضريحه فى بلده أورين مشهور وحكى أيضا رحمه الله عن الاستاذ انه كان ذات يوم جالسا على باب خلوته وحوله جماعة اذ دخل عليه رجل فقير الحال عليه خليقات رثة فلما وصل اليه قبل يده وجلس بين يديه قال فرحب به الاستاذ واقبل عليه وقال له من أين فقال له ياسيدى أنا ابن الامير الفلانى وقدمات والدى وأنا طفل صغير وقد أخذ السلطان جميع ماخلفه والدى من الاموال والخيل والاثاث والقماش وماترك لى شيئا وصرت فقيرا لا أملك القوت اليومى قال فقال له الاستاذ ايش اليوم فقلت يوم الاثنين فقال لى اطلع الى القلعة فى هذه الساعة والزمها الى ان ينفض الموكب ويمتد السماط فكن أنت وراء الناس فاذا جلس المماليك على ذلك السماط يأكلون فكن أنت فى آخرهم فانهم لابد ان يقولوا لك اقعد كل فاجلس معهم وكل فاذا فرغوا وانصرفوا كن أنت على حالك واقفا أمام السلطان فانه يدعوك حتى تقرب منه فانه يقول لك من أنت فقل له كما قلت لى واشك اليه حالك فلعله يحصل لك خير ان شاء الله تعالى قال فامتثل ذلك الجندى ماقاله الاستاذ وخرج مسرعا حتى طلع الى القلعة وفعل مثل ماقال له الاستاذ وحكى قصته للسلطان وهو واقف بين يديه قال فبينما هو يحكى للسلطان وهو سامع كلامه اذ دخل عليه بعض أجناد والده ومعه سيف فقبل الارض بين يدى السلطان وقال له يامولانا السلطان أحسن الله عزاءكم فى الامير الفلانى فانه توفى فى هذه الساعة فقال له السلطان أعط سيفه لهذا وأعطوه جميع ماتركه من الاقطاع والخيل والتركة والمماليك ورسم السلطان للمباشرين الذين كانوا فى خدمة ذلك الامير أن يدفعوا ذلك كله لذلك الرجل الذى كان واقفا بين يدى السلطان وأمر بعض الامراء ان يركبوا معه الى بيته ففعلوا ذلك فلما انفضوا ركب الامير الى الاستاذ وجاء الى زاويته فلما دخل اليه وجده جالسا على باب خلوته وصار يمرغ وجهه على أقدام الاستاذ ويقول له ياسيدى كل ماأنا فيه ببركتك ومازال ذلك الامير فى خدمة الاستاذ الى ان انتقل الى رحمة الله تعالى قلت وأما النقيب مصباح المذكور فى هذه القصة فانه كان رجلا صالحا وقد وقع لسيدى معه حكاية عجيبة وهو ماحكاه أبو العباس خادم الاستاذ رحمه الله تعالى انه قال كنت نائما فى منزلى ذات ليلة واذا أنا أسمع واحدا يدق الباب فقمت الى الباب وقلت من هذا فقال لى سيدى افتح الباب قال فاسرعت وفتحت الباب وقبلت يدى سيدى فقال لى شد حمار الزاوية وائتنى به قال ففعلت ذلك وجئت بالحمار الى الاستاذ فركبه وقال كن معى ياأبا العباس قال ففتحت باب الدرب فظهر الاستاذ وظهرت معه فاخذت بعقود الحمار فقال لى الاستاذ ارسل المقود وامش الى جانبى قال ففعلت ذلك وصرت أمشى الى جانبه حتى وصلنا الى القرافة والاستاذ يقرأ الصمدية وأنا أقرأ معه حتى وصلنا الى قبر محفور فسمعنا شخصا يذكر الله تعالى فى ذلك القبر فلما قربنا منه تنحنح الاستاذ ثم قال لا اله الا الله محمد رسول

الله قال فسكت ذلك الشخص فسلم عليه الاستاذ فرد عليه السلام فقال له الاستاذ يا مصباح فقال له لبيك ياسيدى فقال له لم لا جئت الى الزاوية فقال والله ياسيدى ما وصلت الى هذا الموضع الا بعد العشاء الاخيرة فنزلت فى هذا القبر واستأنست بذكر الله تعالى فقال له الاستاذ اطلع وامض معنا الى الزاوية قال فطلع مصباح من القبر وسلم على سيدى ورجعنا الى الزاوية فلما دخلنا من باب الدرب الذى بجوار الزاوية قال له الاستاذ اطلع الى الزاوية وتوضأ وصل ما كتب لك ثم التفت الى الاستاذ وقال يا أبا العباس اطلع معه ووطنه فى بعض الخلاوى ثم دخل الاستاذ الى بيته وفعلت ما أمرنى به الاستاذ وأقام مصباح عندنا سنين يخدم الزاوية والفقراء الى ان انتقل الى رحمة الله تعالى قلت وسمعت الاستاذ رحمه الله تعالى يحكى ذات ليلة بين المغرب والعشاء لبعض أصحابه فقال صليت ليلة صلاة العشاء ثم دخلت الى الخلوة فتناولت كتابا وأسبلت القنديل ثم فتحت ذلك الكتاب وابتدأت فيه بالمطالعة فطالعته من أوله الى آخره فى ضوء ذلك القنديل فهبت على تلك الليلة نسمات وتناثرت على ورقات خضر وجعلت تتساقط حولى وفى حجرى فالهمتنى القدرة أن أتناول منها وآكل فصرت أتناول منها وآكل حتى شبعت فاذا هى ألين من الزبد وأحلى من الشهد فكانت تلك الاوراق كلها فكانت هذه الاسرار التى تسمعونها منى فى الميعاد وأما تلك النسمات التى هبت على فى تلك الليلة فقد حصل لى بها راحة واستلذاذ حتى انى سألت الله ان يرزقنى منها شيئا فى الجنة وأما الكتاب الذى طالعته فانه كان ضخما كبيرا وفرغت من مطالعته من غير ملل ولا تعب من عظم ما حصل لى من الراحة وانشراح الصدر فى تلك الليلة حتى سمعت مصباحا الخادم يمشى على باب الخلوة فقلت يا مصباح فقال لبيك فقلت أنت الى الآن تطفئ قناديل العشاء فقال لى ياسيدى الآن طلع الفجر واذنوا على المنارات قال فقمت وتطهرت من الخلوة وجلست لقراءة حزب الصبح مع الناس وصليت الصبح مع الجماعة بوضوء العشاء فهذا ما سمعته من الاستاذ تلك الليلة وكأنى أسمعه من الاستاذ الآن وحلاوته موجودة فى قلبى فرحم الله الاستاذ ما كان أحلى كلامه وأبين نظامه وكان من أصحاب سيدى رجل يقال له الشيخ على الكماجى مما وقع له انه مر على جماعة من أعيان الشهود وهم يغتابون بعض الناس ويتكلمون فى عرضه ويذكرونه بالقبيح فلما سمعهم أظهر التواجد ورمى عمامته على الارض وجعل يتقلب على الارض ويتخبط فلما رأى الشهود ذلك نزلوا عن الدكان وتقدموا اليه واقعدوه على الارض ووضعوا عمامته على رأسه ومسحوا وجهه من التراب واجتمع عليه جماعة غير الشهود وكثر عليه الناس وصاروا يقولون ما بال هذا الرجل فمنهم من يقول كانه متبوع من الجن ومنهم من يقول كان به خلط مصرع ومنهم من يقول كأنه أصابه فالج كل ذلك يسمعه على الكماجى وهو فى حال عقله وصحوه وانما فعل ذلك حتى ينتهوا عما هم فيه من الغيبة فهذا رد

غيبتهم عن ذلك الرجل بفعله لا بلسانه فانظر الى أحوال أهل الخير والصلاح وكيف يلهمهم الله تعالى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالافعال لا بالاقوال فهذا كله من تسليك الاستاذ الكبير وبركته الشاملة لاصحابه الحافة به رضى الله عن سيدى ونفع به آمين قال الشيخ عبد الله اليمانى المعروف بابى جمعة وكان من خدام الاستاذ قال دفع الى سيدى يوما أشرفيا من الذهب وقال لى أعط هذا رجب الزيات وخذ منه فلوسه وائتنى بها قال فأسرعت ومضيت الى رجب الزيات وكان من جملة جماعة الاستاذ فاخذت فلوس الاشرفى ورجعت الى الاستاذ وهو جالس على الدكة التى كانت فى الدرب ووضعت الفلوس بين يديه فى منديل كان معى فقال لى اسربهم يا عبد الله فسربتهم فوجدت الاشرفى الذهب فيهم فقلت له ياسيدى وجدت فيهم اشرفيا فقال لى ارجع به الى رجب وأعطه له وقل له خذ هذا الاشرفى واحرز على نفسك قال فاخذته ورجعت به الى رجب وقلت له يقول لك سيدى خذ هذا واحترز على نفسك فقال والله ياسيدى عبد الله من حين فارقتنى وأنا أدور عليه فى الدكان فما وجدته ثم جعل يقول شئ لله ياسيدى شئ لله ياسيدى ومن بعض مكارم أخلاق سيدى رحمه الله تعالى ان الملك الاشرف لما تسلطن تزوج بابنة الملك الظاهر ططر رحمه الله فلما مرض مرض الموت طلبت منه ربعا كان عمره وأمعن فى عمارته وكان ربعا عديد المساكن واسع الاماكن فطلبته من السلطان حتى يخصها به قال فسمح لها به وملكه لها تمليكا شرعيا واستغلته بعد وفاته سنين عديدة ثم انها نزلت عن ذلك الربع للاستاذ رضى الله عنه وملكته له تمليكا شرعيا وكتبت له بذلك اشهادا وأثبتته على يد قاضى حنفى ووضع الاستاذ يده عليه واستغله مدة طويلة ثم ان الاستاذ ذات يوم كان جالسا فى زاويته اذ جاءه رجل تاجر فسلم عليه وجلس بين يديه وقال له ياسيدى ان الربع الفلانى الذى هو بيدكم الآن كان للعبد وطلب الملك الاشرف ان يشتريه منى وكان قد انهدم منه بعض مواضعات وصار بناؤه واهيا فامتنعت من بيعه له فأرسل لى ثمنه شيئا هينا فاخذته خوفا منه وكان ذلك على يد جماعة من حشمته فأمسكت عن بيعه نخوفونى وهددونى فاذعنت للبيع فاخذه السلطان وبناه بعد ان أشهد على وأنا الآن محتاج الى هذا الربع وافتقرت الى غلته قال فلما سمع الاستاذ هذا الكلام أرسل الى القاضى ناصر الدين الشنشى وكان حنفى المذهب وأحضر شاهدين وقال اشهدا على انى تنازلت عن هذا الربع لهذا الرجل نزولا شرعيا وليس لى فيه ملك ولا شبهة ملك وليس لى فى ذلك دافع ولا مطاعن فقال له القاضى ياسيدى كنت من الاول تقول هكذا لاتقل أثبت ما ادعيت والا ان كان بيدك ثبوت أخرجه فقال له الاستاذ من نازعك فى الدنيا فألجمه بها ثم أمر الاستاذ القاضى ان يكتب له بذلك مكتوبا يشهد له بتمليكه قال فامتثل أمر الاستاذ وكتب له بذلك مكتوبا وأثبته وسلمه الى ذلك الرجل كل ذلك برضا الاستاذ من غير كراهة ولا تعبيس وجه بل يقول للرجل

جزاك الله عني خيرا فيما فعلت ثم قال له حلت البركة وآنستم وهذا يوم مبارك وفارق ذلك الرجل الاستاذ على أحسن الوجوه وهو يدعوله فرحم الله الاستاذ ما كان أسخى نفسه وأكثر سماحته فطال ما سمعناه يقول في كثير من الاوقات السماح رباح والعسر شؤم ومن مكارم أخلاق الاستاذ رضي الله عنه أنه كان له شخص من أصحابه من الامراء كان اسمه بيسق وكان من المحبين للاستاذ فاتفق له انه مرض فبلغ ذلك الاستاذ فقال لبعض أصحابه أما ترون ان تعودوا صاحبكم فقالوا السمع والطاعة فتوجه اليه الاستاذ وبصحبته شخص من أصحابه يسمى سنقر البشمقدار والشيخ جلال الدين الخطيب والشيخ أبو العباس وغيرهم فلما ان وصلوا الى منزله دخلوا فيه قال فلما رأى الامير الاستاذ حصل له من السرور مالا مزيد عليه واستبشر بقدوم الاستاذ وكان معه من أولاده سيدي أبو السعود وسيدي أبو الفضل رضي الله عنهم فلما رآهما زاده الفرح والسرور وأمر الخازندار الذي بخدمته ان يحضر له ألف دينار ومائتين فاحضرها ودفعها للاستاذ وقال ياسيدي هذه الالف دينار لك والمائتان لولديك فاخذهما الاستاذ ودفعهما للامير سنقر البشمقدار أحد الجماعة الذين كانوا مع الاستاذ فشاع ذلك الامر بين الناس ان الاستاذ الحنفي اعطاه الامير بيسق ألفا ومائتي دينار فتكاثرت الفقراء المحتاجون والمديونون وغيرهم فكل من جاء الى الاستاذ يرسله للامير سنقر يدفع له ما يحتاج اليه حتى فرغ القدر الذي كان عند سنقر ولم يبق منه لا قليل ولا كثير حتى تعجب سنقر وغيره لذلك رضي الله تعالى عنه ما كان أشفقه على خلق الله تعالى ومن ذلك أيضا ان الاستاذ رحمه الله كان له بلد أقطاع تعرف بشنيسة من أعمال الشرقية فارسل اليها قاصدا من عنده يطلب من أهلها مائتي اردب قمح فجهزوها له مع القاصد وأوسقوها له في مركب من مراكب أبي صير وكان صاحب المركب يعرف بالرئيس أيوب قال فلما وصل بها الى قرب القاهرة صدمت المركب فانكسرت وذهب في البحر جميع ما فيها من القمح فعاد القاصد الى الرئيس ومسكه وكتفه وطلع به الى الاستاذ وقال له ياسيدي هذا الرئيس رجل مستهزئ وغر بنا وله مركب يعرف انها لا تصلح للوسق ولا تحمل غلة وقد انكسرت المركب وذهب جميع ما فيها من القمح في البحر وهذا الرجل يكون هنا في الزاوية حتى نرسل له جماعة من عند الحاجب الفلاني وندير عليه الترسيم حتى يرضي سيدي في القمح فقال الاستاذ للقاصد افعل هكذا فلما ذهب القاصد ليحضر جماعة يأخذونه للحبس وكان اسم القاصد أحمد بن سودون رحمه الله قال الاستاذ للرئيس أيوب أتقدر تهرب فقال اي والله ياسيدي فقال له قم فاهرب واخرج من باب السر قبل ان يجئ القاصد فانك رجل فقير وذو عيال فهرب من الزاوية فلما جاء القاصد من عند الحاجب ومعه جماعة يمسكونه لم يجده في الزاوية فقيل له انه هرب فقالوا للاستاذ ان الرئيس قد هرب فقال لهم الاجر على الله ايش لكم قصد في ضرر هذا المسكين

اتركوه وما عليكم منه قال ودفع الاستاذ الى الجماعة الذين جاؤا لمسكه بعضا من الدنانير وقال لهم حلت البركة فرحم الله الاستاذ ما كان عنده أهون من الدنيا فهكذا كان دأبه تغمده الله بالرحمة والرضوان

(استلحاق بما تقدم)

مما أعطى الاستاذ العز والكلمة النافذة وقبول الشفاعة عند الملوك وغيرهم وذلك أنه كان للاستاذ بلد في الصعيد اقطاعا وكانت تلك البلد تعرف بماكوسة وكانت قريبة من منية ابن خصيم فقتل فيها قتيل بينها وبين بلدة أخرى قريبة منها وكان القتيل أقرب الى تلك البلدة فحمله أهل تلك البلدة وألقوه في غيط ماكوسة فلما علم به الكاشف الذي بمنية ابن خصيم أرسل الى ماكوسة سرية فسكوا فلاحي البلد وحبسوهم في المنية في حبس الكاشف فسافر بعض أهل ماكوسة الى القاهرة وأعلم الاستاذ بما وقع من الامر فارسل الاستاذ قاصده وكان يعرف بناصر الدين العزيز رحمه الله الى السلطان الملك الاشرف برسباى وقال له اطلع الى السلطان وقل له ما سمعته من الكلام فنهض القاصد وطلع الى السلطان ففي الوقت رسم السلطان بكتابة مرسوم الى الكاشف باطلاق فلاحي الاستاذ على يد وشاقي من عند السلطان وقال السلطان للوشاقي قل للكاشف ان هذه الحاجة للسلطان ولابي السلطان فاطلق الفلاحين بحيث ان لا يغرم أحد منهم الدرهم الفرد ففعل ذلك الكاشف ما أمره السلطان به وأطلق جماعة ماكوسة ولم يغرم أحد منهم شيئا وكانت البلدة التي قتل في غيطها القتيل للسلطان فرحم الله الاستاذ ونفع به المسلمين ومما وقع للاستاذ رحمه الله في أيام الملك الظاهر جقمق مع الفرغل وأولاد الطحان لما أن جاؤا الى السلطان في شفاعة ابن عمر أمير عرب الصعيد وكان السلطان حبسه عنده في البرج الذي في القلعة فذهب أولاد عمه وأقاربه الى هؤلاء المشايخ المتقدم ذكرهم وجاؤا بهم من الصعيد الى السلطان سياقا في أمر ابن عمر ليخلصوه من الحبس فبلغ الاستاذ ذلك وان المشايخ طلعوا الى السلطان جقمق في شفاعة ذلك فلما سمع الاستاذ ذلك قال من أدب الفقراء اذا عرفوا ان ببلد رجلا من الرجال لا يدخلونها الا باذن منه لكن ان شاء الله تعالى ما تقضى لهم حاجة قال فلما طلعوا للسلطان على قصد الشفاعة في ابن عمر وساعدهم جماعة من الامراء مع الامير زين الدين بن أبي الفرج فطلب السلطان ابن عمر من البرج وأحضره بين يدي المشايخ وقال لهم ان عليه حسابا وعليه مال السلطان حتى نحاسبه ونرسله مع الفقراء الى بلاده وما يحصل الا خير ان شاء الله تعالى قال فانفض المجلس وقامت الفقراء وخرجوا من عند السلطان وسافروا الى بلدهم فلما عرف السلطان أنهم سافروا رسم ببعثه الى الكرك فقضوا بابن عمر الى الكرك فحبس فيه ولم تقض للمشايخ حاجة ولا قبلت لهم شفاعة وقيل ان الفرغل أعاد الله علينا من بركاته لما ان دخل الى السلطان

قال له أنت مشد هذه البلدة فلم يجاوبه لعلمه انه مجذوب رضي الله عنه وشاعت هذه القضية في مصر وتعجب الناس لذلك عجبا عظيما ومما وقع للاستاذ مع القاضي نور الدين ابن اقبرس وكان قد تولى عشر وظائف نظر الاوقاف ونظر الاحباس والبيوتات في زمن الملك الظاهر جقمق فأقام في ولايته مدة طويلة الى أن مات الملك جقمق ومع ذلك كان يتردد للاستاذ كثيرا وملازما على ذلك من أيام الملك الاشرف وكان كلما ضاق عليه الامر يشكو حاله الى الاستاذ وان زوجته ابنت اينال انكسر لها عليه كسوة وهي ملحة عليه في طلبها ولم يكن له قدرة على شئ يعطيه لها وهو متألم بسبب ذلك قال فبكى عند ذلك ثم شكا حاله الى الاستاذ فقال له ما يحصل الا خير ان شاء الله تعالى ثم قال له اقعد في الزاوية حتى أطلبك فمضى الى الزاوية وطلب سيدي أهل البيت وقال لهم ما معكم شئ من الدنيا فقالوا نعم يا سيدي معنا شئ قليل فقال اجمعوه وأحضروه بين يدي ولا تتركوا منه شيئا قال فقاموا من عنده وجمعوا ثلاثين أشرفيا من بينهم ذهبا وفضة ثم دعا الاستاذ القاضي نور الدين ودفع اليه ذلك المبلغ بكماله ولم يجد أهل بيت الاستاذ شيئا يأكلونه تلك الليلة فكان أكلهم الخبز والفجل الموجود عندهم في البيت لا غير فكانوا يعدون ذلك من مكارم أخلاق الاستاذ رضي الله عنه فهذا كان دأبه مع من يعرف حاله ومن لا يعرف حاله ويستر حال من يسأله ويعطيه ما قسم له على يديه حتى قال الاستاذ للشيخ الكبير العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله ونفع به أعط من يستحق ومن لا يستحق يعطك الله ما تستحق ومالا تستحق قال فلما رأى القاضي نور الدين بن اقبرس هذا المبلغ في يده صار يقبل أقدام الاستاذ ويدعو له وأنشد قائلا ارتجالا من كلامه يمدح سيدي

يا شمس دين الله نلت ولاية * منها المريدون استفادت بارقه
ان طلبوا عيني تفور بنظرة * فلنحو جودك كل عين بارقه

ومما وقع له أيضا مع الاستاذ في أيام الملك الظاهر جقمق انه حضر الى الاستاذ وهو في حال مرضه الذي مات فيه انه سأل الاستاذ في فدان برسيم مزروع فقال الاستاذ للشيخ أبي العباس أعطوه الميدان الذي بالروضة وهو عشرة فدادين مزروعة رضي الله عنه ما كان أسخى وأكرم من نفسه وما كان أحسنها ويحكى عن الاستاذ رحمه الله انه كان ذات يوم من الايام جالسا في خلوته اذ سمع اثنين من الفقراء يقول أحدهما للآخر يا فلان اكنس الزاوية فقال له الآخر قم أنت وأكنسها وصار كل واحد منهما يرد على الآخر بمثل ما يقول فبينما هما كذلك اذ ظهر الاستاذ من الخلوة وقال لهما لا أنت ولا الآخر أخرجا واجلسا على باب الزاوية ورد اعلى الباب فانه ما يكنسها اليوم الا أنا قال فخرجا وجلسا على باب الزاوية وردا الباب فشد الاستاذ وسطه وشمر أكمامه وطوى الحصر ونفضهم وأخذ المكنسة وكنس ثم استفتح بالفاتحة وفي سورة البقرة وجعل يتلو القرآن

وهو يكنس حتى ختم سورة الانعام وقد فرغ من كنس الزاوية ثم فرش الحصر وقال لهما ادخلا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما كان لكما فى هذا اليوم نصيب من الاجر والثواب فى كنس هذه الزاوية ومن شدة احتراز الاستاذ على تحصيل الثواب انه كان اذا أراد أن يعطى فقيرا شيئا من الدنيا يجعل الدرهم فى وسط كفه و يمديده الى الفقير فيمد الفقير يده و يعلو بها على يد الاستاذ و يأخذ ذلك من يده فسئل الاستاذ عن ذلك فقال انه ورد فى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة تقع فى يد الرحمن قبل ان تقع فى يد الفقير فانا لا أحب ان تعلو يدى على يد الفقير وورد أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا خير من اليد السفلى وقد بلغنى ان اليد العليا هى يد الفقير فانه نائب عن الله تعالى فى أخذ الصدقات قلت ومما أعطى الاستاذ من العز والرفعة والفخار والهيبة والمقدار انه كان له فى كل سنة ليلتان احداهما ليلة المولد فى شهر ربيع الاول والاخرى ليلة النصف من شعبان وكان يعمل ليلة النصف من شعبان فى الروضة على جانب بحر النيل وكانت تعرف بالشعبانية وكان يعمل ليلة المولد بالزاوية وكان يجتمع فى هاتين الليلتين من الخلائق ما لا يعلمه الا الله تعالى وكان يعد الاسمطة وعليها خلق كثير من الامراء ومن جملتهم الامير الكبير جقمق وكان ذلك فى زمن الملك الاشرف برسباى والامير التمرازى وغيرهما من الامراء فعمل الاستاذ ليلة المولد بزاويته المعروفة بجامع الرحمة فلما اجتمع الناس وغصت الزاوية بالخلق طلعت النساء الى موضع عال بالزاوية يعرف بالمسمع فلما كثرت النساء بذلك المكان وأبو الخير ولد الاستاذ يوعظ وينشد فى المديح اذ حس المسمع بثقل النساء فاهتز وسقط الى الارض فوقعت النساء على الارض فلم يصب أحدا من النساء شئ غير امرأة واحدة فانها ماتت فلما طلع النهار وسمع الملك الاشرف ذلك أرسل خلف التاج والى القاهرة وقال له امض الى سيدى الشيخ وخذ معك ثوبا من البعلبكى وكفن هذه المرأة التى ماتت عند الشيخ فى هذه الليلة امض ولا تتهاون فمضى الوالى الى زاوية الاستاذ فلما وصل الى بين يديه قبل يده وجلس وأخبره ان السلطان أرسلنى اليك وان معى ثوبا بعلبكيا لتكفين المرأة التى ماتت فى هذه الليلة فى الزاوية قال ففعلوا ذلك وامتثلوا أمر السلطان وانما فعل السلطان ذلك لعلمه ان الناس يقولون امرأة ماتت فى هذه الليلة تحت الردم ياترى ايش يجرى اليوم و يصبح الناس فى قيل وقال فاراد السلطان ان يقطع كلام الناس بذلك فان هذه الواقعة لو وقعت لاحد غير الاستاذ ما كان يحصل له خير فهكذا كان شأن الاستاذ عند الملوك وغيرهم من أبناء الدنيا أصحاب اليد واللسان وأهل الولايات وارباب الدول وغيرهم ودخل الاستاذ يوما على من يبنى الكوانين للمولد فوجد الامراء يناولون الطوب للبناء وهو يبنى فخرج الاستاذ وهو يقول لا اله الا الله لو أمرنا الملوك ان يبنوا الكوانين لفعلوا وكان فى بيت الاستاذ امرأة تعرف بمريم الطويلة وكانت خادمة فى بيته

فلما

فلما كانت ليلة المولد قال لها الاستاذ يا مريم هل لك جلد أن تغربلي عشرة أرادب قمح أو اثنى عشر أردبا وتجنبها فقالت نعم ياسيدى لكن أريد أن تلاحظني فيها ببركتك عسى أن يعينني الله على ذلك فقال الاستاذ لها ان فعلت ذلك كسوتك قميص شرب وكاملية بعلبكى فقامت مريم بجن ثلاثة عشر أردبا دقيقا فما فرغت من ذلك حتى جهز لها القميص الشرب والكاملية البعلبكى ولبستهما في اليوم الثانى ومريم الطويلة هذه هي التى كانت تشفعت لبركة التى أقعدها الاستاذ حتى قامت من كساحها وقد تقدم ذلك في أثناء الكتاب بحمد الله تعالى ومن مكارم أخلاق الاستاذ رضى الله عنه انه كان يتفقد أصحابه ويسأل لهم عن أحوالهم فمن كان منهم مديونا قضى دينه ومن كان منهم فقيرا وصله بشئ من الدنيا ومن كان منهم مريضا عاده وبره بشئ من البر وأجرى عليه النفقة وعلى عياله حتى يبرأ من مرضه وان سافر دعاله بالسلامة حتى انه كان من جملة أصحابه رجل يعرف بعبد الرحمن السويفى رحمه الله وكان من أفصح أهل زمانه وكان موقعا للاستاذ فحيث يكون للاستاذ حاجة عند الملك عثمان بن عبد الرحمن أو عند مولاى أبى فارس سلطان تونس بالغرب أو عند بركات سلطان مكة أو عند ابن عمر شيخ عرب الصعيد وغيرهم يطلب عبد الرحمن السويفى فيكتب له الرسالة الى أحد هؤلاء ويقرأها بين يدى الاستاذ فيتعجب الحاضرون من ذلك عجبا عظيما لفصاحته وبراعته وحسن عبارته وكذلك اذا طلب الاستاذ منه ان يكتب منشورا لاحد من المشايخ بمدينة من المدائن أو باقليم من الاقاليم كتب ذلك وأمعن وأطنب في الكلام مما يعجز عنه كثير من الموقعين وكل ذلك قد حصل له من الاستاذ من غير تعليم من أحد ومما وقع له من الاستاذ انه قيل لزوجته ان زوجك قد تزوج وكانت زوجته ذا قوة وبأس شديد فلما دخل عليها زوجها عبد الرحمن السويفى سألته عما بلغها فانكر ذلك ووقع بينهما كلام حتى قامت اليه ورمته على الارض وربطت رجليه بمنديل وصلبته وضربته على أقدامه بعصا ضربا مبرحا فبلغ ذلك الاستاذ فارسل خلفها وعاتبها على ذلك وكان يعلم الاستاذ منه انه يحبها محبة مفرطة فاصلح بينهما ودفع لها الاستاذ ألف درهم حتى زالت الوحشة التى كانت بينهما فكان الاستاذ رحمه الله تعالى رحمة على أصحابه لهذا وأمثاله كثير وكان يتفقد أصحابه بالقمح ويدفع الى كل واحد منهم ما يكفيه في السنة الى السنة التى بعدها ولقد حضرت له مجلسا بين يدى الاستاذ وقد كتب منشورا لبعض الفقراء بالمشيخة بعد ان أخذ عليه العهد وبايعه وأدخله في جملة أصحابه وأرسله الى حمص وجعله ناظرا على مقام سيدى خالد بن الوليد وأخذله من الملك الاشرف برسباى مرسوما بذلك وقرأ السويفى المنشور الذى كتبه بين يدى الاستاذ فتعجب الناس من حسن نظمه ونثره وما وعدفيه من البلاغة والبراعة رحمه الله تعالى ولقد بلغنى عن بعض المنكرين وكان تاجرا بالمدينة وكان يأتى الى باب زاوية الاستاذ ويرفع صوته بالانكار ويتكلم بكلام لا ينبغى ذكره وأقام على ذلك مدة طويلة فدارت عليه الايام

والليالى حتى افتقر وركبه الدين وطالبته أصحاب الديون بديونهم فما وسعه الا أن جاء الى
الاستاذ رحمه الله ودخل عليه مكشوف الرأس باكيا فقالوا للاستاذ هذا فلان قال فاقبل
عليه الاستاذ وأهل به ورحب به وسأله عن أحواله فاخبره بخبره فارسل الاستاذ خلف
أصحاب الديون وصالحهم على شئ معين وأمر أصحابه ان يتحاصصوا ذلك على قدر أحوالهم
فوفى عنه ديونه وفضل له شيئا كثيرا فدفعه اليه الاستاذ وقال له اكتف بهذا فانه يغنيك
ان شاء الله تعالى ومازال ذلك الرجل فى غنى وسعة حتى توفاه الله تعالى وهو فى خدمة
الاستاذ ولم يعاقبه على ما فعل ولا بكلمة واحدة وهذه الحكاية تدل أيضا على مكارم أخلاق
الاستاذ رحمه الله وكان رضى الله عنه ينزه نفسه عن سماع المعازف وهى الآلات
المطربة كالطار والمزمار وماشاكلهما وتسمى أيضا آلات اللهو فانه رضى الله عنه لم يشتهر
عنه أنه حضر شيئا من ذلك ولا سمعه ولقد كنت مع الاستاذ ذات ليلة بجملة الفقراء بتربته
التى هى بالقرافة فقال للفقراء تأهبوا لزيارة سيدى عمر بن الفارض فخرج ومعه جماعة
وكنت بجملتهم والاستاذ ماشيا وأصحابه حوله وكان مدفن سيدى عمر بن الفارض قريبا من
تربة الاستاذ فلما وصلنا الى مدفن سيدى عمر سمع الاستاذ صوت المأذونى وهو ينشد على
الآلات فسأل بعض أصحابه عن ذلك فقال له ياسيدى هذا المأذونى كل ليلة أربع عشرة من
الشهر يعمل عند سيدى عمر وقتا فقال لاحد أصحابه أدركه وقل له يسكت حتى نزور الشيخ
فمضى اليه وأعلمه بذلك فسكت حتى فرغ الاستاذ من الزيارة وختم زيارته بمجلس الذكر
قال فلما انصرفنا عاد المأذونى الى حاله ولم ينهه الاستاذ عن ذلك وسلم له حاله وسكت من كثرة حلمه
رضى الله عنه قلت ثم بعد ذلك توجهنا الى زيارة الامام الشافعى رضى الله عنه وقرأنا معه
سورة الكهف حول الضريح رضى الله عن الاستاذ ما كان أحسن اعتقاده فى اهل السلف
الصالحين ولقد رأيت سيدى أبا العباس ذات يوم جالسا فى درسه والاستاذ بعيدا عنه
جالسا على باب خلوته فكان سيدى أبو العباس كلما ذكر مسألة فيها خلاف الشافعى يقول
خلافا للشافعى فلما تكرر منه هذا الكلام قال له الاستاذ يا أبا العباس فقال نعم ياسيدى
قال له ما تقول الا خلافا للشافعى لا غير ولا تقول رضى الله عنه ولا رحمه الله فقال أبو العباس
تبت الى الله ياسيدى من ذلك وسأله الشيخ شمس الدين بن القصبى السخاوى قبل أن يتولى
قضاء مدينة النبى صلى الله عليه وسلم عن الشيخ حسين الحلاج وكنت وقت ذلك حاضرا فقال
له ما تقول ياسيدى فى الشيخ حسين الحلاج فقال رضى الله عنه ونفعنا به وأما غيرنا فيقول
خلاف ذلك كسراج الدين البلقينى وغيره ولقد بلغنى عن الاستاذ من رجل مبارك
صاحب دين وأمانة وهو الحاج على الغلام غلام سيدى ولقد رأيته وجلست معه وحكى لى
عن الاستاذ أنه رأى فى جبهته أثر السجود ومكانه اسود فقال ما هذا الذى فى جبهتك قلت له
ياسيدى كأنه من أثر السجود فقال لى غيرك يصلى ولا يظهر عليه أثر فقال اجتهد فى ازالة

هذا فانى أخاف عليك من الرياء وقال كنت بحضرة الاستاذ ذات يوم فعرضوا بذكر سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فقال الاستاذ لو حضر سيدى عبد القادر هنا لتأدب بحضرتنا قلت وهذا يليق بمقامه رضى الله عنه لانه كان يقول نحن أسرار الوجود فيدل على انه كان قطب زمانه ولقد ثبت عنه أنه قال ان القطبانية مرت بنا ونحن شباب فابيناها ومن المشهور عن الاستاذ رحمه الله انه قال لو كان عمر بن الفارض فى زماننا ما وسعه الا الوقوف ببابنا وقد تقدم نظير هذه والتى قبلها وسبب ما قال الاستاذ ذلك فى الجزء الاول من هذا الكتاب المبارك والله ينفعنا به قلت وحكى لى الشيخ شهاب الدين المعروف بابن الغرز قال كان بحوار الاستاذ رحمه الله رجل من الاتراك الخاصكية وكان عنده فرس اعجبه واشتراه وكان حرونا لم يقدر أحد أن يركبه ولا يملك نفسه على ظهره وكان اذا أحس براكبه على ظهره يشب ويقف على رجليه ويرفع يديه حتى يكاد الذى على ظهره ان ينقلب ولولا ان الناس يدركونه حتى ينزلوه من على ظهره لهلك حتى عجزوا فيه ولم يقدر أحد أن يركبه فلما طال عليه الامر قال له بعض الاصحاب ادخل الى الاستاذ الحنفى وقص عليه أمرك عسى أن تحصل لك بركته قال فدخل الى الاستاذ وقص عليه قصته قال له ائتنى بهذا الفرس حتى أنظر اليه قال فاسرع الجندى وأحضره بين يدى الاستاذ مسرجا ملجما فوضع الاستاذ يده على معرفته وقال بسم الله وركب فلم يتحرك فحرك الاستاذ رجليه وهو راكب فمشت تلك الفرس به وخرج من باب الدرب والناس حوله حتى سار به بطول الشارع ورجع به الى موضع ركوبه ثم نزل عنه وقال لصاحبه اطلع واركب وقل بسم الله قال فركبه صاحبه وهو يقول بسم الله فلم يتحرك تحته دون العادة فقال له الاستاذ حرك رجليك عليه فحرك رجليه فسارت به الفرس بهدء وسكون حتى وصل الى بيته فنزل عنها وأمر غلامه أن يدخلها فى الاصطبل ويربطها موضعها ففعل قال فمن ذلك اليوم لم يعرض للفرس عارض ولا يتغير لها حال ودامت على حالتها التى كانت وقت ركوب الاستاذ عليها قال فازداد ذلك الخاصكى اعتقادا فى الاستاذ وقد كان قليل الدخول فى الزاوية ثم بعد ذلك صار فى صحبته الى أن مات الى رحمة الله تعالى ومما وقع للاستاذ رضى الله عنه ما حكاه عن نفسه قال كنت يوما جالسا بالروضة بالمقعد الذى على جانب البحر وأنظر الى البحر من جانب الطاقات المركبة فى ذلك المقعد فاذا بشختور صغير فيه رجلان وامرأة وصاحبه يقذف بهما وبينهما جرة خمر والمرأة تشرب معهما فلما صار الشختور تحت المقعد مال بهما قليلا قليلا حتى انكفأ بهما وانقلب عليهم فوالله لم يطلع لهم خبر ولا وقعت لهم على أثر ووالله ما دعوت عليهم ولكن القدرة غارت عليهم فانا لله وانا اليه راجعون هكذا ما حكاه الاستاذ رضى الله عنه قال المؤلف رحمه الله كنت يوما ماشيا تحت ركاب الاستاذ وهو متوجه نحو الروضة والناس راكبون أمامه والاصحاب حافون

به عن يمينه وشماله فبينما الاستاذ بين مصر العتيقة وبين القاهرة اذا نحن بالفيال وهو
راكب على الفيل وهو مواجه للاستاذ اذ وقع نظره على الاستاذ فزعق على الفيل وراطنه
وعطف به عن يمينه وكان عن يمينه درب فهجم الفيل على ذلك الدرب ودخل من بابه وجعل
الفيال رأس الفيل داخل الدرب وذيله الى الشارع حتى مضى الاستاذ وجميع أصحابه ولم
يبق منهم أحد فخرج الفيال بعد ذلك وسار فى طريقه ولم يقدر الفيال ان يجوز على الاستاذ
وهو راكب لهيبته ولم يفعل هذا فى حق أحد من الامراء ولا غيرهم من اعيان المملكة
حتى صار الناس يتعجبون من ذلك ومما يدل على شفقته على أصحابه ان رجلا من أهل المحلة
الكبرى كان يعرف بالحاج على بن قديح وكان ذا مال وسعة وكان عنده دنيا عريضة وكان له
معصرة يستخرج منها الزيت الحار وكان يعامل الفلاحين ويعطيهم دراهم على بزر الكتان
فاعطى جماعة من بعض البلاد دراهم على عادتهم فلما كان أوان الكتان طالبهم فقصدوا انهم
مايعطونه شيئا فلما تحقق انهم مايعطونه شيئا طلع المدينة واجتمع بالامير صاحب تلك البلدة
والتزم بأخذ تلك البلدة على سبيل التدريك فاعطاه البلدة وكتبها عليه فلما خرج من عند
الامير جاء الى زاوية الاستاذ وقصد الاجتماع به ليخبره بخبره فلما أخبر الاستاذ بأنه تدرك
بالبلدة قال له الاستاذ خرجت من دينك يا على على ما أشاهد فازعج الحاج على بن قديح من
ذلك وقال أنا أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله قال ففرح الاستاذ بذلك
وقال ارجع الى الامير وابغض نفسك وخلصها من نار جهنم فانك خاطرت بدينك قال
فخرج من عند الاستاذ ممتثلا لامره فلما دخل على الامير وحسن له عبارة وطلب منه الاقالة
قال ففوض أمره الى المباشرين وصالحهم على مائة دينار بعضها لهم وأكثرها للامير وأقاله
الامير من البلدة قال فلما رجع الى الاستاذ وأخبره بذلك فرح وجزاه خيرا وشكره على
ذلك وكان الحاج على المذكور ابن خالة سيدى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله تعالى
وقد صح عن الاستاذ رحمه الله أنه كان يقول أنا لا أقول باسلام المدرك ومما وقع للاستاذ
رحمه الله أنه ركب يوما الى الروضة فمر برجل عليه آثار الفقر وهو لابس بشتا وعلى رأسه
طليحية حمراء وحوله جماعة ينون له مسجدا فبدأه الاستاذ بالسلام فرد على الاستاذ
السلام وحقق فيه النظر فوقعت هيبة الاستاذ فى قلبه فتقدم الى الاستاذ وقبل يديه فاقبل
عليه الاستاذ وقال له مرحبا حلت البركة هذا المسجد لمن فقال يا سيدى لله تعالى العبد يريد
ان يعمره ويجلس فيه ويكون نظر سيدى على فقال له من شيخك فقال شيخى السيد أحمد
البدوى فقال الاستاذ شئ لله أفانت رأيته قال لا والله يا سيدى فقال أنت محب للسيد أحمد
البدوى وليس هو شيخك فان شيخ الانسان من يأخذ عنه ويقتدى به والشيخ من يسلك
الطريق الى الله تعالى ويدلك عليه ثم قال له عمر وان احتجت لشئ تنفقه على البنائين
أعلمنى حتى نساعدك ثم أمره أن يعود الى مكانه عند البنائين ومضى الاستاذ الى ناحية

الروضة

الروضة فلما كان من الغد صلى ذلك الرجل صلاة الصبح عند الاستاذ وحضر معه قراءة الحزب وسلم عليه وقال له والله ياسيدى ما استطعت ان أتأخر عنك هذا اليوم فقال له الاستاذ بارك الله فيك ومازال ذلك الرجل يتردد اليه حتى كمل المسجد وغير لباسه بثياب بيض وترك الطليحية وكان الاستاذ قال له يافلان هذه الثياب وهذه الطليحية شهيرة يكره للفقير لبسها وقال له الفقر فى الباطن لا فى الظاهر والفقر ستره أفضل من اظهاره ومازال ذلك الرجل فى خدمة الاستاذ حتى سلك عليه الطريق وعرفه سيدى حقيقة الطريق الى الله تعالى وصار من خواص أصحابه فرحم الله الاستاذ ما كان أشفقه وأرأفه بأهل التوحيد حتى والله لقد كان يتلطف بأهل الذمة ويقضى حوائجهم عند الظلمة والوزراء ويشفع فيهم ويلين لهم الكلام حتى يستجلب خواطرهم بذلك ويذكر لهم شيئا من محاسن الاسلام حتى أسلم منهم بسبب ذلك من اليهود والنصارى عدد كثير بسؤالهم له فى ذلك ولازموا الاستاذ بالخدمة والصحبة حتى انتقلوا الى رحمة الله تعالى أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أنه لا يضيع له أجرا ولا يخيب له رجاء ولا أملا وان يتقبل منه وان يزكى عمله وان يجمعنا واياه فى دار كرامته انه ولى ذلك والقادر عليه وانه سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ولقد كان الاستاذ رحمه الله ينظر العيب ويستره على صاحبه كأنه لم يره وكأنه لم يرمنه الا خيرا وكان رضى الله عنه اذا رأى على أحد من أصحابه أو محبيه أو مجاوريه الذين تحت نظره بزاويته عيبا أو خلالا أو نقصا فى دينه جعل يتلطف به ويأخذ بخاطره ويتعطف عليه ويلين له القول ويحسن له العبارة ويحببه فى التوبة ويرغبه فى الطاعة والاقبال على الله سبحانه وتعالى فينصرف ذلك الرجل من بين يديه منشرح الخاطر وقد حبب اليه الله الاقبال عليه والاشتغال بطاعة الله تعالى والاعراض عن مخالفته ولم يزل على ذلك حتى يزداد خيرا واجتهادا واقبالا واشتغالا بالله تعالى

ولقد بلغه عن بعض المجاورين ان اثنين منهم جيلان ومصطحبان ببعضهما فخاف عليهما بعض الفقراء من فعل الشيطان فعرض بذكرهما على الاستاذ رحمه الله تعالى فلما كان الاستاذ بالروضة ذات يوم اذ ظهر للناس من الخلوة وجلس على حافة الليوان ووقفت الجماعة بين يديه بادب ووقار منكسين رؤسهم فلما استقر للاستاذ المجلس رفع رأسه الى أصحابه وقال لهم اعلموا ان الله تبارك وتعالى يهدى من يشاء من عباده على يد من يشاء من عباده فان الشيخ عبد القادر الجيلانى ما عرف الطريق الى الله تعالى الا على يد شيخه وكذا الشيخ أحمد بن الرفاعى وغيرهما لم يولد أحد منهم ويترعرع ويبلغ زمن الصبا وهو يعرف الطريق الى الله تعالى حتى يقيض الله تعالى له شيخا يعرفه كيف الطريق الى الله تعالى ويسلكه اليها ويكون ذلك الشيخ صفة الوالدة المرضعة لولدها تارة تموت عنه ويكمل ذلك الولد رضاعته على غيرها وتارة تفطمه قبل موتها كذلك الفقير تارة ينفطم على يد شيخه الذى سلكه

الطريق الى الله تعالى وتارة يفارقه بموت أو سفر ويكون قيامه على يد غيره من المشايخ قال وقد وقع هذا لكثير من الاولياء فالله الله خذوا حذركم من أعدى عدوكم ابليس وكونوا منه على حذر فانه هو عدو مضل مبين أى ظاهر فى العداوة ولقد أضل كثيرا من العباد وعكس أمرهم وسلم منه خلق كثير والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

ولقد بلغنا عن الشيخ الشبلى رضى الله عنه انه دخل الى خربة يقضى فيها حاجته فوجد فيها حمارة فراوده الشيطان فلما أحس الشبلى بذلك رفع صوته ونادى يا مسلمون ثلاثا فاقبل الناس نحو الصوت ودخلوها جميعا الى تلك الخربة فوجدوا الشيخ الشبلى يصيح ويقول يا مسلمون ووجدوا عنده حمارة فلما رأى الناس قد دخلوا عليه قال لهم أخرجوا عنى هذه الحمارة فقالوا له يا سيدى ما بال هذه الحمارة وما فعلت فقال لهم ما فعلت شيئا وانما أنا صرت معها فى هذه الخربة وابليس معنا فقلت فى نفسى خربة وحمارة وابليس والشبلى فاستضعفت نفسى عند ذلك وخفت ان أقع فى أمر عظيم فالهمنى الله تعالى انى رفعت صوتى وناديت يا مسلمون حتى أدركتمونى وسلمت مما كنت أخاف والحمد لله رب العالمين ثم قال الاستاذ بعد ذلك فاذا كان هذا عمل الشيطان مع الشبلى ولم يأمن الشبلى على نفسه من الشيطان مع الحمارة فكيف يأمن اثنان جميلان مليحان على أنفسهما أن يناما فى مكان واحد ثم قام الاستاذ ودخل الى خلوته وقد سمع الشابان ذلك الكلام من الفقراء ولم يكونا حاضرين ذلك المجلس فمن ذلك اليوم ما كانهما تعارفا أبدا ببعضهما ولم يجتمع أحدهما بالآخر والقى الله تعالى بينهما البغضاء وتهاجرا الى أن فرق الله بينهما فانظر الى هذه الكرامة العظيمة والى هذه الموعظة الكبيرة التى تلين لها القلوب القاسية والنفوس الطاغية وانظر الى هذا السيد الكبير كيف لوح بذلك وضرب ذلك المثل بغير حضور من كان الكلام له حتى لا يفضحهما بين الناس ولا يكشف لهما سترا وصار كل من الناس يقول بعد دخول الاستاذ الى الخلوة يا ترى هذا الكلام لمن وسيدى عنى به من من الحاضرين حتى تفرق الشابان بعد ذلك فعرفا أن الكلام كان لهما فرحم الله الاستاذ ما كان أستره بعيوب الناس وما كان أرحمه لعباد الله أسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يمتعه بالنظر الى وجهه الكريم وان ينفعنا به فى الدنيا والآخرة آمين ولقد حضرت للاستاذ مجلسا من بعض مواعيده وكان مجلسا عظيما قد بشر فيه وحذر وخوف وأنذر وحقق ودقق بالمواعظ الغريبة والنكت العجيبة حتى لوح لاهل مجلسه بتلويح فى حكاية وقعت فى القاهرة فقال وقع فى هذه البلدة ان رجلا من أبناء التجار وقع له غرض قبيح عند صبى من أولاد الامراء وكان ابن ذلك الامير صبيا موفقا ديناعفيفا عاقلا فأرسل اليه ذلك التاجر مع بعض غلمانه خمسمائة دينار فطلب ان يجتمع به فى بعض الاماكن بحيث لا يراهما أحد من الناس فرد عليه المال ودخل ابن الامير الى بيته وخرج ومعه شقفة حمراء مغطاة

بقطعة فروة مربوطة بخيط من أسفلها فدفعها الى غلام التاجر ودفع اليه المال الذى أرسله اليه وقال لغلامه قل لاستاذك ان الحاجة التى طلبتها منا فى هذه الشقفة فلما رجع الغلام الى سيده بالمال دفعه اليه وناوله الشقفة ولم يدر التاجر ما فيها ولا الغلام ولم يكشف لهما ابن الامير سترا ولم يفش لهم سرا من عقله ودينه قال فاخذ ذلك التاجر تلك الشقفة ودخل الى ناحية فى بيته وكشفها فوجدها قذرا فلما رآه رمى به الى داخل الخلا الذى فى بيته ورجع الى نفسه وصار يقول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم يقول لنفسه يا نفس تشترين جهنم بخمسمائة دينار اشترى أنت لنفسك الجنة بتوبة وهى كلام لا تعب فيه ولا نصب ولا مال يبذل فقال أشهدك يارب انى تائب الى وجهك الكريم كل ذلك والغلام يسمع كلامه من خلف الباب فكان ذلك سببا لتوبة ذلك التاجر وصار تائبا الى أن توفى الى رحمة الله تعالى ببركة ذلك الولد المبارك هكذا سمعته من الاستاذ رضى الله عنه فى بعض مواعيده فلما انقضى ذلك المجلس وخرج الناس من عند الاستاذ جعل بعض الناس يقول لرفيقه يا فلان سمعت اليوم ما قاله سيدى فيقول نعم نفعنا الله به فتاب فى مجلس سيدى ذلك اليوم من كان يفعل فعل ذلك التاجر وصلح حالهم فانظر الى هذا التلويح الذى لوحه الاستاذ لمن كان يفعل ذلك الفعل القبيح فتاب من ذلك جماعة كثير بحكاية حكاها الاستاذ عن بعض الناس لا غير فانظر الى هذه الكرامة العظيمة التى خص الله بها هذا السيد العظيم الذى جعل الله كلامه دريا قا لسم المعاصى والذنوب وشفاء للقلوب ودواء للعيوب فرحمه الله ونفعنا به آمين

ومن مكارم أخلاقه رضى الله عنه أن رجلا مغربيا كان من أهل العلم الكبار حتى انه تولى القضاء على مذهب الامام مالك رضى الله عنه وجلس قاضيا فى مكان معروف مع جماعة من الشهود الا أنه كان فقيرا جدا لا يملك القوت اليومى فاتفق أنه شكا حاله للاستاذ رحمه الله تعالى فنزل له الاستاذ عن ثلاثة أفدنة أو أربعة أفدنة رزيقة كانت فى بعض بلاد الجيزة وكتب له بذلك توقيعا وأخذ له عليه علامة السلطان الملك الاشرف برسباى هكذا حكى لى سيدى أبو الفضل ولد الاستاذ رحمه الله قال فقلت للاستاذ يا سيدى ما كنا أحق بهذه الرزيقة فقال لى لعل الله يفتح بخير منها ان شاء الله تعالى. قال فوالله ما مضى غير أيام قليلة حتى حصل لسيدى توقيع بعشرة أفدنة فى بلدة تسمى البراجيم وأعرفها وصليت مع الاستاذ الجمعة فيها على أيام الملك الاشرف برسباى

وأخبرنى الفقير أحمد السملاوى المعروف بابن النجار قال أرسلنى الاستاذ الى البراجيم مع اثنين من الفقراء وقال لنا اقعدوا فى البلدة حتى تحصدوا الرزقة وتدرسوها ومهما يبعث الله فيها من القمح احملوه الى الزاوية للفقراء وانزلوا عند كبير البلدة فانه مبارك ويحب الفقراء فامتثلنا أمره وفعلنا ما أمرنا به وذهبنا الى البراجيم ونزلنا عند ذلك الرجل فاحسن

الينا كثيرا وأرسل خلف جماعة فحصدوها ودرسوها وذروها واكلوها فحصل منها مائة أردب فوقع الفدان بعشرة أرادب فحملنا ذلك الى الاستاذ رحمه الله

ومن مكارم أخلاقه رحمه الله أنه ورد عليه رجل عجمي متصوف وكان عارفا بعلم الحقيقة والشريعة وكان بالحقيقة أعرف وكان قد دخل الى مصر لبعض حوائجه فلما قضى اربه وأراد السفر الى بلده جاء الى الاستاذ ليودعه ويأخذ خاطره فصادف الاستاذ راكبا قاصدا الى تربته بالقرافة فقبل يد الاستاذ وأعلمه أنه على جناح سفر فقال له الاستاذ لعلك تريد شيئا تركبه قال فسكت العجمي وأطرق رأسه الى الارض وعرف الاستاذ ان نظره قد وقع في الفرس التي تحته قال فنزل الاستاذ عن الفرس وقال له خذ هذه تحتك واركبها الى البلاد ان شاء الله تعالى قال ففرح العجمي وحصل له بذلك تشريف واكرام ثم أخذ الفرس وودع الاستاذ وخرج من بين يديه مسافرا وطلب الاستاذ فرسا غيرها فركبها الى القرافة فكان هذا دأبه رحمه الله وكانت هذه طريقته حكاه سيدي أبو الفضل رضي الله عنه

ومن مكارم الاستاذ رضي الله عنه أن الشيخ زين الدين أبا بكر بن أبي الوفاء جاء من بيت المقدس الى القاهرة في حاجة له عند السلطان فاجتمع بالاستاذ وسلم عليه وقص عليه قصته وحاجته التي جاء بسببها الى السلطان وطلب من الاستاذ المساعدة في ذلك فساعده الاستاذ وقضى حاجته عند السلطان فلما أراد السفر الى بيت المقدس جاء الى الاستاذ يودعه فرأيته يودع سيدي وهو جالس بين يديه جاثيا على ركبتيه وأخرج له الاستاذ من جيبه خمسين دينارا وقال له تزود بهذه ولا تؤاخذنا في التقصير قال فاستحى الشيخ أبو بكر عند ذلك من الاستاذ وأمسك يده عن الاخذ فقال له الاستاذ خذها فانك محتاج اليها ونحن في غنى عنها فاخذها الشيخ أبو بكر بن أبي الوفاء وهو في حياء كبير من الاستاذ وقال له والله ياسيدي ان عطاءك أكثر من عطاء السلطان فقال سيدي خذها واكتم ذلك عن الناس وادع لنا بخير فنحن في بركتكم وبركة أسلافكم قال فاخذها وانصرف من بين يدي الاستاذ وهو يبكي لفراقه وكان الشيخ أبو بكر ذا شكل حسن وهيبة عظيمة وعليه وقار ورأيته وملأت عيني وقلبي منه رحمه الله تعالى وعفا عنه آمين

وكان السلطان قد اعطاه اقل مما اعطاه الاستاذ رحمه الله فاستكثر عطاء الاستاذ على عطاء السلطان ومن مكارم اخلاقه أن الفضة كانت لا تنقطع من جيبه ولا يخلو جيبه منها وكان اذا رأى فقيرا مقبلا نحوه يضع يده في جيبه فاذا سلم عليه الفقير اسقط له الفضة في كفه فكانت هذه عادته مع الفقراء قلت ورأيت في نومي ليلة الاحد مستهل ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثمانمائة رجلا واظنه من اصحاب الاستاذ الكبير رضي الله عنه وكان يقول سمعت الاستاذ يقول في بعض الايام ما حلالي في زماني غير حبي اذا رأه أو يراني ويترنم به فاستيقظت وكتبت ذلك ورأيت ايضا في تلك الليلة بعينها رجلا من اصحاب الاستاذ

ايضا وقد جرى بيني وبينه ذكر الاستاذ رضى الله عنه فقال لى رأيت من سيدى عجبا وذلك أن الاستاذ ركب يوما الى ناحية الروضة او قال الى القرافة فبينما هو فى بعض الشوارع اذ وقع نظره على رجل نائم تحت حائط وعليه ثياب دنسة فقال لى يا فلان اذهب الى ذلك النائم وقل له يقول لك محمد الحنفى قم من هذا الموضع واذهب الى غيره قال فمضيت اليه وقلت له ما قال لى سيدى قال فثار من نومه قائما ولم يلتفت الى فمشى قليلا ثم اختفى عنى فرجعت الى الاستاذ واخبرته بما وقع لى معه فقال أندرى من هذا قلت لا قال هذا ابليس أراد أن يعترض الفقراء ويشوش عليهم ببعض مكايده وقد سلمنا الله منه بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين

وأخبرنى سيدى أبو الغيث رحمه الله وزاده خيرا على خيره حدثنى سيدى الوالد عن الاستاذ الحنفى رضى الله عنه قال قلت للاستاذ يوما يا سيدى لا اى شئ ميعاد سيدى أبى الفضل يحضر فيه جماعة كثيرة وميعاد سيدى أبى الخير يحضر فيه خلق قليل فقال له الاستاذ ايش كان فضولك وقال له مرة أخرى كذلك فقال له السر معنا أين من يأخذ أين من يسوم وسئل مرة أخرى فقال للسائل الفتة من رجل تكثر الجماعة وكان من شأن الاستاذ رحمه الله اذا ركب فى شارع من شوارع مصر وركب أصحابه بين يديه واستقبله بعض الامراء أو بعض القضاة أو أحد من أرباب الدولة ككاتب السر أو ناظر الخاص أو غيرهم رجع باتباعه ومماليكه مع الجماعة الذين هم راكبون بين يدى الاستاذ حتى يصل الاستاذ الى المكان الذى هو قاصده فان كان قاصد الروضة نزلوا عند البحر وقبلوا يدى الاستاذ واستأذنوه فى الرجوع وان كان سيدى قاصدا الى القرافة أو الى غيرها فكذلك ولم يجسر أحد منهم أن يتجاوز الاستاذ وهو راكب من هيبته رضى الله عنه فمحمد الله الذى من علينا برؤيته وادخلنا فى صحبته وكان من شأن الاستاذ رحمه الله انه ما جلس أحد بين يديه من أبناء الدنيا ولا من أرباب الدولة ولا من أهل المناصب الدينية والدنيوية الا خضع له وذل حتى انه لم يقدر ان يتربع بين يديه بل يكون جاثيا على ركبتيه

ولم يشتهر عن سيدى رحمه الله ان أحدا من هؤلاء المذكورين اذا قام من بين يدى سيدى أعطاه ظهره عند قيامه بل يرجع الى خلفه خطوات حتى يبعد عن الاستاذ ثم يأخذ يمينا أو شمالا هكذا كان شأن الناس معه وكان من شأنه رضى الله عنه انه لا يقوم لاحد من هؤلاء المذكورين ولم يتحرك له ولم يغير جلسته ولو كان سلطانا وان كان أحد من هؤلاء المذكورين له مع الاستاذ كلام يتكلم معه فيه لم يجسر أن يرفع وجهه فى وجهه بل يجلس بين يديه خاضعا متأدبا ناظرا الى الارض ولا يلتفت يمينا ولا شمالا وربما يعرق الجالس بين يديه عرقا عظيما من هيبته ولقد شاهدنا ذلك مرارا ورأيناه عيانا وكل ما ذكرناه من علامات الولاية ومن امارات الصلاح والهداية فكان هذا حاله رضى الله عنه مع الفقراء والمساكين فكان

كلامه مع الفقراء والمساكين مثل كلامه مع الامراء والسلاطين واقباله على الامراء والسلاطين كاقباله على الفقراء والمساكين وما أحسن ما قال بعض الفصحاء فى حقه

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

ومما حكاه السيد الشريف المعروف بالنعمانى نزيل النعمانية بمصر العتيقة نفعنا الله به وبسلفه الصالح قال كنا مع شيخنا العارف بالله تعالى شمس الدين الحنفى مربى المريدين ومفيد الطالبين تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بجملة جماعة من أصحابه بالاثر الشريف النبوى وعزم منه الى مكان له بالمنشأة المعروفة بمنشأة المهرانى فلما وصلنا الى الزيادتين بمصر اذ مر به رجل أعجمى مستتر بحصير قضبان توارى سوأتيه مكشوف الرأس فأنشد للشيخ المشار اليه أعلاه بيتا من قصيدة عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه فقال

نهارى نسيم كله ان تنسمت * أوائله منها بردتحيتى

وكان مع الاستاذ جماعة من الفقراء والاحباب فمنهم من لم يعرف كلام الرجل الاعجمى فلما نزل الاستاذ سأله بعض الفقراء عما قاله الاعجمى فقال الاستاذ هذا الرجل يصلى صلاة الصبح فاذا تشهد وقال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين سمع رد السلام من النبى صلى الله عليه وسلم فيقوى النور حتى يصير كاصل النهار فكأنه يقول انه اليوم حصل له الفتح فلا عتب عليه وما أحسن ما أشار اليه الشيخ شمس الدين القرافى رحمه الله تعالى فى ديباجته الكبرى التى افتتح بها ديوان الانشاء الذى جمعه من كلام الاستاذ رضى الله عنه من القصائد الربانية والتنزلات الرحمانية

فقال لقد أبرز لمحبه ومريديه وأحبابه * والداخلين فى حمائه * بالاذن العلى سرا خفيا * فيه هدى لكل محب ومريد احديا * صديقا صادقا للعهد وفيا * هدى يهدى به من كان نجيبا * قد سبكه فى كلامه * ونظمه نظما موزونا كدر ولؤلؤ له صفاء * ونور تراه سنيا * وأودعها بيوتا غالية * أنشأها انشاء بديعا سميا * فهى فيها مخبوءة محفوظة * عن كل من كان قصيا * فلا تفتح الا لكل مؤمن * وأمين كان تقيا * ولا يدخل من أبواب سرها الا خاصة أهلها من كان للاسرار سريا * فان اطلعت عليها * فدارها عن مس هوائها * فدارها دار هوى * عن السر سكن * وادن منها فهى لكل عز وطن * وللغير بعد وشطن * فلا تنجل عنها واجعلها سكنك * و ياحبذا ان تكن هى وطنك * فلازمها لزوم الحب الصادق * ونادم أبكارها منادمة المغرم العاشق * فاذا صفا سرك لمعانى سرها * وافتح لك باب من أبواب سربها * وكشف لك نقاب عن جمال طلعتها * وشاهدت ذلك الجمال وحسنه * ولاح لك معنى من معانى سره * أنعم بشهودها نظرك السعيد * ومتع ببديع محاسن سرها قلبك الشهيد * ونادمها وناغيها * واجعل خطابك لها معنى لمافيها * فاذا ألقت اليك سرا من سر خافيها * فافهمه عنها واليها * ولا

تلتفت بعد ذا الى غيرها * واياك ان تسلوها * واحفظ مابدا لك منها * ولاتبد سرا تجلى لك عنها * فتحجب عنك وتحجب عنها * واكتم ما كان بينكما * فان فى اظهاره بينكما * واياك أن تفهم عنها صورة حسية * أو تقف عندها فيغطى لك ما كشف * ويصرف عنك كبرق خطف * ولاتشغل الظاهر بالظاهر * فتحجب عن الباطن والظاهر * فليس من أخفى السر للعان * كمن للعان كمن * واذا لاحت لك اشارة لطيفة بالفهم عنها * فاحتفظ بها وعن الغير صنها * واستمع قول الناصح الرشيد * من كلام الاستاذ

فمن فهم الاشارة فليصنها * والاسوف يقتل بالحديد

فهذه بدائع أبكار لاهلها * قد نشئت * لها محاسن على عروس هواها قد جليت * وسر معناها عن غير حجبت * ورموز اشارتها عن ضد سترت * فلا يحيط بها علما الا عالها * ولا يدرى حقيقة معناها الا عارفها * كما لا يهتدى لمحجة الهدى الا سالكها * ولا يدرك حقيقة معناها الا عارفها * وكما لا تحرر الارقاء الا من مالكها * فألق اليها سمعك المطيع غير شديد * وكرر فى صورة شكلها نظرك السعيد * وأحضر لها قلبك الشهيد * فان بان لك معنى سرها فأنت الحاضر الشاهد * وان بان عنك فانت الغائب المتباعد قال قدس الله سره

وما أخفيه من غمز ورمز * سأظهره الى القلب السعيد
الى القلب المقدس عن سواه * فيشهده على رغم الحسود

(وقال أيضا)

وانما صنته للامر ممتثلا * عن غير أهل لما أخشاه يخشانى
علم الدليل ترى فيه شواهده * وعلمنا لا يرى الا ببرهانى

(وقوله)

فلا تخفى صفات عن قريب * ولكن كيف تظهر للبعيد

(وقوله)

هبات الله ليس بها خفاء * ولكن تحت مكمون العميد

الى غير ذلك فاذا جلى عليك شئ من محاسنها * فلازمها لزوم المغرم بها * ونادمها وافهم مايلقى اليك عنها * وتمسك به وتعلق * وتحقق به وتخلق * ولاتنتقل من بيت الى غيره * حتى يفتح لك باب من أبواب سره * ثم استوعبها الى غايتها * وتمسك بما يراد منها * فاذا صح لك فانت المخاطب والمراد * والمصطفى من بين العباد * ان غبت فعنك الاثر والاين * وان حضرت فانت العين * طريقتك محمودة * وطويتك مسعودة * وأحوالك مرضية * واخلاقك انسية * وشريعتك محمدية * وسيأتى لك ترشح فيه زيادة بيان * فى المتشابه على نشوان * ان شاء الله تعالى وقد أردت ان أورد ما حكاه لى الفقيه شهاب الدين أحمد بن المسدى قارئ الحديث قال سمعت سيدنا الشيخ شهاب

الدين أبا العباس السرسى خادم الاستاذ رضى الله عنهما يقول تعشينا يوما صحبة الاستاذ على شاطئ النيل المبارك وقد أراد التوجه الى الآثار الشريفة فنزلنا فى قارب لطيف فغربت الشمس باستهلال شهر الله المحرم سنة ثمانمائة ونحن فى المركب فنظر الاستاذ الى هلاله وقال لا اله الا الله روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ثم قال اقرؤا سورة الفاتحة واسألوا الله تعالى ان أكون ذلك الرجل قال فقرأنا وبسطنا أيدينا ودعونا الله سبحانه وتعالى فاطرق الاستاذ رأسه ساعة ثم رفعه وقال من يبايعنى منكم قال سيدى أبو العباس فمددت اليه يدى فكنت أول من بايعه رضى الله عنهما وأعاد على وعلى الوجود من بركاتهما آمين هذا ما حكاه لى ولا شك فيه والمقصود من ذلك ما روى فى آخرها وان اختلفت ألفاظها ببعض الحروف فى أولها واستمع الى قوله يا من هو له ومن أهله حيث قال رضى الله عنه *

سر مولاك العلى * قد بدا لى يا ولى * فاغتنمنى تجتلى * سره من مددى * ولتعلم ان كلامه لا يدرك حقيقة معناه ويقف على سر مراده الا العارفون العالمون به فاولئك يكشف لهم عن خفى سره ومعانى رمزه يدركون ذلك بفاهمة عقولهم وواسطة علومهم وصفاء قلوبهم كما قال رحمه الله تعالى عنه

وما أخفيه من غمز ورمز * سأظهره الى القلب السعيد
الى القلب المقدس عن سواه * فيشهده على رغم الحسود

فتأمل ما قاله تجده مشحونا علما وعرفانا * وحكمة وايمانا وشفاء وتبيانا وهدى وايقانا فهو هدى لمن آمن به واستسلم لامره كما قال

تهتك لنا ان كنت تهوى وصالنا * فمن كان يهوانا فلا يخش من عار
ومن كان يهوانا فلا يهو غيرنا * ومن كان يهوانا يرى سرنا سارى

(وقوله)

يا نجوم الافق صبحى قد بدا * واقتدى أهل الولا بى والاثر

(وقوله)

لحضرة القدس قد دعانى * مولاى من سائر العباد

(وقوله)

مذهبى فى الحب يشهده * كل من يمشى على قدمى

(وقوله)

رفعت عنى حجبى * وغدا بعدى قربى

(وقوله)

أخذت العلم عن قلبى * عن الاسرار عن ربى

(وقوله)

علومى مفاتيح لكل غريبة

(وقوله)

نحن أسرار الوجود * لانرى الاشهود

وقوله نحن أسرار الازل * الى غير ذلك ويكفى مع ذلك قوله

قال لى رب المعالى * أبرز السر الخفيا

وادع لى أهل ودادى * ومريدى الاحديا

وقد صرح بمحبه ومريديه بالبشرى فى غير ما موضع من كلامه فمن ذلك قوله

يا أصحابى فطيبوا * اذ مرادى قد حصل لى

فلكم عز رفيع * باتصالى وبوصلى

(وقوله)

وكل أصحابى غدت فى نعيم*

(وقوله)

سيدى مازال يرعى * كل من فيه أتانى

(وقوله)

قد حبانى بفضله * وكذا كل من معى

(وقوله)

يا ناظرى فتملى وقوله فعاش بى جليسى

الى غير ذلك فانظر نظرك الله كيف دعاك الى الطريق الاحمد والصراط الاقوم بالطف اشارة وألين عبارة فقال رحمه الله وعفا عنه

فكن له حنيفا * فى كل ما تعانى

ثم بين نتيجة الاستماع وثمرة الاتباع بتتمة البيت فقال

تحيى به وتسمع * من سرك المعانى

ثم أكد عليك الامر لتسمع حقا وتتبع وان الاستماع مخصوص لكل مؤمن فقال

واستمع منى ترى عين الطلب

(وقال فى موضع آخر)

واتبع يا منيتى تبق ملك

فالاستماع ملزوم والاتباع لازم والقاعدة أنه يلزم من وجود الملزوم وجود اللازم ويلزم من انتفاء الملزوم انتفاء اللازم فعلمت انه لابد لك ان تجمع بينهما تسمع ثم تتبع والا لا فائدة والحجة عليك وقد جمع الاستاذ بينهما فجعل الاستماع ميزانا والاتباع تكملة له

ورجحانا فقال واذا ما الحق نادى فاستمع ثم قال واتبع يا منيتى تبقى ملك فالاتباع فيها قد بان لك ما عليك ولك فاختر لنفسك ما يحلو والسالكون على قسمين فمنهم من تدعوه الكلمة الحسنى مع الاحسان وهذا واقف مقيد ومنهم من تدعوه وتجذبه المحبة والرغبة من طرق لهذا الكمال وهذا صادق مؤيد وشتان ما بين مقيد واقف ومحب داع خائف لان المقيد ما أوقفه وقيده الا أنه عقد عزمه على ما يلائمه طبعه من شهوة حصلت له أو احسان أسدى اليه أو كرامة سمعها أو كشف وعلامة هذا كثرة التلون والتأول وسرعة الانكار والتحول وأما المحب الخائف فلا يعدله شيطان ولا سوى ولا يميل عن الهدى وسر داعيه كاتب محبته وبتوفيق الله كاتب جذبته فما عاقه عنه عائق ولا قطعته عنه العلائق هذا هو المغناطيس الجاذب القانص والاكسير الخالص الغائص

واعلم أن لكلام الاستاذ اسرارا عميقة ومعانى دقيقة يدق فهمها على غير أهلها بل لا يعقلون معنى ما ظهر منها وأما أربابها فهم أحق بها وأهلها كما قال مشيرا لهم بما شرط فى أوله وهو قوله

من يلبى من يلبى * يشهد الامر المحبى
ويرى السر جهارا * من صفاء حضرة قربى

(الى ان قال)

وللاسرار أسرار * كما للحجب من حجبى

تقدم وزاحم وحصل المطلوب فما الدانى مثل القاصى وما الرابح مثل المغبون واسع وكن خادما لهذا الزكى الانفس وع لما قاله بنفسه الانفس ودع عنك شؤم هوى الانفس

سرى الوادى وطورى قبسى * وكليم الشوق منى نفسى

الى ان قال

أيها الحلاج غب عن حضرتى * ان ذكراك بذكرى قدنسى

فان شئت ان تبتل لك أنملة من بحر أسرارهم * أو قطرة غيث من غيثهم * فتجرد عنك لهم * واخدم ولازمهم * وكن عبدا لهم * فعبدهم منهم * وقبل ثراهم تراهم * وادخل حماهم * فالحمى هم * واخضع لهم ذلا واهو هواهم * وبهم تهنا يا مهنا * فالهناهم * ولازم نداهم * واسمع واجب نداهم * فيد الندا هم * واتبع هواهم * فالهدى هم * وان تمنيت مناهم * فالمنا هم * فالذل لهم عز * والفقر لهم غنى * وشهودهم نور وهدى * ياسعد من يراهم * فمن كان قريب * شاهد السر العجيب * ويحبهم ويحبونه * يانعم الصادق الحبيب * نشأبه الانشاء ومعالم المنشأ * وهو قريب المنشأبه طهر أسرارك من الاغيار وأخلها * ودع ديارك عنها وخلها وتجرد عن هواك ودنياك وطبعها * وانتقل وارحل يا معنى من بيوت الحس الى بيوت المعنى * فان المساكن الحسية * قد أحكم أساسها من حرام يقتله دنسه كثيفة سماء وأرضا * ولهذا كان الغالب عليها الظلمة لولا الفرج * وشدتها عند هجوم الليل لولا السرج *

ولو لم يكن ذلك ما اهتدى ساكنها * ولولا عوالى رواشيها * ما نسم نسيمها تدعو سكانها الى الكسل والنوم وتحجبهم عن شهود الكون وما لها الى القفر والخراب وعودها الى أصلها وهو التراب وهو جوهر كثيف * وأما المساكن المعنوية والاشارة اليها فانها نشئت عن أنفاس نفيسة زكية طاهرة شريفة وعن أرواح الروحانية اللطيفة وافئدة طيبة عفيفة * الهام الى * وفتوح على * نورسنى * لها فضل وشرف على ساكنها قد أودع منشئها فى خزائن خيرها الداخلها معانى جليلة * وجواهر أسرارها جميلة * داخلها أبكار حسان محجبة تجلى لخطابها * فاذا أردت الوصول اليها دع ماسواها واسكن اليها فاذا فتح لك باب من أبواب سرها وكشف لك نقاب من بديع حسنها فاجمع شملك بشملها ونادمها وناغمها واذا ألقت اليك سراخذه عنها وافهم منه مايراد بك منها * فانها لك أودعت فاملحها واجلها ويا حسن معان لها جمعت والفة عليها الفت * بديعة الانشا * مليحة المشى * أريجة الارجاء رحيبة البيداء * انسية الذات جميلة الصفات * لطيفة ناشئة * رقيقة الحاشية * دائرة الاشكال * بعيدة الاشكال * عزيزة الامثال * غريزة المثال * عزيزة الاركان محررة الميزان * زائدة الرجحان * قائمة الاستوا * معتدلة الهوى * حسنة الائتلاف * بعيدة الاختلاف * لازلة ولا خيل ولازيف * ولا انزحاف * شرفها عال * ووصلها عزيز غال * قد أحكمها منشئها وبانيها * فبانت عن أمثال تضاهيها وبان عطفها ونسقها مع علو طباقها * ووفق مناطها وانماطها وتفريدها وجمعها * وتأليف تركيبها * باحسن مابه نصبت وله رفعت * واليه سكنت لايصفها شاعر ولا أديب * ولها الانشاء العجيب لايعارضها معارض بعلم العروض وفن الادب ولامن له يد طولى فى الاعراب ولغة العرب لامن قبيل زمانها وتحريرها * ولا من حيث زينتها وتحبيرها وان كان له تصرف وتصريف * خال عن التصحيف والتحريف * صحيح النثر والتأليف * قد جمع بين المعانى والبيان * ومعرفة علم اللسان * وكذا التغزل والغزل * فى التورية والجزل والاختلاس والاقتباس * والالتماس * والاستعارة وجنس الجناس * فى المفرد والمخمس والمسدس والترييع تام المعرفة بعلم البديع * الى غير ذلك مما تناوله رؤس الشعراء وعيون الادباء وانما كلام السادة الاولياء رضى الله عنهم ليس هو من غنى ولا مغنى بضرب دف ولا غربال ولا تصفيق بالايدى ولا الاقدام ولا ياحبيبى وندعى تان تان وانما هو هبات ألية والهامات الهية وفتوحات ربانية لها معان سنية وأسرار خفية مابين معارف وعوارف وتجليات ومشاهدات ومقامات ودرجات أحوالها سمية وأنوارها سنية وهذا هو السر المصون والسر المكتوم والجوهر المكنون الواجب صونه وكتمانه والعزيز وجوده وتبيانه ليس هو من فن الشعراء وشغلهم ولا جليل نقلهم ولا من تكليفهم ونقلهم وكيف لهم

بسلوك طريق لا يعرفونه أو الدخول فى بحر أسرار لا يدرونه أما سمعوا الشاهد لذلك قوله

هذا حديث غريب ليس يفهمه * الا فتى واله بالله ربانى

(وقوله)

علم الدليل يرى فيه شواهده * وعلمنا لا يرى الا ببرهانى

ونظائر ذلك كثيرة قد أحلنا عليها وستقف عليها وتشهد مع عدول شهودها وقد دخل عليه بعض الشعراء المشهورين بفن الادب عن جد فاجرى له الاستاذ شيئا من كلامه للبناء عليه وهو قوله

رقصت أبكار فكرى * بين دامات المعانى

فأطرق رأسه ساعة وسلم وقام ولم يأت بشئ فلا يطمع طامع فيما ليس له فما قسم له منه لا بد له منه ولكل شرب معلوم * وجزء مقسوم وما كان شربا لغيرك ليس هو شربك وحادى السرى يا معنى قط ما يسرى بك فاقنع ولا تطمع * وأرح يا معنى من العناء قلبك وقد جمع الاستاذ قدس الله روحه فى الهامه تنزلاته اسرارا وعلوما وفهوما كما تقدم ذكره لا يفهمها الا ذو فهم صقيل ولا ينالها الا ذو حظ عظيم وقد قال

هبات الله ليس بها خفاء * ولكن تحت مكمون العميد

وهذه البيوت المعنوية هى كنوز المعانى والاسرار وذخائر مخبأة أبكارها الافكار من علوم وفهوم وعوارف ومعارف ومراحم ومعاطف وكشف واظهار ولها بساتين وجنات ورياض وأنهار وحدائق وازهار فالعلوم والفهوم بحار أنهارها والمعارف والعوارف حدائقها ورياضها والمراحم والمعاطف جناتها والكشف والاظهار بساتينها وثمرات أزهارها معانى أسرارها فافهم ذلك ان بان لك أو بان عنك لا عذر لك أو قلت لا فهم لى فليس بالبعيد وان قلت على لكن شط عنى فليس للثرأى سديد فعليك بالدخول الى بحار أنهارها والعطف على بساتين جناتها وامرح فى أراضى رياضها واجن من جنى ثمار أشجارها واقتطف من عقلات كرومها وشاهد بنور المشاهد ملاح غصونها وبان بانات قد فاح عطرها مع رياحين شاذن مسك عبيرها وشقائق نعمان ما الطفها وجلنار كاطراف كبريت تحكى لهبها الشهيها وزهر الربيع وزهرتها كافور ومرجان حاكيا حسن صورتها يالها من رياض قد اخضر بسيطها وهب نسيمها وتدفقت انهارها وطاب نعيمها وتناغت سواقيها وجرت عيونها فاحيت رياض اراضيها واضحكت غصونها وطلع بدرها وظهر نجمها واخضر زرعها والتوى جذعها وجنيت عناقيد كرومها ومالت على عاشقيها ودنت لدانيها ومن قال انى عليل هواها فان الدواء فى دوالبها سيما اذا صاحت بلابل بلبالك سحرا على غفلاتها واستمعت تغريد الاطيار على اعالى الاشجار باختلاف لغاتها ونوح الحمام على الغصون بشجوها وشجونها وصدحات الايك فى ربا دوحاتها وأنينها والارق اذا أرقت وطاب

حنينها يالها من مسموعات ما احسن تغريدها واحسن تفريدها فكما انك اذا التفت لسماعها القيت لها سمعك واتبعتها بصرك ولو أمكنك أن لا تفارقها لفعلت فهكذا فلتكن حالتك عند سماع الدعوى واجابة الداعى تسمعها ثم تتبعها وهذه ثمرتها فان فهمت فهمت فانت الحاضر الشهيد وان وهمت وهمت فانت الغائب البعيد فأحضر عقلك وفهمك واترك خيالك ووهمك وليس منا انما كان منك فمن فهم السر عنا كان منا وهو منا عليه وله ان لاح معنا أو وهبات منه ما أغنى فهو منا ومعنا ومن يكن لامرنا ما تغنى فقد فقد ومات عنا فان كنت لما قلت شهيد لا تقل انك عاقل ورشيد والا فبئس البليد أما سمعت قوله

فاخلع الوهم حبيبى * واطرح تشهد حبى
فلكم بالوهم غابت * أعين عن سر ربى

* ندوة طل من غيث كراماته رضى الله عنه *

ولتعلم يقينا ان الايمان بكرامات الاولياء واجب وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وانطوى عليه رأى السلف الصالح رضى الله عنهم ثبت ذلك بالنصين نقلا وعقلا وشرعا وشواهده كثيرة منقولة مأثورة من الكتاب والسنة ويكفيك عن جملتها قوله سبحانه وتعالى الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله صلى الله عليه وسلم وان من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة فان أردت الوقوف على شئ من دلائلها فعليك باتباع الرسالة الى آخرها واستعن بر ياض الاذكار والاحياء وقوت القلوب حتى تبلغ المطلوب وقد ظهر للاستاذ رضى الله عنه من ابتداء ولايته كرامات وخرق عادات يجب علينا وعلى كل مؤمن الايمان بها ليخرج من عهدة الوعيد ويدخل فى زمرة كل شهيد وسعيد قد شوهدت كثيرا ونقلت عنه وعن بنيه واشتهرت يقظة ومناما كعين الشمس لا سحابا ولا غماما ليس هذا مكان جمعها ولا بد من صب صبابة من ذكرها فمن ذلك ما سمعت من الاستاذ رضى الله عنه يقول قال لى عبد الكريم الكتبى يا سيدى قد رأيت الخضر فى يوم مشهدك جالسا عن يمينك يسمع كلامك فاذا قمت للذكر قام معك واذا دخلت الى خلوتك تبعك وهو على زى صورتك هذه ما أخطأك زيا ولا شكلا هذا معناه وان اختلف لفظه وعبد الكريم معروف بالعلم والدين والثقة رحمه الله قال ويؤيده ما قال لى منكلى بغا وكان عبدا صالحا صحب الاستاذ مدة وخدمه برهة حتى فتح الله عليه فتحا مبينا وكان فى كل مشهد تحضر له حالة استماعية تخرجه عن حالته العادية فيتجرد عن ثيابه ويتشحط بين الحاضرين ويتخبط ويتكلم بكلام فيه كشف لبعض الحاضرين فاذا رجع الى حالته سلم الناس عليه والتمسوا منه الدعاء قال لى يوما يا فلان كم لك فى صحبة الاستاذ قلت زمانا قال فهل رأيت الخضر حاضرا فى يوم مشهده قلت لا فهز رأسه وقام واقفا وهو يقول أنا رأيته مرارا عن يمين الاستاذ رافعا

بذلك صوته رحمه الله تعالى وحكى خليل الغرس وكان رجلا صالحا خيرا قد صحب الاستاذ زمانا وكان اذا صلى الصبح لا يبرح من مصلاه حتى يرتفع النهار وتبيض الشمس ويصلي الضحى وكان لا يفارق سجته الا قليلا رحمه الله تعالى قال يا فلان رأيت عجبا قلت وما ذلك قال رأيت جماعة أجلاء وذكر من جنس وصفهم ما ذكر حتى قال ويزيدون على الناس في الطول والجمال عليهم هيبة وضياء ونور يجلسون قريبا من الاستاذ في يوم مشهده فاذا قام للذكر قاموا للقيامه واذا دخل الخلوة دخلوا خلفه كالتابع لامامه وهذا في كل مشهد ولي مدة ما رأيتهم ولم أدر بماذا حجبوا عني قلت ولعلك أبديت لاحد أمرهم قال نعم قلت لا تعد وقال لي شرف الدين حمزة الصوفي وكان طالب علم وله مطالعة في كتب القوم وقد صحب الاستاذ مدة واشتغل عليه وأخذ عنه سمعت الاستاذ في مشهده ينشد شيئا من كلامه

سر تبدى لعين قلبي * يشهده العارف اللبيب

(الى أن قال)

فان قلبي بيت لربي * تطوف من حوله القلوب

فاطرقت ساعة متفكرا مما وقع فرأيت سيدي في الحال كانه جالس فوق الكعبة والحجيج طائف بها فقلت له ليس هذا بالبعيد فهل أخذتك عينك فرأيت ما رأيت قال لا بل رأيت ذلك عيانا لا مناما قلت أو كانك مرتاب اما علمت أن لسان القال هو ترجمان الحال وقد أخبرني بعض مشايخ الشافعية وكان عالما صالحا فاضلا ورعا ولي القضاء فلم يقض فكامته في ذلك فقال شروط العدالة والولاية كثيرة أين القائم بها وسكت كالكاره لها وكنت سألته عن رؤية منامية رأيتها للاستاذ فرفع بصره وتنفس الصعداء ثم قال وماذا عسى ان أقول رأيت كثيرا مما يدل على ان الاستاذ هو عين الزمان فمنها انني رأيت ليلة كانه في الجو بين السماء والارض وحوله جند عظيم خلفا وأماما ويمينا وشمالا والبوقات تسمع حوله واسم الرائي شمس الدين بن القزاز وكان محبا صادقا وكان يختلف الى سيدي فالهمت ان هذه مرتبة سليمانية وان كانت منامية ورأيت أشياء كثيرة ولو لم أر لا مناما ولا عيانا لم أزدد بفضل الله الا يقينا وايمانا ورأيت الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في صورة شاب مخلل بعباءة في ابل له يرعاها فوقفت معه وحادثني وحادثته ثم أرسل معي السلام لسيدي أبي العباس خادم الاستاذ رضي الله عنه فجئت اليه وبلغته السلام فكتب ورقة بخط منسوب بقلم الطومار قوله سبحانه تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وأعطانيها فاخذتها ورجعت الى الامام علي ورددت عليه الجواب ثم انه مشى الى صوب الابل ومشيت معه خطوات فقلت له يا سيدي من أنت فقال علي بن أبي طالب فسكت هنيهة وسألته ثانيا فنظر الي وقال علي ثم قال ابن ثم قال أبي ثم قال طالب يفصل بين كل كلمتين بسكتة لطيفة قلت يا سيدي ادع لي فقال ختم الله لك بخير ثم قال لي سلم لي على سيد العلماء فقلت ومن سيد

العلماء

العلماء فقال محمد الحنفي وهذا الذي تيسر الآن ذكره وفاح لي نشره قال فمن كان الوقت له فهو عين زمانه وله الدعوى في عصره وأوانه وان كل منشور غير منشور ولاية ختم وكل معرب عن حال نفسه فلسانه قد عجم وكل ذي مقام في زمانه دون مقامه وكل علم لذي الولاء تحت علمه وكل صاحب قدم فانه تحت قدمه قد رفع الله ولاه وأعظم شأنه وأولاه فمقامه في وقته لا يعلوه مقام وبرق سنا نوره لا يغشاه ظلام اذ هو الداعي باذن الله والهادي اليه والمنابر الواصل اليه والدال عليه ولهذا يرى لكلامه موقع في القلوب وتأثير في النفوس وراحة للارواح ومفرحة للاشباح وداعية للاعمال واحتذاء بقلوب العمال وكأن لسر كلامه عملا في القلوب هكذا الطلعة حلاوة في العيون لا يمله الناظر ولا تسأمه النفوس ولا الخواطر اذا رآه الناظر كان الهدى له شاملا وان جالسه عار صار بعده كاسيا وأما ما كان من معالي أخلاقه الكريمة قدس الله روحه فالكتاب والسنة والقيام بامر الله والحياء من الله وملازمة ذكر الله والشفقة على خلق الله والرحمة لعباد الله والتواضع لله وبذل ما في يده لله الى غير ذلك وما كان قط عبوسا ولا شموسا ولكن طلقا بساما رئيسا اذا جلس مليحا اذا خطر كأن وجهه طلعة قمر ما اغتاب ولا نم ولا ازدرى باحد ولا ذم ولا سب ولا استسب ولا طعن ولا رمى ولا لعن ولا اعتدى ولا حلف يمينا ولا لغا ولا استمع لغا ولا اليه صغا بل يرى محسنا لمن أساء اليه مواسيا للفقراء والمساكين والاغنياء وبغير عبس يكرم كل من قدم عليه أو صحبه لله ويدنيه لديه هذا خلقه حفظ الله أصله وفرعه ولا يرى مثله ولا رؤى ولا سمع في وقته له ولا حكى ولم ير بين أصحابه متكئا ولا متربعا ولا متميزا ولا مرتفعا ولا في جلوسه متميزا ولا على الفقراء متعززا ولقد صحبته نحو خمس وأربعين سنة أو أكثر منها بقليل أو دونها بقليل فما سآني فيها مقدار سنة ولا نهرني ولا شافهني بكلام غير لي بل يتلطف بي واليه يقربني ويدنيني منه ويهديني ويرغبني الى ما اليه يدعوني ويواسيني اليه اذا احتجت اليه ويزيدني مددا ما دمت بين يديه وان رأى مني تقصيرا أو هفوة أو فتورا عاتبني عليه بلطف وعرفني من غير عنف ومع ذلك كل مدده الينا واصل واحسانه بنا شامل وبره بيره لنا كافل رحمته مبسوطة ويده بالعطاء ممدودة غير مقبوضة مع احتمال الاذى منهم والصفح عنهم وكانت تتبعنا هذه الاحوال السليمة والاخلاق الكريمة فوجدناها من معالي أخلاقه الحميدة وأوصافه السعيدة خلقا وطبعا لا تكلفا وصنعا وهذا مما خصه الله سبحانه وتعالى من خزائن فضله والله يمن على من يشاء من عباده والله واسع عليم فان من محاسن صفاته بارك الله لنا في حياته ورحمه بعد وفاته فما كان أحلى شمائله وما ألطفها وما أزكى أخواله وما أشرفها وما أعلى أخلاقه وما أرأفها وفي الجملة ان الكلام على محاسن أخلاقه أجل ولكن لذكرها وقت ومحل وما هو الا كما قال الامام علي كرم الله وجهه مشيرا لمن كان مؤمنا

حقا المؤمن بشره فى وجهه وحزنه فى قلبه أوسع شئ صدرا وأذل شئ نفسا يكره الرفعة ويجتنب السمعة كثير صمته مشغول بذكر الله وقته سهل الخليقة لين العريكة دينه أجلد من الصلد وهو لله أذل من العبد وهذه صفات أهل الكمال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولكل وجهة هو موليها قلت فاغتنم وواصل * فالعطاء حاصل * واجعل بالله وصلك * وجهدك وشغلك * واهجر الغير وفاصل * واحذر تفارق عينك وحسك * وليكن ياحبيبى بالله أنسك * وللاسرار فاشهد * ومنها داو نفسك * واحضر كل مشهد واوك فيه لا تعطف عنه * واذا صفت أوقاتك للوصال فاغتنمها * واشهد مشاهدهم * تشاهدهم * ووافقهم * لا تفارقهم * وزاحمهم واجلس بينهم * وان قمت من بينهم * فاستعذ بالله من بينهم عسى أن يحصل لك منهم نصيب * فمن نازعهم فهو المصاب * ومن بان منهم فهو المصيب * فافهم لا تعيب * وعنهم لا تغيب * تنل ما تمنى على رغم الرقيب * فان كنت غريب ديارهم * بعيدا عن أوطانهم * ليس لك اليهم وصول * ولا فى محصولهم صح لك محصول * ولا فى محل انسهم لك حلول * ولا فى رياض قدسهم لك حضور * ولا الى حانات ذكرهم لك دخول * فأنت بقيد الخطا عن الخطا مكبول * وبسيف الصدو القلى مقتول * وبنشق الهوى مزكوم * وبحب الدنا مخمور * ممتلئ مغمور * وبالغرور مغرور * فعليك بشربة مزيلة لعلتك * وبارئة لغلتك * تزيل عنك هذا الكيموس * والداء المدسوس * واذا أردت شفاءك من دائك * فعليك باستعمال دوائك * تدخل الى دائرة التوحيد * وملازمة التجريد قال وقد سمعت ما قال رضى الله عنه بصدق واتقان

فاسلك طريق الهدى للشرع متبعا * واقطع بحار الهوى فى سفن ايمان

قال وهذا هو الطريق الاقوم والمسلك الاحمد * وأنت اذا منهم * وآخذ عنهم * وقد قال أهل الاشارة فى قلع بحار الهوى معنى حسن * ياذا الذوق اجعل واو الهوى دالا * وارفع ما قبلها شكا تر الهدى حالا * وابدل بطاء القطع لاما فيه تفاؤل ترى * قلعا عن الهوى عنك ميالا * وادخل بحر بحر الهدى * تشاهد سلما واتصالا * وانشق نسيم القرب من صبا نجد وشمالا وارس على منية العزم سعدا واشتمالا جد السرى ياحادى * وعرج على أيمن الوادى * واستمع النداو أجب النادى * وابسط له منك الايادى * وقل ياذا الايادى * وياسامعا لكل ناد * فى كل ناد * من حاضر وباد * ولذى الفضل ناد يالطيفا يارؤفا يارحيما بالعباد * ياغنيا عنهم وعنى اغفر لى ما كان منهم ومنى عسالك تقبل حين تقبل * واصطبر لهم * واياك تجمل وابك بطرف ساكب ودمع مسيل فعسالك أن تفهم عنهم سرا من أسرارهم أو ترى حالا من أحوالهم وهذا شئ عزيز والوصول اليه بعيد ومن من الله عليه من فضله فهو الشاهد السعيد قلت ومن صدق قوله وما أبداه من أمره ولا يرى حالى

سوى من شأنه يشبه شأني * ليت شعري أين الشأن من الشؤن * وأين الثريا من الثرى * أو الرابح من المغبون لا يشبه الخالص بالحديد والرصاص ولا الدر بالمدر ولا الجوهر بالحجر ولا الثمين بالمهين ولا النفيس بالخسيس ولا الحي بالشاخص ولا الكامل بالناقص فمن عرف نفسه وسوءها استراح من شرها وتسويلها وحجبها عما يسوءها فان أطاعته ملكها وان جمحت عنه يسوسها فان أطاعته قادها والا فهو أسيرها وان شئت ان تلقى ذلك فكن لله طائعا تراها صاغرة وهي طوع يديك واخضع ذلاله وعانق أمره وداوم ذكره وابتغ الى الله الوسيلة واتبع سبيله ترى ما تقر به عينك ويرتاح به سرك وينشرح له صدرك ويعز به قدرك وتسمو به بين الورى وتسود على من عرا بلا مرا قال رحمه الله

حضرة الله أعدت للذى * فيه يسمو بادكار وفكر
أى عبد أى عبد عبده * ذاك مولى سيد ابين البشر
سيدا عبدا وعبدا سيدا * قرا فى السر للسر قر

هكذا الى آخره وهذه البيوت لها سر غريب ومعنى عجيب تنشرح له الصدور وترتاح لكشفه القلوب وقد رأيت لها منا مادا الاعلى علوها رأيت بابا مربعا وهو مغلوق فرأيت من فرجه نورا عظيما فتأملت المكان فاذا هو جامع كبير متسع الفضا رحيب المدا رفيع السما عالى المنار وفى علو ذلك جماعة ينشدون هذين البيتين بصوت رخيم بتان وترتيل ما سمع مثله وجعلوا يكررونهما كلما راحوا الى آخرهما رجعوا الى أولهما فلما سكتوا التفت فرأيت جماعة دون ذلك الباب المغلوق صفا واحدا على سمت واحد جالسين القرفصاء رؤسهم منكسة بين ركبهم وهم هموس لا ينطقون ولا يتحركون فتعجبت من أمرهم وهدوء سمتهم وهم بهذه الصفة وأنا متفكر فى ذلك اذ سمعت هاتفا طائفا يقول هؤلاء المنكرون فتصفحت وجوههم فرأيت شخصا منهم أعرفه فلما حققت نظرى فيه نظر الى وهو ساكت كالندمان المعقود اللسان وهذا الرجل مشهور بفن الادب ولغة العرب وله فى فنه ميزان قسط ولسان عدل محجاج بواسطة فنه مدع بعلمه الرؤية بعد موته قال

و بمقلة ترمى بقوس حواجب * سهم المنية كل قلب منكر

وهذا تعريف يحجب المنكرين و يبعدهم ثم بين فقال

التعرب معنى ما أردت بصورة * فافهم بغير تدبر وتفكر

قد أرشد الى فهم حقيقة ظاهر قوله ثم رد ذلك الى علم فيه كشف عن سر لطفه ثم نصح و بين وأوضح فقال رحمه الله ونفعنا به و ببركاته

اياك تفهم صورة حسية * مما ذكرت تكن خليا مفترى

وهذا موضع التحذير والتخويف بعد الارشاد والتعريف ثم بين لك سر رمزها لتحترز عن الوقوع والوقوف مع ظاهر لفظها فقال

لكنها أرواح معنى صورت * بديع لفظ فاق طعم السكر

وهذا رجوعك عن حرضك وانتقاذك من بحر هلاكك فان الانتقاد والانكسار منجنيق الاندفاع الى نار الهلاك وقال قدس الله سره ان شئت أن تشهد جمال أهل العلى والكمال فاخرج عن الكونين قل لى ما كل ما يعلم يقال فافهم فما هذا سدى وما سؤال المقصد سوى أن تشهد فى كل حل وارتحال فان كنت لا تفهم سر الخطاب ولا لمحت ما لمحت أولو الالباب والخواص خلاصة الاحباب ولم تصب من سر معناه صواب فانت رجل مصاب قد حجبت عن الاحباب وأغلق دونك الباب ولعلك لا تميز النفيس من الخسيس ولا الثمين من المهين ولا التبر من التراب ولا الشقاوة من غبرة العذاب ومن لم يبلغ حد التمييز فهو محجور والحجر حجاب مع انى لم ألمح من ظاهر كلامه معنى ولا سرا مما به أعنى وان يكن فنقطة بحر او قطرة غيث أو بلة وبل أو ندوة طل أو مزنة صيف أو دمعة عين مصابة أو صبابة بعدان مررت على بيوت أسراره واطلعت على بديع انشائه وحمت حولها حماها وأشرفت على تلك المنازل غير سكانها فانجذبت لهار وحى ومال لها قلبى وسرى واشتغل بسر محاسنها أمرى فالتزمت الوقوف على أبوابها مقبلا ثرى أعتابها مستمطرا النوال من أربابها فنظرتهم غيث والغيث صيب ومن التجأ الى كريم جنابهم فلا يخلو من نصيب وعلى الله أتوكل وبه أكتفى ومن فيض فضله أستزيد وأشتفى والله أسأل ان يحفظ الاستاذ عن كل ضد وند منكر ومغتر وان يجعله داعيا لكل محب مهتدى ومقتدى والله سبحانه غوثى وغياثى ومعينى ومسعفى وهو حسبى وبه أكتفى وهذا آخر الديباجة الكبرى

(فصل فى ذكر سبب وفاة الاستاذ الكبير)

(صاحب المناقب الشريفة والفضائل المنيفة)

اعلم انه كان سبب وفاة الاستاذ رحمه الله من أمراض اعترضته تعجز عن حملها الجبال وتضعف عن ثقلها كواهل الرجال وأعظمها وأشدها البلغم الحار والبلغم البارد هكذا بلغنا عن رؤساء الاطباء فانهم بينوا ذلك عندما رأوا الاستاذ وشاهدوا حاله وجسوا مفاصله فقالوا له ياسيدى قد اجتمع فيك بلغمان حار وبارد فالنصف الاعلى قد تحكم منه البلغم الحار والنصف الاسفل قد تحكم منه البلغم البارد فان داوينا الاعلى غلب عليه الاسفل وان داوينا الاسفل غلب عليه الاعلى والامر امركم فقال لهم خلوا بينى وبين الله سبحانه وتعالى يفعل بى ما يشاء فله المشيئة والتصريف وكان قبل ذلك دعوا له طبيبا يهوديا فلما قالوا له ياسيدى ان الحكيم قد حضر فرفع الغطاء عن وجهه ونظر اليه فوجده يهوديا فغمض عينيه وقال لهم أعطوه شيئا من الدنيا واصرفوه وسلم الاستاذ أمره الى الله تعالى فأقام على ذلك سبع سنين ملازما فراشه ما سمعه أحد يقول آه الى أن توفى الى رحمة الله تعالى وكان مع

وجود هذا البلاء العظيم وشدة مقاساته يتوضأ للصلاة قبل دخول وقتها بخمس درج والاذكار والاحزاب تتلى حوله فى كل صلاة ولا يصلى الامع الجماعة بوصية منه لهم فكانوا اذا سمعوا الاذان يجتمعون اليه فيصلى بهم الامام ويقرؤن الحزب والاوراد بحضوره وهو ملقى على فراشه وهو يقرأ معهم وكان كل من دخل اليه من الزوار والمحبين والاصحاب والمريدين لا يدخل أحد منهم عليه الا باذنه فمنهم من يقبل أقدامه ومنهم من يقبل يديه ومنهم من يقنع بالنظر اليه وهو مقبل عليهم بنظره ويعطى كلا منهم حظه من الكلام ويقضى كل ذى حاجة حاجته ويبلغ كل ذى أرب أربه فرحمه الله ما كان أصبره على ذلك وما كان أجلده على ماهنالك فلقد كان قواما بالقسط متكملا بالعدل لا يعرض عن أقبل اليه ولا يلتفت عمن ينظر اليه كان والله للناس كالاب الشفيق وكالاخ الشقيق قائما بحقوق الله وحقوق المخلوقين كما قال الشيخ يحيى النووى رضى الله عنه الصالح القائم بحقوق الله وبحقوق المخلوقين وقال غيره من مشايخ الصوفية الصالح من صلح لحضرة الله التى عناها سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام فى قوله رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين وأما الولى فهو من والى بين الطاعات من غير تخلل معصية ولا فترة والذى نقله سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين بن كتيلة رحمه الله عن الاستاذ أن الولى هو من قال لا اله الا الله وقام بشروطها فانه اذا قام بشروطها صار وليا لله أى والى الله ورسوله أى وادده بشهادته لله تعالى بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة قال واذا مات الولى انقطع تصرفه فى الكون من الامداد فان قيل ان الامداد الحاصل للزائر بعد الموت يكون ممن فالجواب أن الامداد الحاصل للزائر بعد الموت وقضاء حاجته وبلوغ مرامه من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت يعطى الزائر من المدد على قدر مقام المزور منقول ذلك عن سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين بن كتيلة نفع الله به المسلمين *(فائدة)* قال الشيخ المتقدم ذكره ان المزور فى الحقيقة هو الصفات لا الذوات فانها تبلى وتفنى والصفات باقية واستدل لذلك بما كان من سيدى الاستاذ الحنفى قدس الله سره العزيز يقول لصاحبه ومحبه وخادمه سيدى أبى العباس متعهم الله بالنظر الى وجهه الكريم يا أبا العباس قم بنا نزور المصدق لرجل كان بارا يخبر عن رأس ماله فى كل ابرة يبيعها ثم قال وأما القيام لاحد من أهل العلم أو لاهل الصلاح فهو لصفة العلم أو صفة الصلاح وصفة الصلاح والعلم من صفات الله تعالى قال الله تعالى والله بكل شئ عليم فأما الصالح فانه عالم بالله عارف به وما اتخذ الله من ولى جاهل ولو اتخذه لعلمه فالقيام للرجل الصالح يكون لصفاته وهى العلوم الربانية التى قذفها الله تعالى فى قلبه أيضا فاعلم ذلك ترشد ان شاء الله تعالى

(فصل)

وأما ما نقل عن سيدى رحمه الله انه أقام فى مرضه الذى توفى فيه سبع سنين قالوا وهى

بقدر المدة التي أقام بها في أول أيام سلوكه تحت الارض في خلوته فانه أقام فيها سبع سنين أيضا وهذا سر لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى ولا يطلع عليه غيره والسكوت عن ذلك أولى من الخوض فيه والله أعلم

(فصل)

وأما ما كان من أمر سيدي قبل وفاته بأيام قلائل فانه قد كان غلب عليه المبالغة في الافتقار الى الله تعالى والمسكنة والذلة والخضوع والخشوع والبكاء فكان لا يهدأ من البكاء ليلا ولا نهارا حتى سأل الله تعالى أن يبتليه قبل موته بالقمل والنوم مع الكلاب والموت على قارعة الطريق حتى حصل له ذلك قبل موته فأما القمل فقد حكى من أثق به وبقوله أن القمل زاد على قماش سيدي وعلى فراشه حتى كانت السيدة زهرة أم سيدي أبي الخير تسرح لحية سيدي وتنظف فراشه ومكانه وتصلح شأنه والقمل مع ذلك يغلب ويتزايد فلما أعيت من ذلك قالت يا سيدي هذا الذي عناه سيدي قد حصل فقال لله الحمد والشكر على ما أعطاه وأما الكلاب فقد بلغني عن الحاكي نقلا عن ابنة سيدي الوسطى واسمها أم المحاسن قطر الندا أن كلبا دخل دار سيدي حتى وصل قريبا منه ونام معه آخر الفراش أول ليلة وثاني ليلة قبل وفاة سيدي وأما قارعة الطريق فكان سيدي أعاد الله علينا من بركاته وعلى جميع المسلمين قد أمر ان يوضع في مكان في بيته اسمه الحوش يمر المار من عليه الى بيت ابنته أمة الله تعالى والى بيت الشيخ أبي الفضل ولد الاستاذ والى بيت فاختة بنته فكانت هي قارعة الطريق يمر أهل البيت على ذلك المكان والاستاذ ينظر اليهم فلما تكامل مراده قالت له زوجته سيدتي زهرة والدة سيدي أبي الخير قد حصل لسيدي ما عناه فقال الحمد لله عسى أن الله تعالى أن يرى ذلي فيرحمني قلت وانما تمنى ذلك الاستاذ وسأل الله تعالى فيه ليكون له اسوة ببعض الانبياء فانه قد ورد في الاخبار الاسرائيلية ان الله سبحانه وتعالى سبعين نبيا ماتوا بالجوع والقمل وكانوا قد سألوا الله تعالى في ذلك كذا رأيته في بعض الكتب وهو مشهور بين أهل العلم لا يشكون فيه ولا يرتابون ومما يؤيد ذلك ما روي عن سيدنا عيسى عليه السلام انه قال من أراد الفردوس فليأكل خبز الشعير وشرب الماء من البئر والنوم مع الكلاب على المزابل أي الكيمان كثير في حقه وأن الاستاذ رحمه الله ما نظر الا الى هذا المعنى مقتديا بمن سبقه من الانبياء عليهم السلام وكل ذلك مبالغة منه في الافتقار الى الله تعالى وله اسوة بالسلف الصالح كعبد الله بن المبارك رضي الله عنه فانه لما حضرته الوفاة قال لمولاه نصر يا نصر اجعل رأسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك فقال يا سيدي ذكرت ما كنت فيه من النعيم وها أنت تموت موت الفقراء فقال له اسكت فاني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الاغنياء وأن يميتني موت الفقراء فالاستاذ رضي الله عنه طالع هذا المعنى قلت وما سأله الاستاذ واختاره لنفسه دون ما اختار مالك بن دينار رضي

الله

الله عنه وهو أنه لما حضرته الوفاة قال لمن حضره لولا أبى أصنع شيئا لم يصنعه أحد قبلى لاوصيت اذا مت ان يقيدونى وان يجمعوا يدى الى عنقى ثم ينظر لقوابى على تلك الحالة فادفن كما يصنع بالعبد الآبق فاذا سألنى الله عز وجل لم فعلت هذا فأقول يارب وعزتك وجلالك لم أرض لك نفسى قط ساعة واحدة وأنت أعلم قلت والحالة التى اختار سيدى موته عليها قريبة من الحالة التى اختار عمر بن الخطاب أن يموت عليها فانه لما حضرته الوفاة قال لولده عبد الله ورأسه فى حجره ياعبد الله ضع خدى على الارض والصقه بالتراب كى يرى مولاى ذلى فيرحمنى وروى أيضا عن معاذ بن جبل أنه لما حضرته الوفاة واشتد نزعه كان يغشى عليه ويفيق واذا أفاق من غشيته قال اخنقنى خنقا فوعزتك انك تعلم أن قلبى يحبك وكذلك الفضل بن عياض رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال والله لو خيرت بين ان أعيش كلبا وأموت كلبا ولا أرى أهوال يوم القيامة لاخترت ذلك

فالسلف الصالح ما أرادوا بهذا الكلام الا اظهار الفقر والفاقة الى الله تعالى والذل والمسكنة لعلهم أن يرحموا بذلك اذا نظر الى ذلهم وفقرهم والاستاذ رحمه الله ما أراد ما تمناه الا لعلمه باحوال من سبقه من السلف فتاسى بهم ليكون له بهم اسوة ولا يخرج عن طريقتهم رضى الله عنهم أجمعين وما أحسن ما قاله الشيخ محمد بن الحسن الواسطى فى كتابه مجمع الاحباب مختصر حلية الاولياء لابى نعيم الاصفهانى فانه قال وأما أحوالهم عند الموت فانها مختلفة فمنهم من يغلب عليه الهيبة كبشر الحافى رضى الله عنه فانه كان يقول عند موته القدوم على الله شديد ومنهم من يغلب عليه مايوجب له السكون والشوق وحسن الظن بالله تعالى ومنهم من يغلب عليه الفاقة والذل لله تعالى ومنهم من يغلب عليه مايوجب له السكون وحسن الظن بالله تعالى ومنهم من يغلب عليه الشوق الى لقاء الله تعالى كفتح الموصلى رضى الله عنه فانه كان اذا غلب عليه الشوق يقفز فى الهواء وينظر الى السماء ويقول الهى طال شوقى اليك فعجل قدومى عليك قال واختلاف أحوالهم عند وفاتهم على قدر منازلهم ودرجاتهم وما أفاض الله تعالى عليهم من العرفان وهم أحياء وان ماتوا رحمة الله عليهم ورضوانه قال وقد حكى عن بعضهم انه لما حضرته الوفاة قال لولده أشدد كافى وعفر خدى بالتراب ففعل به ذلك فلما وضع فى قبره سمعوا صوتا يقول تمسكن العبد لمولاه فتقبله وقربه وأدناه قال ومن نظر فى سيرهم واحوالهم علم ذلك يقينا

(استرجاع)

ولما حضر الاستاذ الوفاة قالت له زوجته أم سيدى أبى الخير فى أى موضع يكون مدفن سيدى فى زاويته أم فى القرافة فقال فى خلوتى هذه فانى أشم فيها رائحة الجنة فلما توفى الاستاذ رحمه الله اختلف الناس فى اى موضع يكون قبره فمنهم من اختار القرافة ومنهم من اختار غيرها من التربة ومنهم من قال يدفن فى الزاوية فلما فرغوا من تكفينه

وقوى عزمهم على أنهم يدفنوه فى القرافة واذا بقاصد السلطان الظاهر جقمق حضر الى الزاوية وقال لهم ان السلطان رسم أن الاستاذ يدفن فى خلوته وكانت زوجة الاستاذ فى تلك الساعة تبكى وتقول ياسيدى ان دفنوك فى غير موضعك الذى اخترته يطول علينا المدا ونتكلف فى رواحنا اليك وفى رجوعنا من عندك ويشق ذلك علينا . فلما جاءهم قاصد السلطان وأخبرهم أن السلطان رسم بدفن سيدى فى خلوته زال عنهم ما كانوا يجدونه من الوجد والوحشة واطمأنوا وطابت نفوسهم وشكروا الله تعالى على ذلك وعلموا أن ذلك من بعض كرامات الاستاذ رضى الله عنه قلت وكانت وفاة الاستاذ رضى الله عنه سنة سبع وأربعين وثمانمائة وذلك فى يوم الخميس خامس ربيع الآخر وهذا أمر مشهور وكانت زوجة الاستاذ رحمه الله قالت له عند وفاته ياسيدى هذا الفراق فمتى يكون الملتقى فقال لها يازهرة تلحقين بنا بعد عشرين سنة فعاشت بعده عشرين سنة ولحقت به وروى أن الاستاذ قال لها لا تتزوجى بأحد بعدى فان كل من تتزوجينه بعدى خربت ديارهم وأنا لا أحب أن تكونى سببا فى خراب دار أحد وكان الاستاذ يغار عليها من حسنها وجمالها فقالت له ياسيدى سمعا وطاعة هذا عهد الله بينى وبينك أنى لا أتزوج بأحد بعدك وأرجو أن أكون معك فى الجنة بفضل الله واحسانه قال فطاب خاطر الاستاذ بذلك ورتب لها فى كل يوم أربعة انصاف لا مقطوعة ولا ممنوعة فكانت على ذلك حتى توفيت الى رحمة الله تعالى ولما قربت وفاة الاستاذ اجتمع عليه خلق كثير يبكون حوله ففتح عينيه وقال لا تبكوا فانه ليس بينى وبينكم غير غلق من تراب وكل رجل يحجبه عن أهله وأصحابه غلق من تراب فليس برجل فاذا كان لاحد منكم حاجة فليأت الى القبر ويشكو الى حاله فان حاجته تقضى ان شاء الله تعالى ولما مضى على الاستاذ أربعة أيام من يوم دفنه جلست زوجته أم سيدى أبى الخير عند فسقيته تجاه وجهه فرأت النمل قد خرج من الفسقية وفى فمه شئ أبيض فقالت لا اله الا الله ياسيدى بعد النعيم الذى كنت فيه صار النمل يأكلك وأنت لا تعلم بنفسك وحملت هما بسبب ذلك فلما كانت تلك الليلة ونامت رأت الاستاذ وهو يقول لها يازهرة الذى رأيته فى فم النمل ما هو منا وانما هو من سحلية ميتة بين البنيان فانبشى ذلك الموضع واخرجى السحلية منه قال فلما أصبحت ذهبت الى ذلك الموضع وتأملته فرأيت النمل على حاله فنبشت ذلك الموضع فرأيت السحلية ميتة والنمل ينهش فيها فاخرجتها من ذلك الموضع فانقطع النمل منه وذهب عنى ما كنت أجده من الهم على سيدى رحمه الله تعالى ومما وقع للشيخ علم الدين صالح ابن البلقينى مع الاستاذ بعد وفاته أن الشيخ صالحا كان بينه وبين الاستاذ وقعة وأقام الشيخ صالح مدة منقطعا عن الاستاذ فلما توفى ودفن ندم الشيخ صالح على ما كان منه وركب وأتى الى الزاوية فلما قرب من مدفن سيدى كشف رأسه ودخل الى الضريح باكيا رافعا صوته بالبكاء والناس يبكون حوله فلما دخل الى الضريح ووقف تجاه وجه الاستاذ وقعد

على ركبتيه ووضع وجهه على الضريح وجعل يبكى و يقول ياسيدى لاتؤآخذنى فانا صالح ابن الشيخ سراج الدين البلقينى صاحبك ومحبك وأنا أستغفر الله مما وقع منى و يبكى ويقول أنتم أهل الحلم والصفح فلما هدأ روعه قرأ سورة يس هو وجماعته وذكروا مجلس ذكر وكانت ساعة عظيمة ثم ودع الاستاذ وخرج فما وصل الى بيته حتى وصلت اليه خلعة السلطان بالقضاء وكان اذذاك معزولا فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه ومما حكاه لى سيدى محمود ولد الاستاذ قال حصل لى بعد وفاة والدى فاقة شديدة فى وقت من بعض الاوقات حتى انى لم أجد ما ألبسه غير خلق أبيض وخلق جبة مهلهلة فلما اشتد بى الامر دخلت الى الضريح وأنا أبكى من عظم ما بى فجلست تجاه وجهه وشكوت حالى له وقلت له ياسيدى أنا ولدك محمود وقد حصلت لى فاقة عظيمة حبستنى أن أخرج الى الناس ومنعتنى الجلوس بين الاصحاب ثم غلب على البكاء وضاق بى الامر فنزعت ما على من الخلقان وألقيتهم عند الضريح وخرجت من عند سيدى عريانا كالغضبان وكان وقت غلس فلما دخلت البيت استترت بملاءة ونمت فى فراشى وأنا مهموم الى أن طلعت الشمس ودخل وقت الضحى فلم أشعر الا والوالدة تقول لى اقعد يا محمود فان وقت الضحى قد دخل وأبشر أدركتك بركة والدك فان الست خوند جاءت اليك بكسوة ونفقة قال فجلست وأنا مستح مما أنا فيه فسلمت عليها فقالت والله ما أعلمنى بحالك الا الاستاذ فى هذه الليلة ثم دفعت الى كسوة ونفقة وخوند هذه ابنة الملك الظاهر ططر وزوجة الملك الاشرف رحمهم الله وقد تقدمت هذه الحكاية فى كراماته و بسطنا فيها الكلام ومما اشتهر من كرامات الاستاذ بعد وفاته ان ابنته أم أبى الغيث لما أدركها زمان الوحم اشتهت طلعا ومالت اليه نفسها وألحت فى طلبه فارسلت قاصدا الى الروضة وكان للاستاذ فى الروضة جنينة ولها خولة يقومون بمصالحها وكانوا من أصحاب الاستاذ وكانوا أمناء أتقياء أصحاب أوراد وأذكار فجاء اليهم القاصد فاخبرهم بان ابنة الاستاذ قد أدركها الوحم وقد اشتهت طلعا وقد أرسلونى اليكم بسبب ذلك فقالوا والله ما نظن ان فى النخل طلعا فى هذا الاوان وكان ذلك الوقت وقت قلة الطلع ثم انهم استوعبوا النخل جميعه واحدة بعد واحدة فلم يجدوا شيئا فرجع القاصد وأخبر أهل بيت الاستاذ فحملوا هما بسبب ذلك فلما كان من غداة اليوم الثانى جاء اليهم بعض الخولة وكان يعرف باحمد بن الشنيف وكان رجلا صالحا وبمحبته كوزان من الطلع فأرسل بهما الى زوجة الاستاذ وأرسل يقول لها والله ما دلنا عليهما الا سيدى جاء الى فى هذه الليلة فى نومى وقال يا أحمد كأنهم أرسلوا اليكم يطلبون منكم طلعا لفلانة قلت نعم ياسيدى ولم نجد لهم شيئا وقد حملنا الهم بسبب ذلك ونحن فى غاية الخجل فقال لى يا أحمد اذهب الى النخيلة التى عن يمينك وأنت داخل الجنينة فان فيها كوزين من الطلع فلما أصبحت ذهبت الى تلك النخيلة التى دلنى عليها الاستاذ فوجدت هذين الكوزين فيها وقد تقدمت هذه الحكاية وبسطنا الكلام فيها فى باب الكرامات وكان أحمد هذا لما

أن يأتي الى الاستاذ في حاجة و يقع نظره عليه لم يقدر يخطى خطوة نحو الاستاذ ويقف مكانه كأنه مقيد بقيد والاستاذ ينظر اليه فعند ذلك يشير اليه الاستاذ بيده فيمشي خطوتين أو ثلاثا ثم يقف فيشير اليه الاستاذ حتى يجلس بين يديه و يأذن له أن يتكلم لحاجته فيذكرها لسيدى فيقضيها له و ينصرف فكان أحد يقول لبعض أصحاب الاستاذ والله لما أن يقع نظري على الاستاذ ما يبقى لي علم بنفسي ولولا أنه يشير الى بيده حتى أتقدم عليه ما كنت أستطيع أن أصل اليه فهذا كان دأبه رحمه الله قال و رأيت في المناقب الداودية أن سيدى عمران خادم سيدى داود العزب كان يقول اذا رأيتم جاه الرجل قائما بعد وفاته فاستدلوا على نفعه في الآخرة واذا رأيتم جاهه بعد وفاته قد ضعف فما مثاله الا كرجل تولى ضيعة حكم فيها أيام حكمه فلما انصرف من ولايتها صار من جملة الرعية قلت وكان يقول ما يظهر جاه الرجل في حياته ولا يظهر الا بعد وفاته ثم يشير باصبعه و يقول هذا يبقى ترابا والسر حى الى يوم القيامة قلت وكلام سيدى داود يؤيد ما أودعناه من كرامات الاستاذ في هذا الكتاب المبارك بعد وفاته ويدل ذلك على أن جاهه قائم الى يوم القيامة رضى الله عنه ونفعنا به في الدنيا والآخرة آمين

(فصل)

في ذكر جماعة من أصحاب الاستاذ رضى الله عنهم فمنهم سيدى الشيخ الامام العالم العلامة العارف بالله تعالى الشيخ شهاب الدين أحمد المكنى بابى العباس المعروف بالسرسى رضى الله عنه وانما بدأنا بذكره لتقدمه على جميع أصحاب الاستاذ رضى الله عنه وهو أول من بايعه وأول من صحبه وأول من أخذ عنه الطريق الى الله تعالى لا يشك أحد في ذلك ولا يرتاب وقد أجمع جميع الاصحاب على ذلك واعترفوا له بالفضل والتقدم لهم وعلى كل أصحاب الاستاذ الاعلى منهم والادنى والقريب والبعيد وكانوا يخضعون لسيدى أبى العباس ويتواضعون له ويتأدبون في حقه ويخشونه و يخافونه و يراعون خاطره وكان رحمه الله تعالى قد كساه الله تعالى مهابة وجلالة واستحياء حتى روى عنه انه ما دخل الحمام قط ولا رفع رأسه الى السماء قط حياء من الله تعالى وكان اذا ركب مع الاستاذ الى الروضة أو الى القرافة أو الى التاج والسبع وجوه ووصل الاستاذ الى الموضع الذى هو قاصده استأذن الاستاذ ورجع الى الزاوية في يومه بل في ساعته وكان الاستاذ اذا أخذ الفقراء وذهب بهم الى الحمام ليزيلوا وساخهم و يذهب عنهم ما كانوا يجدونه من الاوساخ من طول مكثهم في الزاوية لم يدخل سيدى أبو العباس معهم الحمام أبدا ولا رآه أحد عريانا لا في حمام ولا في غيره رحمه الله ما كان أصلبه في دينه وما كان أخشنه في طريقته وما كان أحسن ملقاه اذا جاءه فقير يسلم عليه يلقاه بوجه بشوش غير عبوس و يظهر له الود والمحبة وكان رضى الله عنه مع ما أعطاه الله من الهيبة والوقار والاحترام يمد السماط للفقراء

و يتناول أوانى الطعام ويصفهم بيده على السماط و يعطى كل فقير ما يخصه من الخبز ويدور عليهم واحدا واحدا حتى يطوف عليهم الى آخرهم فاذا فرغ من ذلك رفع صوته وهو يقول بسم الله الرحمن الرحيم فيكون ذلك اذنا منه للفقراء ان يأكلوا وكان الاستاذ يميل الى قوله و يمتثل ما أمره به و يشاوره فى كثير من الامور وكان اذا فعل شيئا أو رأى رأيا جوّزه الاستاذ له وأمضاه وكان الاستاذ يقول عند ذلك الرأى ما رآه أبو العباس وذلك لما علم من عقله وسداد رأيه وكان أبو العباس يفعل كل ما بد اله من الرأى لان رأيه كان صوابا فى كل ما رآه وهذا كله من دينه وقوة يقينه وعفافه وصلاحه وأمانته ورأى رجل من أصحاب سيدى الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى منامه وهو يقول له اذهب الى سيدى أبى العباس واقرئه منى السلام وقد تقدم ذلك وكان من شأن سيدى أبى العباس انه ما رآه أحد خاليا من نوع من انواع العبادات اذا لم يكن مصليا أو ذاكرا سرا لاجهرا أو مسبحا أو مستغفرا أو ناظرا فى كتاب من كتب الفقه مما يتعلق بدرسه وكان له درس عظيم يجتمع فيه الطلبة الذين تفقهوا و بلغوا الى الغاية فى العلوم فكانوا يحضرون عند سيدى أبى العباس ليأخذوا من علومه زيادة على علمهم و يحضرون مجلسه وقد علاهم الهيبة فى مجلس درسه حتى كأن الطير على رؤسهم ولقد رأيت الامام العارف بالله تعالى ابن كتيلة يحضر مجلسه وهو متأدب ولا يبحث معه فى شئ وقع من المسائل المخالفة لمذهبه بل يلزم معه الادب الى أن ينتهى المجلس فيقبل يده و يمضى الى خلوته ولقد سمعته يوما يقول لما أن أحضر درس سيدى أبى العباس أكون فيه كالقمة المفروكة رضى الله عنهما ونفع بهما وقد تقدم فى أثناء هذا الكتاب المبارك أن سيدى أبا العباس كان قد ورث من أبيه مالا له صورة فأنفقه جميعه على الاستاذ الحنفى فى أيام العدم والفاقة ومنه ما صرفه على المديونين فيقول الاستاذ يا أبا العباس أوف عن هذا دينه وعن هذا دينه ومنه ما أنفقه على الارامل والايتام وفى الآخر قال له الاستاذ هل بقى معك شئ من المال فقال يا سيدى بقى معى ثمانون ألف درهم من الفضة فقال له ائتنى بها قال فأحضرت المال بين يديه فى كيس فقال لى اذهب الى البحر وألقه فى وسطه ان كنت صادقا فى محبتنا قال فضيت بذلك وهو معى فى كيس حتى توسطت فى البحر و التفت يمينا وشمالا وأسقطته من كمى فى البحر فلما عديت الى برا نبابة وطلعت رجعت على فورى الى المركب وعديت فيها الى بولاق ومضيت الى الاستاذ حتى دخلت اليه وجلست بين يديه فقال لى ما فعلت فى المال قلت فعلت ما أمرنى به سيدى فسكت ساعة ثم قال لى ارفع طرف السجادة وخذ ما تجده تحتها قال فرفعت طرف السجادة فوجدت الكيس بعينه وهو مبلول بالماء فقال خذه واجعله تحت يدك للمستحقين قال فامتثلت ما أمرنى به الاستاذ وصار سيدى كلما قال لى أعط كذا وكذا و يسمى لى المستحقين من الفقراء والمساكين والارامل والايتام أعط ولا أخالف له أمرا فلما فرغ المال قال لى يا أبا العباس اخرج وامش على

الابواب واحضر بين يدى مايدخل عليك فى شحاتتك قال فلبست مرقعة وعلقت فى رقبتى المخلاة وصرت أشحت من أول النهار الى آخره فمن الناس من يعرفنى فيعطينى الاشرفى والاشرفيين ومنهم من يعطينى الفضة ومنهم من يعطينى الفلوس فلما أمسى الوقت حضرت بين يدى الاستاذ ووضعت ذلك بين يديه فلما رأى ذلك قال لى ليس هذا المقصود انما المقصود ان تشحت فى مواضع لايعرفك فيها أحد قال فخرجت فى اليوم الثانى وشحت فى مواضع غير تلك المواضع فجاءنى أرغفة من الخبز وكسيرات وغير ذلك كالبصيلات والبويضات فلما أحضرت ذلك بين يدى الاستاذ أعجبه وشكرنى على صنعى وقال لى جزاك الله خيرا عن نفسك قلت وقد تقدم نظير ذلك مع زيادة عليه وكان سيدى أبو العباس رضى الله عنه يقول والله لو رأيت رجلا وضع احدى رجليه على الارض والاخرى فى سماء الدنيا ما اعتقدت فيه كاعتقادى فى سيدى ولو حدثتكم بما عاينته منه من العجائب ما قبلتم عقولكم ولقد صحبت الاستاذ عمرى كله ما ملته ساعة ولا خالفت له أمرا ولا ضجرت من صحبته لحظة واحدة ولا جالسته فى ليل ولا فى نهار الا وزادنى من مدده وبركته ولقد قلت له عند موته ياسيدى عبدك يسألك المدد وان تمدنى بشئ مما تفضل الله عليك به قال فنظر الى وقال يا أبا العباس أما ترضى ان تكون بدايتى نهايتك فقلت رضيت ياسيدى بذلك قال سيدى أبو العباس فلم أزل أترقب ذلك وأستمطر مما هنالك حتى بدا لى شئ مما وعدنى وأنا منتظر ومتشوق الى الكمال ان شاء الله تعالى ومن أصحاب الاستاذ رحمه الله سيدى عمر وهو صهره وكان من أهل العلم وكان لاينام الليل الا قليلا ثم يقوم لاوراده اما القراءة القرآن أو للصلاة وكان كثير القراءة فى القرآن وكان له درس فى مذهب السادة الحنفية رضى الله عنهم وقرأت عليه فى مختصر القدورى رضى الله عنه وكان موصوفا بالعفة والامانة والديانة والوراعة وفعل الخير فى حق الارامل والايتام وكان له مكتب للايتام من آبائهم لكل يتيم رغيفان كبيران وثلاثون درهما كل شهر وللفقيه أربعة أرغفة وثلاثمائة درهم فى كل شهر وكنت عريفا تحت يد الشيخ شهاب الدين بن المسدى رحمه الله وعفا عنه وجزاه الله عنا خيرا وجمع بيننا وبينه فى الجنة دار الكرامة بمحمد وآله آمين وكان الاستاذ رحمه الله أشار لى بذلك وكان يصرف لى فى كل شهر مائة درهم ورغيفين فى كل يوم وذلك غير ما كان يبرنى به الفقيه من الخير والافتقادات وكنت أرى نفسى عنده أعز من الولد عند أبيه رحمه الله وعفا عنه فلما توجه الشيخ شهاب الدين الى الحجاز باذن الاستاذ وقال له سيدى لاتعد تخرج من مكة فان وفاتك بها أقمت مكانه فى المكتب فقهها ما شاء الله تعالى وأقام الشيخ شهاب الدين بن المسدى بمكة عشرين سنة أو أكثر وهو شيخ رباط يعرف برباط ربيع الى أن توفى الى رحمة الله تعالى قال سيدى عمر رحمه الله فى كل شهر من شهور رمضان يطبخ طعاما فاخرا للايتام الذين يقرؤن فى المكتب ويفرق عليهم لقرب أذان المغرب لكل واحد منهم

قديرة طعام ورغيفان ويبرهم فى العيدين فى عيد رمضان بفليسات للكعك وفى عيد الاضحى يذبح لهم بقرة سمينة معلوفة ويفرقها عليهم فينصرفون واللحم معهم وهم فرحون ضاحكون يدعون له وقد كان للديتام الذين وصفناهم كسوة فى الصيف وكسوة فى الشتاء أما كسوة الشتاء فكبرطرح مضرب ومركوب خشب وأما كسوة الصيف فقميص وطاقية ونعلان ومازال على ذلك حتى انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى فرحم الله سيدى عمر ما كان أكثر خيره وما كان أرأفه بالايتام والارامل والفقراء والمساكين خصوصا فى يوم العشر وكان قدوسع الله عليه فى دنياه وأصلح له دينه وأقامه لفعل الخير والمعروف وكان رضى الله عنه شجيعا فى دينه لايخشى فى الله لومة لائم قليل الكلام فيما لايعنيه ثقيل الدماغ رزينا عاقلا مارؤى قط يمازح أحدا من أصحابه ولايضحك من غير عجب وكان ضحكه من غير صوت وأكثر ضحكه تبسما فلما توفى الى رحمة الله تعالى تغيرت الاحوال بعده رحمه الله وعفا عنه وقد كان له أخوان أحدهما يسمى فخر الدين عثمان والآخر يعرف بشمس الدين أخى سيدى عمر وكان فخر الدين عثمان مقيما بالخانكة وأظن انه كان له وظيفة فى الاشرفية وأما سيدى شمس الدين فكان له اقطاع كما كان لسيدى عمر وكان سيدى شمس الدين رجلا سادج الباطن وكان مواظبا على تلاوة القرآن لايفتر عن تلاوته لاليلا ولانهارا الاان يكون مشغولا بشئ لم يتعلق بمصلحة نفسه وكان منعزلا عن الناس قليل الخلطة بهم وكان الاستاذ يحبه كثيرا مقربا عنده وكان رجلا ضخما ذا هيئة حسنة وشكل عظيم ويبالغ فى الملبوس الحسن وكان من رؤساء الناس وأعيانهم وكان اذا رأى الاستاذ لايملك نفسه من شدة المحبة فيه والاعتقاد وكان الاستاذ يميل اليه لسداجة باطنه وكان معظما عند الناس مهيبا لاينطلى عليه المحال وكان كل من رآه يمزح أو يضحك يعرض عنه ويكره منه ذلك وكان اذا جلس فى الزاوية يقرأ القرآن كأنه يقرأ سورة الفاتحة من شدة حفظه وان كان ماشيا أو راكبا يقرؤه سرا ولايغفل عن القراءة ولايفتر عنها الاان يكون فى الصلاة أو فى قراءة الحزب أو فى شئ يعنيه وكان اذا مر بصبيان يلعبون يسلم عليهم فتارة يردون عليه السلام وتارة لايردون فلايغيره ذلك فهذا كان حاله رحمه الله وعفا عنه وكان من أصحاب الاستاذ سيدنا الامام العالم العلامة العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين الشهير بابن كتيلة رضى الله عنه الداعى الى الله الناصح لعباد الله القائم باوامر الله اذا غضب غضب لله واذا رضى رضى لله مراعيا لحقوق الله مواظبا على طاعة الله راغبا فيما يرضى الله قائما بحقوق عباد الله وكان من أولياء الله لايفتر ولايغفل عن ذكر الله كثير الذكر لله رضى الله عنه وكان لايجلس اليه أحد من أصحابه الا وأمده بمدد منه وشفقة ورحمة منه عليه وكان شديد الغيرة لله ولرسوله يتبع الحق حيث كان رضى الله عنه وكان منصفا من نفسه ولاينتصف لها من غيره رؤفا بعباد الله رحيما بهم ناصحا لهم

شفوقا علينا هم فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيرا فطال والله ما أدبنا وعلمنا وأرشدنا وسلكنا وعرفنا ودلنا على الخير وأمرنا به كنت اذا جلست اليه ينظر الى نظر الوالد الى ولده أو أشفق من الوالد على ولده وكان ينظر لكل انسان نظر الرحمة والشفقة والرأفة واذا رأى من أحد شيئا لا يوافق الشرع لا يتغافل عن ذلك فان كان فعله بجهل منه دعاه اليه ونهاه عن ذلك وأرشده الى الخير والصواب ومما يزيد ما قلناه انه رضي الله عنه كان يوما جالسا على باب خلوته بين أصحابه اذ هو بعبد لبعض الناس قد دخل الى الجامع بجرة وأباريق يملؤها من البئر فلما ملأها ووضعها على حافة البئر اذ جاءه رجل ومعه ابريق فملأه من تلك الجرة وسيدى شمس الدين ينظر اليه فدعاه اليه فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت قال ياسيدى وما فعلت قال أخذت الماء من جرة العبد حتى تتوضأ به فقال نعم ياسيدى فقال له كيف تتوضأ بماء ملك لغيرك أما علمت أن العبد ملأ الجرة ماء لسيده فصار الماء ملكا لسيد العبد فانه كان في البئر مباحا فلما أحرزه العبد في الجرة صار ملكا لسيده فكيف صح وضوءك بماء هو ملك لغيرك ارجع الماء الذى في ابريقك الى جرة العبد ولا تعد الى مثلها فقال الرجل عند ذلك جزاكم الله ياسيدى عنى خيرا وأنا أستغفر الله تعالى ولا أعود الى مثل ذلك ثم قام من بين يديه وصب الماء الذى في ابريقه فانظر الى هذا التدقيق العظيم وهذا النصح والشفقة منه رحمه الله حتى انه لم يغفل عن ذلك ولم يرض به ولم يسكت عنه حتى عاب ذلك الرجل باحسن عبارة رضي الله عنه ما كان أخفض جناحه وألين جنابه لجميع أصحابه ولغيرهم وكيف لا يكون ذلك والاستاذ كان يقول الشيخ شمس الدين صار داعيا الى الله وكفاه ذلك من مثل سيدى فانه جاء اليه زائرا وقد دخل الى الزاوية وكان الاستاذ جالسا وحوله جماعة من أصحابه فقال لهم الاستاذ قوموا الى الشيخ شمس الدين وسلموا عليه فانه قد صار داعيا الى الله تعالى ومما حكاه شمس الدين بن عبد القادر وكان من أصحاب الاستاذ رضي الله عنه قال رأى رجل من أهل الخير الاستاذ في المنام وحوله خلائق لا يحصون وهم من الملائكة من سكان السموات فقال الرائى ما هذا فقال له قائل هؤلاء جند الله جاؤا نصرة للشيخ شمس الدين بن كتيلة قال وكان الشيخ شمس الدين كثير الادب في حق الاستاذ ما أظن ان أحدا كان يتأدب في حق الاستاذ مثله فانه كان اذا جاء للاستاذ زائرا ودخل الزاوية ولم يجده حاضرا فيها يتوضأ من النمسقية ويصلى ركعتين ويدعو بعد الصلاة ثم ينهض قائما ويقصد الى خلوة الاستاذ فيقف تجاه الخلوة ويضع يده اليمنى على اليسرى ويطرق برأسه الى الارض فيكون على هذه الحالة الى ان يظهر الاستاذ من باب الخلوة فوالله لقد رأيته يقبل أقدام الاستاذ قبل أن يقبل يديه ويبكى بكاء كثيرا والاستاذ يقول له يوم مبارك واذا قال له الاستاذ يوم مبارك يزداد بكاؤه فاذا بلغ مراده من تلك الحالة قام قائما وأخذ بيد الاستاذ يقبلها كثيرا وهى معه كالخرقة يلمس بها على وجهه ويبكى وكل من كان

حاضرا

حاضرا يبكى لبكائه فاذا قضى أربه من السلام وجلس الاستاذ جلس بين يديه وأطرق برأسه الى الارض فيقول له الاستاذ مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا فمن شدة بكائه لم يستطع أن يرد عليه جوابا فيسكت عنه الاستاذ ساعة طويلة حتى يرجع اليه حاله فبعد ذلك تدخل أصحابه الذين جاؤا فى خدمته الى الاستاذ يسلمون عليه فما كانت تلك الساعة الا ساعة عظيمة فلا أوحش الله منها ما كان ألذها وأطيبها وأنعشها للخواطر وأحلاها فى القلوب وأنفعها للعقول

فانظر الى حسن عقيدة سيدى الشيخ شمس الدين الذى ما صحب الاستاذ الا وهو مفنن فى العلوم نفعنا الله به وبعلومه آمين

قال ولقد كنت مع الاستاذ مرة فى الروضة فلما رجع الاستاذ من الروضة طالبا نحو الزاوية وركب فرسه وركب الناس بين يديه أسرع سيدى الشيخ شمس الدين رحمه الله الى ممشاة الاستاذ لما أن خلعها من قدميه وركب الفرس فاخذها ورشقها فى حزامه وكان مشدود الوسط وعليه جوخة زينية فبينما نحن فى الطريق بين مصر العتيقة والقاهرة اذ أمطرت السماء فاسرع الشيخ شمس الدين وقلب ذيل الجوخة وجعله على رأسه وقاية من المطر وهو ماش عن يمين الاستاذ وكنت خلفه وسجادتى منشورة على رأسى من المطر فلما قربنا من الزاوية اسرع سيدى شاهين الفخرى عن يمينه سيدى وسنقر عن يساره آخذين بلجام فرس الاستاذ حتى دخل الى الدرب وأسند الفرس الى الدكة المنصوبة هناك حتى نزل الاستاذ عليها وعمد الشيخ شمس الدين الى ممشاة الاستاذ ونزعها من حزامه وألبسها له فى قدميه فقال له بارك الله فيك ومازال الشيخ شمس الدين يخدم الاستاذ حتى خدم خدمة الاحرار والعبيد والقريب والبعيد وقد شاع ذكره وفاح نشره وعظم شأنه وعلى برهانه وانتفع به خلق كثير والعدد الجم الغزير وحفته بركة الاستاذ الكبير وقد ظهرت له الفضائل الكثيرة والمناقب الغزيرة

فمن مناقبه ما حكاه لى بعض أصحابه وهو من أهل القرآن وكان دينا خيرا تقيا طاعنا فى السن قال كنت ذات يوم جالسا بين يدى سيدى شمس الدين بن كتيلة وكان ذلك اليوم يوم عرفة وكان بعد صلاة العصر اذ قال له رجل من أصحابه ياسيدى ان العبد ما عاد ينظر الشيخ محمد بن طاهر الا ياصيرى المجذوب قال فاشار الشيخ اليه باصبعه السبابة وقال له انظر نحو اشارتى قال فنظرت نحو اشارته فكشف لى عن أهل عرفة فرأيت الشيخ محمد بن طاهر وهو حامل فروة على ظهره وهو واقف مع أهل عرفات يدعو ويتضرع الى الله تعالى ثم حيل بينى وبينه حتى اختفى عنى فعند ذلك قام الشيخ من بيننا ودخل الخلوة رضى الله عنه فجعلت أتعجب مما رأيت

ومما وقع للشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين بن كتيلة ما حكاه لى الشيخ شمس الدين المعروف بابن عبد القادر رضى الله عنه قال أرسلنى الشيخ المشار اليه فى شفاعة عند

الحولى يحيى بن نصيف وكان مدركا بصند فالاجل أن يسأله فى اطلاق رجل محبوس عنده فلما سألته فى اطلاقه قال لى عد على غدا قال فرجعت الى الشيخ وأخبرته فسكت سيدى عند ذلك فلما كان من الغد أرسلنى اليه ثانيا فقال لى عد على غدا فرجعت وأخبرته عن ذلك فسكت فلما كان من اليوم الثالث أرسلنى سيدى اليه فوجدته قد ركب فرجعت اليه وأخبرته انه قد ركب الى بعض البلاد فقال لى ركب قلت نعم تسيدى قال فسكت ساعة وهو مطرق رأسه الى الارض ثم رفع رأسه الى وقال لى ركب قلت نعم ياسيدى فقام ودخل الى الخلوة فسمعته يقول اللهم ارفع حملك عنه اللهم أشدد وطأتك عليه قال فلما كان بعد ساعة أو ساعتين اذ جاءه خبر من أهل المحلة انه قتل فى يومه ذلك قد لقيه بعض أعدائه فقتله فنعوذ بالله من تغير الفقراء وتغير خواطرهم

ومما وقع للشيخ المشار اليه أن ثلاثة أنفس من أصحابه جاؤا اليه للزيارة من بعض البلاد وقد اشتهى كل واحد منهم شهوة يأكلها عند الشيخ فمنهم من قال اليوم آكل عند سيدى بيرافا وجبنا طريا وعسل نحل فقال الثانى أنا ما آكل عنده الا زلابية وعسلا فقال الثالث أنا ما آكل الا سمكا مقليا قال فلما دخلوا الى الشيخ سلموا عليه وجلسوا بين يديه قال فجعل الشيخ ينظر اليهم ويتأملهم واحدا بعد واحد فلما طال عليهم الجلوس استأذنوا الشيخ فى الرجوع فقال لهم اصبروا قدر ساعة قال فجلسوا ثم قام الشيخ ودخل الخلوة وغاب ساعة طويلة ثم ظهر اليهم وقال لبعض الجماعة ادخل الى الخلوة وأخرج ما فيها من الخبز قال فدخل الخلوة وأخرج منها البيراف والعسل ثم بعد ذلك أخرج الزلابية ثم أخرج بعد ذلك السمك المقلى فلما وضع ذلك بين أيديهم قال لهم كلوا ما اشتهيتم ولا يرجع لكم بالعادة قال فحصل لهم من الجمل مالا غاية له فأكلوا وهم يبكون ورجعوا وهم يبكون رضى الله عنه ونفع به ولولا خوف الاطالة لبسطنا الكلام فى ذلك

ومن أصحاب الاستاذ الشيخ سالم ابن مريم ساكن تروجة من أعمال البحيرة رضى الله عنه فانه كان صالحا زاهدا عابدا عارفا بمقامات الرجال داعيا الى الله تعالى قائما بحقوق الله وحقوق المخلوقين ما حجبه أحد الا وانتفع بصحبته وكان شاذلى الفقراء مالكى المذهب وكان قد أطلعه الله تعالى على الضمائر وما تخطر به الخواطر قد أرسل اليه الاستاذ بعض مريديه وكان يعرف بمحمد البابا وهو من خواص أصحابه بل من أعيانهم وساداتهم وكان قد شكى للاستاذ حالة الفاقة والحاجة وشدة البرد فقال له الاستاذ امض يا محمد الى تروجة واجتمع بالشيخ سالم بن مريم فقد حملناه حملك قال فذهبت اليه فلما اجتمعت به ووقع نظره على قال لى الاستاذ الحنفى بعثك قلت نعم قال فاحضر شيئا من العيش فاكلت وأكل معى قال فلما فرغنا قال لى قم معى الى البحر فقمت معه الى البحر فجلس عند شاطئه وغرف بيديه الاثنين فاذا هما مملوءتان لؤلؤا وقال لى تأخذ من هذا فقلت مالى فى هذا أرب قال فألقاه فى البحر

ثم غرف بيديه ثانيا وطلع بهما فاذا فيهما جوهر فقال لى تأخذ من هذا فقلت له ليس لى فى هذه الاشياء رغبة قال فرماه فى البحر ثم قال لى اتبعنى قال فتبعته الى منزله فدخل المنزل وأخرج لى جوخة وقميصا وعمامة ومنديلا أبيض وأذن لى بالسفر الى الاستاذ وقال لى سلم عليه واسأله لى الدعاء قال ومازلت بخير من حين ما فارقت سيدى الشيخ سالما الى الآن

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ يوسف القطورى الشهير بابى طاقية رضى الله عنه وهو الشيخ العارف بالله تعالى والداعى اليه والدال عليه العارف بالطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة الزاهد العابد المحقق الصالح المدقق صاحب الاشارات الكثيرة والعبارات الغزيرة وكان الاستاذ رحمه الله يميل اليه بالمحبة لكثرة الانتفاع به وقد تقدم فى ترجمته سبب تسميته بابى طاقية انه جاء يوما الى الاستاذ رحمه الله وكان سيدى ذلك الوقت جالسا على الدكة التى كانت منصوبة فى الدرب المجاور للزاوية قال فلما دخل الى الاستاذ وسلم عليه تأخر ووقف بين يديه وكان الى جانب حائط الزاوية طوبيات مهدودة من الجدار وهنالك بعض طين وذلك بسبب اصلاح ذلك الموضع الذى فى الجدار قال فالتفت الاستاذ الى الشيخ يوسف وقال له يا يوسف انزع عمامتك وشد وسطك وشمر أكمامك وخمر هذا الطين ورقع هذا الموضع الذى فى الجدار فقال السمع والطاعة ياسيدى ثم انه أسرع وشرع فيما أمر به الاستاذ حتى أنهاه وأصحابه يساعدونه فى ذلك فلما فرغ من البناء ناوله بعض أصحابه عمامته ليلبسها فابى ولم يلبسها فسئل عن ذلك فقال ان سيدى أمرنى بنزع عمامتى فنزعتها باذنه وأنا لا ألبسها الا باذنه فان أذن لبستها فلما فرغوا وغسلوا أيديهم من الطين طلعوا الى الزاوية قال فلما ظهر الاستاذ لصلاة الظهر تقدم اليه الشيخ يوسف وقبل يده وعمامته معه فلم يقل له الاستاذ البس عمامتك ولم يستأذنه سيدى يوسف فى لبس عمامته فما زال على تلك الحالة بطاقية واحدة الى أن توفى الى رحمة الله تعالى

ومن أصحاب الاستاذ رحمه الله الشيخ الصالح والعالم الناصح الامام المحقق والعامل المدقق الورع الزاهد العابد سيدى طلحة المعروف بالمنشاوى من بلدة تعرف بالمنشأة باقليم السخاوية رضى الله عنه ونفع به وببركة أسلافه وأولاده وهو الراوى عن الاستاذ أنه قال له حين جاءه زائرا وهو فى مرض موته يا طلحة يا ولدى لقد خرج من هذا الموضع يعنى زاويته نحو الاربعمائة ولى كلهم على قدمى هذا يعنى على طريقته وقد تقدم فى أثناء هذا الكتاب أن الاستاذ لما نزل الى الريف ودخل الى المنشأة كان سيدى طلحة صغيرا مراهقا على رأسه طاقية وكان له اعمام يطمعون فى جانبه بسبب رزقة كانت بينه وبينهم فقالت له أمه يا طلحة اخرج الى سيدى محمد الحنفى وقبل يده واجلس بين يديه فاذا انفردت به فاشك حالك له وما تلقاه من أعمامك قال فامتثل ما أمرته به أمه وخرج الى الاستاذ وهو جالس فى زاويتهم فسلم عليه وجلس مع الناس فلما انصرفوا وانفرد سيدى طلحة بسيدى تقدم اليه وشكا له حاله

ومايلقاه من أعمامه قال فوضع الاستاذ يده على رأسه وقال له والله يا ولدى يا طلحة كلهم ينقرضون ومايعمر البيت الا أنت قال سيدى طلحة فوالله لقد انقرضوا كلهم ولم يخلفوا غيرى وبلغت مابشرنى به الاستاذ رحمه الله وقد تقدم ذلك بزيادة فيه

ومن أصحاب سيدى الشيخ نور الدين الحنفى شيخ الخلصية التى بصندفا المجاورة لبطن البحر وهو الشيخ الصالح الفقير الصابر الورع العابد الخير التقى العفيف النقى صاحب الاستاذ قديما وأقام فى صحبته زمانا طويلا وكان الاستاذ يميل اليه بالمحبة وكان عليه ملامح من الاستاذ وكان الشيخ شمس الدين بن كتيلة رضى الله عنه يقول له ياشيخ نور الدين أنا أحبك لانى أرى فى وجهك آثارا من وجه سيدى وكان الشيخ نور الدين هذا عليه خفر ووقار وسكينة وافتقار مكسور النفس كثير التواضع لايميل لنفسه تميزا على غيره من جالسه ودأبه لايفارقه من حسن محاضرته ومن لين كلامه وخفض جناحه قريب من الناس يحب من جلس اليه ويخدمه بنفسه ويستأنس بانسه وقد كان حوله جماعة يأتمرون بامره وينتهون بنهيه ويبادرون الى قضاء حوائجه منهم سيدى حسن القرقشندى والنقيب داود وعبد اللطيف الكبير وعبد اللطيف الثانى وكلهم صحبوا الاستاذ وأخذوا عنه الطريق وانتفعوا به رحمة الله عليهم أجمعين

ومن أصحاب الاستاذ الشيخ على الشنيشى من بلد بالشرقية تسمى شنيشة صاحب الاستاذ قديما وأقام فى صحبته زمانا طويلا رأيته وقد بلغ المائة سنة ومع ذلك أعطى قوة فى بدنه على العبادة وقيام الليل وصيام النهار وكان زاهدا للدنيا عن جانب عظيم ليس له فيها رغبة وانما كان يرغب فى عبادة الله كثير الاجتهاد فيها بعيدا عن الخنا والغيبة والنميمة ولا يتكلم فيما لايعنيه ولا يخوض فى باطل قط أكثر كلامه فى كرامات الاولياء والصالحين واذا ذكر سيدى فهل وهو الذى روى عن الاستاذ أنه كان جالسا ذات يوم بالروضة التى على جانب البحر والناس حوله فما يشعرون الا ورجل مغربى دخل على الاستاذ فى الزاوية للزيارة فسلم عليه ووقف بين يديه واستأذنه فى السؤال فقال له اسأل عما شئت فسأله عن مسألة فى الطريق الى الله تعالى فاجابه عنها ثم سأله مسألة ثانية وثالثة فأجابه عن سؤاله فقال له الاستاذ اسأل يا مغربى عما تريد وان سألتنى عن شئ ليس عندى له جواب أتيتك بجوابه من اللوح المحفوظ قال واذا بالمؤذن قد أذن لصلاة الظهر فقاموا الى الصلاة وصلوا فلما فرغوا من الصلاة طلبوا المغربى فلم يجدوه فسألوا الاستاذ عنه فقال لهم هذا هو القطب أتاكم يعلمكم الادب مع الاستاذ قلت وأخبرنى الشيخ على الشنيشى رحمه الله قال لما صحبت الاستاذ وأردت ان أبايعه على الكتاب والسنة فبايعنى على ذلك ثم قال لى ياعلى تبايعنى على الروح والمال أو على المال دون الروح أو على الروح دون المال قال وقد كان لى نحو الثلاثين فرسا شركة بين الناس فعزت على الخيل فقلت له ياسيدى أبايعكم على الروح دون المال وذلك لامر

قدره الله تعالى قال فما يغنى على الروح دون المال قال فوالله مامر على شهران أودونهما حتى ماتت الخيل كلها وما بقى لى حيلة غير حمارة عرجاء

ومن أصحاب الاستاذ رحمه الله الشيخ يعقوب المعروف بالحسينى من أهل منية ابى الحسين صحبته وقد كان طاعنا فى السن قد جاوز التسعين وكان له أحوال عجيبة تظهر منه عند الذكر من التغيبات والاستغراقات والغشيان وكان الناس يحضرون معه الذكر فلما شاهدوا منه تلك الاحوال كثروا ورغبوا فى الذكر معه فيزدادون فى الذكر رغبة ومحبة حتى ان بعض الناس كانوا يتركون نساءهم وأولادهم وينامون عنده فى الزاوية وقد كثرت أصحابه بسبب ذلك وزادت وكان يدعوهم الى الله تعالى ويسلكهم الطريق اليه حتى انتفع به خلق كثير ولقد حكى لى رحمه الله فقال أول ما صحبت الاستاذ نفع الله به قال يا يعقوب اذا كان وقت الضحى شد وسطك واغسل بيوت الراحة التى فى الميضأة وكذلك عند الغروب وداوم على ذلك

قال فامتثلت ما أمرنى به الاستاذ وجعلت أفعل ذلك كل يوم حتى أقمت على ذلك مدة فلما كان بعد ذلك قال لى اكنس الزاوية كل يوم واخدم الفقراء واقض لهم حوائجهم قال ففعلت ذلك مدة فقال لى بعد ذلك قد صلح حالك يا يعقوب وكنت قبل ذلك عندى شهم وكبر وعجب فى نفسى فذهب عنى ذلك وانكسرت نفسى وصرت أقول فى نفسى ما أحد اذل عندى منها حتى فتح الله على ببركة الاستاذ رضى الله عنه ونفع به والحمد لله على ذلك

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ زين الدين خلف المشالى الحنفى الشيخ الصالح والورع الزاهد التقى النقى العفيف الامين الدين الخير أحد شيوخ العبد رضى الله عنه ونفع به آمين ولقد كان عالما فاضلا عاملا بكتاب الله تعالى وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وله تصانيف بديعة فى علم العروض والفرائض والبديع وله شرح مجمع البحرين أمعن فيه وأبدع ولم يكمله قالوا ولم يسبق اليه وكان مفننا فى علوم كثيرة وكان عظيما فى الفوائد عارفا بالادلة من الكتاب والسنة ما نظره أحد ممن يخالف مذهبه الا قطعه من غير تعب ولا نصب حتى يبهت ناظره ويتحير مناظره وينقطع مخالفه وينشرح محالفه ومع ذلك كان اذا دعاه الاستاذ يحضر اليه ويقبل يده ويجلس بين يديه جاثيا على ركبتيه طارقا برأسه الى الارض بادب ووقار

ولقد سمعته يوما يقول وأنا جالس بين يديه والله لقد سافرت بلادا كثيرة ودخلت مدائن عزيزة وجالست علماء عديدة ما رأيت أحدا بلغ رتبة الاستاذ ولا هيبته ولا خفره ولا كلمته المسموعة ولا شفاعته المقبولة عند من يعرفه ومن لا يعرفه ولا أراه الا آية من آيات الله تعالى رضى الله عنه ونفعنا به آمين

(قلت) ولقد دعاه الاستاذ يوما فلما حضر بين يديه قال له يا شيخ خلف جهز حالك وسافر الى

البرلس ولا تعد تخرج منها الا باذن وادع الناس الى الله تعالى وعلمهم أمور دينهم وشرائع الاسلام اذهب بارك الله فيك قال فخرج من بين يدى الاستاذ وشرع فيما أمر به الاستاذ وجهز حاله وسافر الى البرلس فأقام بها سبع سنين يدعو الناس الى الله تعالى ويعلمهم أمور دينهم وشرائع الاسلام وصار له بها مريدون ومحبون وأصحاب وأحباب فلما مضت السبع سنين أرسل له الاستاذ كتابا بالسلام عليه وأمره فيه بالرجوع الى مصر فلما وصل الى الاستاذ فرح به وشكره على فعله وجزاه خيرا رحمه الله تعالى وعفا عنه

قال ولقد حكى لى رحمه الله يوما عن بعض أهل العلم انه قال اعلم أن بين قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين آخر الحجر وبين قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه أول سورة النحل سبعمائة وجه هكذا أخبرنى به سيدى الشيخ زين الدين خلف رحمه الله تعالى ونفعنا به وببركة علومه آمين

ومن أصحابى الاستاذ رحمه الله الشيخ الصالح الدين الخير العفيف صاحب الورع والزهد والعفة والامانة الشيخ فتح الدين قارئ الحديث بين يدى الاستاذ الحنفى وقد كان الاستاذ يقربه ويدنيه ويميل اليه بالمحبة والاحسان والشفقة والرأفة والتعطف ويتعاهده بالبر والاحسان وكان فى يوم ميعاد الاستاذ ينصب له كرسى للوعظ يجلس عليه فيه فيعظ الناس من طلوع الشمس الى وقت الضحى

فعند ذلك يظهر الاستاذ الى الميعاد وقد نصبت لسيدى دكة من الخشب وعليها فرش لين وهى مستورة بسجادته الخضراء فيجلس عليها ويفتتح الذكر بالجماعة أولا ثم اذا ختم الذكر أخذ يتكلم فى الميعاد بالعلوم اللدنية والاسرار الربانية

وقد تقدم ذلك بتمامه فى أثناء هذا الكتاب فاذا ظهر سيدى من باب خلوته أخذ النقباء فى رفع الكرسى الذى كان عليه الشيخ فتح الدين فيرفعونه ويجعلونه خلف الناس فى موضع لا يجلس فيه أحد وقد جلس الشيخ فتح الدين خلف الحلقة التى بين يدى الاستاذ حتى يفرغ سيدى من الميعاد فرحمة الله على تلك الاوقات ما كان أحسنها وما كان الذها وما كان أطيبها فلا أوحش الله منها ولا من أهلها فنعمت الحضرة كانت ونعم الاوقات بانت أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاتها وبركات صاحبها من كان السبب فيها وجزاه الله عن المسلمين خيرا بمحمد وآله آمين

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ نور الدين المغربى وكان صهر سيدى أبى العباس خادم الاستاذ الحنفى رضى الله عنه وكان يقرأ القرآن كثيرا وقرأت معه وجلست بين يديه وحل على نظره رحمه الله تعالى قال وكان اذا جلس لقراءة القرآن لا يغير قعدته حتى يقرأ ربع القرآن أو نصفه أو أكثر وفى كل ذلك لم يغير قعدته وكان الله قد أعطاه قوة على ذلك وكان على رأسه شعرة مرباة وكان مكشوف الرأس يتمم على شعرته بشملة من الصوف

الابيض وعليه قميص من الملحم صيفا وشتاء لا يشكو بردا ولا حرا وكان مجانبا للناس لا يجالس أحدا الا ان كان يتلو القرآن لا غير فاذا انتهى مجلس القراءة قام وأسرع فى مشيته حتى لا يتبعه أحد وكان قليل الاجتماع بالاستاذ من عظم هيبة سيدى فى قلبه وكان اذا رأى الاستاذ من بعيد يتوارى عنه من شدة الهيبة التى تقع فى قلبه رحمه الله وعفا عنه

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ شمس الدين الاندلسى المغربى العالم العلامة المحقق المدقق فاق أكثر أهل زمانه زهدا وصلاحا وعفة وعلما وكان يتكلم فى عشرين علما من علوم الشريعة والحقيقة وكان لما أن دخل الى القاهرة نزل عند الشيخ سعد الدين ابن الديرى رحمه الله شيخ المؤيدية فانزله عنده فى خلوة فلما أن سمع بالاستاذ الحنفى مال اليه بالقلب والمحبة وقد جاء اليه زائرا فلما وصل الى الزاوية ودخلها رأى الاستاذ جالسا على باب خلوته فلما وقع نظره على الاستاذ تقدم اليه واستأذنه فى الوصول اليه فتقدم وسلم عليه وقبل يديه وجلس بين يديه جاثيا على ركبتيه فاقبل الاستاذ عليه ورحب به وبسط له الانس والاكرام له الكلام حتى ارتفعت منه الوحشة التى وقعت فى قلبه من الهيبة وصار الاستاذ يستجلب خاطره ويستعطفه حتى مال الى الاستاذ بالمحبة وأحب سيدى محبة عظيمة قال ولقد رأيته يوما جاء الى الاستاذ للزيارة فلما وقف بباب الزاوية سمعته يقول والله لما أن ادخل الى هذا المكان المبارك أرى نفسى كانى داخل الى حرم مكة من عظم هيبة هذا المكان المبارك وما زال على ذلك حتى انتقل من المؤيدية وأخلى له الاستاذ بيتا على انفراده وكان معه خادم يخدمه لا يفارقه لا ليلا ولا نهارا وكان مغربيا صحبه من البلاد فلما أقام عند الاستاذ مدة بلغه أن الاستاذ له ابنة استحقت الزواج فخطبها منه على يد سيدى أبى العباس خادم الاستاذ وقد أرسل له خمسين دينارا مجملة على يد سيدى أبى العباس فقال الاستاذ لسيدى أبى العباس اجعلها عندك فانى أظن ان ماله عندنا رزق فلما كان بعد مدة مال الشيخ شمس الدين الاندلسى الى حب الرآسة وسعى فى قضاء حمص وقيل حماة فانعم له السلطان بذلك وأمره بتجهيز حاله

فلما بلغ الاستاذ ذلك الامر أمر سيدى أبا العباس أن يدفع اليه ماله ففعل سيدى أبو العباس ذلك فلما جهز حاله وأراد السفر جاء الى الاستاذ يودعه ويأخذ خاطره فقرأ له الاستاذ سورة الفاتحة فقبل يده وسافر فبعد ذلك جاء الخبر الى الاستاذ أنه توفى فى الطريق وكذا خادمه فى بعض البلاد ودفنا بها فترحم الاستاذ عليه وقرأ له الفاتحة

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ شهاب الدين بن أبى زيد المغربى المانستيرى الشيخ المحقق والامام المدقق وكان معروفا بالزهادة وبالوراعة وبالعفة والامانة والصلاح والعبادة والعلم والعمل والديانة والصيانة رضى الله عنه ونفعنا به

وكان من أعيان مشايخ الغرب مقيما ببلاد سيدنا ومولانا أبى فارس سلطان تونس الخضراء

وكان سيدى شهاب الدين المغربى المذكور مقيما فى مكان يعرف بمانستير يقال انه على جانب البحر المالح على جبل وهناك زاوية فيها ثلاثمائة وستون فقيرا كلهم أتباع الشيخ المذكور وان لهذه الزاوية غيطانا وبساتين من الين والتمر وقفاله وللفقراء وقد كان شهاب الدين قد أتى الى مصر لطلب الحج الى بيت الله الحرام وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم قال فلما جاء الى مصر قصد الى زاوية الاستاذ الحنفى ومعه كتاب من سلطان الاندلس وذلك فى زمن الاشرف رحمه الله فاخلى له الاستاذ خلوة وكان معه ثلاثة أنفس يخدمونه خرجوا معه فى صحبته وهم من الغرب وقد رأيته وقبلت يده مرارا ودعالى وكان شيخا ذا لمة بيضاء تملأ صدره وعليه خفر ووقار وهيبة وجلالة وكان اذا أراد أن يتوضأ أخذ الطست بيده وخرج من خلوته ووقف على جانب البئر ويملأ الدلو مرتين يملأ بهما الطست وكان ملء الطست دلوين فاذا امتلأ الطست أخذه بيده وجلس الى جانب الفسقية ويبدأ بغسل يديه وأنا أنظر لفعله واتبرك بالنظر اليه فيفرغ الماء الذى فى الطست بعد غسل وجهه ثم يأخذه ويملؤه ثانيا بدلوين آخرين ثم يعود الى مكانه ويتم وضوءه فيتوضأ باربعة دلاء ولا يمكن أحدا من خدمه الثلاثة من ملء ذلك الطست ولا يرضى بكاف أحدا ولا يتعبه بسببه ولا تلحقه مشقة فى خدمته بل كان يتولى أمره بيده فاذا قارب الشيخ من فراغ الوضوء عمد أصحابه الى سجادتين خضروتين فيفرشون احداهما ويصلون بها الاخرى فيقوم الشيخ ويمشى عليهما الى باب خلوته فاذا دخل الخلوة عمد أحد الخدم الى سجادة منهما ويفرشها بين يديه فى الخلوة ليصلى عليها فكان هذا دأبه فى كل يوم مرة واحدة والله أعلم باحواله فى الليل هل يتوضأ مرة أو مرتين أم لا وكان الاستاذ يخرج من خلوته فى الليل فيحس الشيخ المغربى بظهوره فيخرج من خلوته ويسرع اليه ويجلس بين يديه والناس نائمون فيختلى مع الاستاذ ويكلم معه سرا من غير أن يسمع لاحدهما كلام والله أعلم بما يكون بينهما من أمرهما من الاسرار التى لا يعلمها الا الله تعالى فما زال على ذلك حتى توجه مع الحجاج وقضى مناسك الحج ورجع الى الاستاذ فاقام عنده فى الخلوة التى كان فيها أولا مدة ثم استأذنه فى السفر للغرب فاذن له فكان آخر عهدنا به رضى الله عنه

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الخطيب جلال الدين الرئيس الجليل الكبير المحترم وكان صاحب عقل ورزانة وهيبة وجلالة ووقار وكان قليل الكلام جدا لا يكلم أحدا الا جوابا صاحب الاستاذ قديما وكان خطيب الزاوية قليل المخالطة للناس وكان له صبانة تقوم بنفقته ونفقة عياله وكان يبالغ فى الملبوس منعما فى دنياه بعيدا عن الرياء والمداهنة زاهدا فى الرآسة راغبا فى العزلة عن أبناء الدنيا لا يجالس أحدا منهم ولا يميل اليه ولا يعبأ به ومن رآه اعتقد أنه أخرس لقلة كلامه ومخالطته بالناس ومن الناس من يعتقد انه أصم وهو مستغن بالله عن جميع الناس ليس له الى أحد حاجة الا أن يضطر اليها فيستعين بالاستاذ

عليها قلت وكان اذا حضر بين يدى الاستاذ لا يتكلم ولا ينطق بكلمة كأن الكلام لم يخلق فاذا قام الاستاذ من مجلسه قام هو ودخل بيته وكان مجاورا لسيدى أبى العباس من داخل الدرب فما زال على ذلك الى أن انتقل الى رحمة الله تعالى رحمه الله وعفا عنه ما كان ألين جنابه وأخفض جناحه مع أنه كان ذا شكل حسن وذا هيئة وجمال وكانت رؤيته تملأ العين والقلب ما رآه أحد الا أحبه فرحمه الله تعالى وعفا عنه

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح الورع الزاهد العالم العلامة العامل المحقق الشيخ شمس الدين البساطى المالكى قاضى قضاة المالكية شارح مختصر الشيخ خليل فى جزأين كبيرين ما سبقه اليه أحد وكان مع وجود هذه العلوم الغزيرة يعانى الصيد بالشبكة وتارة بالسنارة ويبيع ما اصطاد ويقتات من ثمنه وكان اذا خرج الى الصيد يلبس خلقانا كخلقان الصيادين ويتلثم حتى يستر لحيته عن الناس ويشد وسطه ويأخذ شبكة أو قصبة ويخرج الى الصيد من خوخة فى داره فاذا قضى أربه من الصيد وباعه رجع الى أهله ودخل الى بيته من الخوخة التى خرج منها فينزع ما عليه من الخليقات ويلبس أفخر ثيابه ويتعمم بشاش ويلبس جندة بيضاء مثمنة ويتطيلس ويخرج ويجلس على مسطبة فى دهليز منزله بين نوابه ويحكم بين الناس بلا اجرة فاذا احتاج الى نفقة دفع الى غلامه دراهم ينفقها على عائلته وقيل انه كان له بعض أملاك ينفق على أهل بيته من أجرتها ويصرف للغلام منها وكان هو لا يأكل الا من ثمن الصيد

ولقد حكى لى بعض أهل الخير عنه قال اصطاد الشيخ شمس الدين قاضى القضاة البساطى المذكور يوما سمكة كبيرة فبينما هو قاصد الى منزله فيها رزق اذ لقيه رجل ذمى من النصارى فقال له يا صياد هل معك شئ من السمك فقال له نعم قال فلما رأى السمكة قال له كم ثمنها بشرط أن تحملها معى الى البيت فقال له اشتر وأنا أحملها معك الى بيتك قال فاشتراها منه بستة عشر درهما على هذا الشرط وحملها معه الى بيته واذا بوالد الذمى على باب المنزل فقال لولده أين كنت فقال اشتريت سمكة من هذا الصياد وعرضها على والده وقص عليه قصته فقال لولده أعطه الثمن قال فدفع اليه ثمن السمكة وصار والد الذمى يتأمل الصياد فعرفه فلحق به وقال له ادفع الى قفة الصيد ان كنت اشتريت قال فدفعها اليه ورجع وقد عرفه الذمى وصار يتبعه الى أن دخل منزله من تلك الخوخة وقد شاع هذا الامر بين الناس وقبل ان الذمى أسلم هو وأهله وولده بسبب ذلك

ولقد رأيت الشيخ شمس الدين قاضى القضاة البساطى يدخل الى الاستاذ رضى الله عنه ويجلس بين يديه جاثيا على ركبتيه وكان ذا هيئة عظيمة وعليه خفر ووقار وله حرمة جسيمة وكان رجلا طوالا وله هيبة تملأ العين والقلب وعلى رأسه عمامة عظيمة وطيلسانه يسحب على الارض وكان القاضى يرفع طيلسانه بيده حتى لا يصيب الارض وكان مع ذلك يجلس بين

يدى الاستاذ كأنه طفل صغير طارقا رأسه الى الارض من هيبة الاستاذ وكان سيدى أبو العباس خادم الاستاذ يقول لا اله الا الله طال ما مشى الشيخ شمس الدين البساطى تحت ركاب الاستاذ الى الروضة والى غيرها رحمه الله وعفا عنه ورأيته أيضا لما أراد أن يسافر مع الملك الاشرف الى آمد وقد جاء لوداع الاستاذ وكذلك الشيخ شهاب الدين بن حجر رحمه الله جاء الى الاستاذ بسبب الوداع حين خرج السلطان الى آمد وكذا جوهر الخازندار جاء فى الليل لوداع الاستاذ وأخذ منه جبة جوخ ليلبسها السلطان ان وقع فى حرب وأخذ منه جوهر الخازندار طاقية وألبسها له الاستاذ بيده فى تلك الليلة وأصبح السلطان صبيحة تلك الليلة مسافرا الى آمد رحمهم الله

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ مصطفى بقلعة الروم كتب له الاستاذ توقيعا بالمشيخة وأخذ العهود وتسليك الفقراء وتربية المريدين وأمره أن يجلس فى زاويته بقلعة الروم فامتثل أمر الاستاذ وفعل ما أمره به وقد صار يدعو الناس الى الله تعالى حتى كثرت أصحابه وأحبابه ومحبوه فقيل انهم بلغوا ثلاثة آلاف مريد وقيل أكثر من ذلك

وأخبرنى الشيخ بدر الدين حسن الحصينى وكان من أصحاب الاستاذ الحنفى قال دخلت الى قلعة الروم واجتمعت بالشيخ مصطفى الحنفى الشاذلى رحمه الله فرأيتهم يقرؤن حزب الاستاذ بين يدى الشيخ مصطفى وعنده فقراء مجاورون فى زاويته فى خلاوعديدة فسألنى الشيخ من أين جئت فقلت له من ناحية العراق كنت فى زيارة الصالحين فقال لى والى أين أنت قاصد فقلت له الى مصر لزيارة سيدى محمد الحنفى وأجاور عنده فى الزاوية ان شاء الله تعالى قال ففرح بى وأكرمنى وأقبل على وجمع لى من أصحابه دراهم كثيرة حتى قامت بى نفقة وكراء ومؤنة الى أن دخلت الى مصر

وكان الشيخ مصطفى عهد الى عند الوداع أن اقرئ الاستاذ عنه السلام وان أسأله الدعاء قال فلما وصلت الى الاستاذ بلغته سلامه فقال لى سيدى كيف حال مصطفى فقلت ياسيدى بخير فقال زاده الله خيرا ونفع به المسلمين

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ شمس الدين محمد المعروف بالبابا رحمه الله وكان رجلا كبيرا صالحا تقيا نقيا عفيفا أمينا وكان من أهل الزهد والورع والعفة والامانة على جانب عظيم وكان عارفا بالله تعالى مع انه كان عاميا لا يقرأ ولا يكتب لكن ما اتخذ الله من ولى جاهل ولو اتخذه لعلمه ولقد رأيته وجالسته وكان يميل الى بالمحبة والشفقة رحمه الله تعالى وكنت أسمع منه كلاما عاليا فى علم الحقيقة والشريعة لم أسمعه من كثير من المشايخ فسبحان المعطى الوهاب وكان مشهورا بذلك بين أصحاب الاستاذ وكانوا يعتقدونه ويتبركون به ويعترفون له بالفضل والصلاح والكشف والفلاح ويتعجبون من أمره لانه ما احتاج الى معلم ولا فقيه وما حصل له ذلك الفتح الا من بركة مدد الاستاذ له وقد تقدم فى أثناء هذا الكتاب

شئ من ترجمته وذكر شئ من علامات ولايته فمن ذلك أنه لما حضرته الوفاة وأصحاب الاستاذ حوله اذ سألوه عن القطب فقال لهم هو معكم فى هذه الساعة فقالوا له ياسيدى محمد فما علامته قال أن تكون الدنيا بين عينيه كالكرة يقلبها كيف يشاء ثم انه تلفظ بالشهادتين ومات رحمه الله فعلموا أنه عنى بالقطب عن نفسه وعرفوا أنه تقطب قبل موته كما وقع لسيدى أبى بكر الطرينى رضى الله عنه فان بعض الفقراء العارفين أخبر عنه أنه تقطب قبل موته بخمس ساعات ولما مات دفنوه الى جانب سيدى عمر صهر الاستاذ زوج ابنته فى مدرسته غربى زاوية الاستاذ الحنفى رحمه الله تعالى وعفا عنه ونفع به آمين

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح الورع الزاهد سيدى نور الدين على الفضالى رحمه الله رأيته وجالسته مرارا وسمعت كلامه وكان الغالب عليه الجذب والوله وتارة يكون فى هيئة قاض على رأسه شاش عظيم وجنده بعلبكى رفيع وطيلسان رفيع ومركوب شامى أحمر وهو يمشى فى تلك الهيئة ويجلس فى زاوية الاستاذ رحمه الله فمن رآه اعتقد أنه قاض فاذا قرب منه وعرفه علم انه الشيخ على الفضالى وكان قد أعطى حظا عظيما وصوتا رخيما فى قراءة القرآن فكان اذا قرأ لا يمكن لاحد أن يفارقه وان سمعه أحد من الناس وهو خارج عن الزاوية دخلها حتى يسمع قراءته وما سمع أحد قراءته الا وارتاح اليها قلبه واستأنست بها نفسه وغلب عليه وجده فاذا قطع قراءته أرسل اليه أهل بيت الاستاذ يطلبون منه القراءة ثانيا وكان جوهرى الصوت حنون القلب حزينه تخشع له الاصوات عند قراءته وتميل له القلوب عند سماع صوته وكان اذا قرأ يجتمع اليه اثنان أو ثلاثة من الفقراء يقرؤن معه ويعضدونه فى القراءة وكان اذا قرأ أو رفع صوته بالقراءة غطى عليهم برخيم صوته فقل من يملك نفسه عن البكاء عند سماع قراءته وكان تارة تراه على غير هيئته المذكورة وعليه شلتوتة دنسة على رأسه يتمعم بها على خلق قمع أصفر قديم قد اندعك بالعرق وهو لابس خلقان قعادنسا كأنه ثوب زيات وفى رجليه بروة قبقاب قديمة وهو يقول ما أطيب هذا العيش وما أهنأه فكانت هذه طريقته رحمه الله تعالى وعفا عنه ونفعنا به آمين

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح العابد الضعيف فى نظره وبدنه القوى فى دينه وكان يعرف بالسقاء نفعنا الله به وكان من شأنه حب قيام الليل وصيام النهار والاشتغال بكثرة النوافل وكان الغالب عليه قراءة القرآن ليلا ونهارا وكان ثقيل اللسان رقيق القلب قليل الكلام كثير البكاء وكان اذا وقع نظره على الاستاذ لا يملك نفسه من البكاء واذا سمع حس باب خلوته عند ظهوره منها رفع صوته بقول لا اله الا الله وكل عضو فيه يهتز ويرتعد وكان الشيخ سنقر البشمقدار يحسن اليه كثيرا ويواده ويصله بالبر والخير والهدايا والمأكول والمشروب والملبوس الى أن تزوج الشيخ على السقاء قطع عنه

معروفه وخيره وهجره كأنه لم يعرفه وصار ينتقد عليه ويقول هذا قد لهته امرأته عن عبادة الله تعالى فحصل للشيخ المذكور بسبب ذلك كسر خاطر وتغير خاطره حتى نفرت القلوب عنه سنقر وحصل له مقت من الفقراء فدام في عكس الى أن مات وتغيرت أحواله حتى انه كان قد اشترى بعض كتب ووقفها في زاوية الاستاذ على الطلبة المجاورين بالزاوية فأحوجته المقادير الى فك الوقف وباع الكتب بعد وفاة الاستاذ وأخذ ثمنها يستعين به على سفره الى الحجاز فتوفي بمكة وهو في حال ضيق فنعوذ بالله من تغير خواطر الفقراء

ومن أصحاب الاستاذ رضي الله عنه الشيخ حسن المحلي الرجل الصالح المغفل الكثير البكاء المعرض عن الدنيا وكان عن الناس بمعزل مشتغلا بالله تعالى لا يلتفت الى الدنيا ولا الى أهلها مجتنبا للاغنياء مقبلا على الفقراء مكسور النفس قليل الكلام أكثر ما كان يرى منفردا بنفسه خاليا متلذذا بخلوته مستأنسا بالله تعالى مستوحشا من الناس نظره الى الارض أكثر من نظره الى السماء وكان من وظائفه أنه كان خادما للمصحف الذي يقدمونه الى الاستاذ بعد صلاة العصر عند قراءة الربعة بعد فراغهم من قراءة الحزب كان يفتح الخزانة ويأخذ منها المصحف والكرسي ويقدمهما الى الاستاذ وهو جالس على باب خلوته والحلقة معقودة حوله فيضع المصحف على الكرسي بين يديه ويقبل ركبته ويرجع الى خلفه خلف العمود قريبا من خلوة سيدي وكان سيدي أبو العباس يفرق أجزاء الربعة على الفقراء فاذا فرغ الاستاذ من القراءة قبل المصحف فاذا رآه الفقراء قبل المصحف رفعوا أصواتهم بقراءة قل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين والفاتحة ثم يدعو الامام

وأما الشيخ حسن المحلي فانه كان اذا عاين الاستاذ قبل المصحف نهض مسرعا الى المصحف والكرسي فيرفعهما من بين يديه ويضعهما في الخزانة ويقفلها ويأخذ المفتاح معه وكان يوقد المصابيح لصلاة الصبح وصلاة العشاء وكان يخدم في الزاوية ويملأ الفسقية من البئر وكان فقيرا جدا لا يملك شيئا من الدنيا وكان له ورد في الليل وذكر خفي وكان كثير الاوصاف المحمودة وكان عنده كسر خاطر وكسر نفس ومسكنة فوق الوصف

ومما وقع له مع بعض الفقراء أنه ظهر له منه بعض جفاء فخاف أن يكون قلبه قد تغير عليه فما يشعر ذلك الفقير الا وسيدي حسن المحلي قد أقبل عليه بعد ساعة وفي رقبته حبل معلق به مراكيب جلد وهو مكشوف الرأس فوقف بين يدي ذلك الفقير وقد وضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره وهو يبكي حتى رحمه كل من حضره من جماعة الفقراء وأقسم بالله تعالى أنه لا يرمي هذه المراكيب المعلقة في رقبته حتى يطيب خاطر ذلك الفقير فما وسع الفقير الا أنه قام اليه وكشف رأسه وعانقه وبكى وبكى الآخر ورفعا أصواتهما بالبكاء فحذ ذلك الفقير يده الى الحبل ونزعه من رقبة الشيخ حسن وكل الفقراء يبكون لبكائهما فبعد ذلك وقع الصفاء بينهما وصارا أحبابا واخوانا في الله تعالى فكان أصحاب

الاستاذ كلهم على هذه الحالة وكيف لا يكون ذلك وقد حل نظر الاستاذ عليهم رضى الله عنهم ونفعنا بهم

وكان الاستاذ رحمه الله يقول ان من فضل الله علينا أنه ما وقع نظرنا على أحد الا ويحصل له خير وقد صدق فيما قاله فان قوله ذلك مجرب صحيح بين أصحابه فانه رضى الله عنه ما نظر الى أحد بعين المقت الا وصار ممقوتا ولا نظر لاحد بعين الرضا الا وصار محبوبا

وكان من أصحاب الاستاذ رجل واعظ يسمى أبا الخير الواعظ وهو عبارة عمن ينشد بين يدى الاستاذ بعد فراغه من الميعاد فينشد من كلام السلف الصالح فيحصل بذلك للسامعين وجد وطرب وتواجد وطيبة وبكاء وينتعشون من ذلك السماع فمنهم من يصرخ ومنهم من يبكى ومنهم من يرقص ومنهم من يغشى عليه ومنهم من يتكلم فى وجده بكلام لا يقصده بل يخرج منه بغير اختياره وتظهر فيه أحوال الفقراء على صنوف مختلفة وكان هذا أبو الخير قد رباه الاستاذ وهو مع والده النقيب محمد رحمه الله رأيته وصحبته وكان رجلا دينا تقيا عفيفا أمينا قليل المخالطة للناس وكان محترما مهيبا عند الناس وكان الاستاذ يميل اليه بالمحبة لاجل هذه الصفات المحمودة فاتفق أن ولده أبا الخير حضر مجلس بعض الفقراء وكان فى عمل مولد عنده فانشد بحضرته وكان ذلك الرجل سيئ الاعتقاد فى الفقراء فبلغ ذلك الاستاذ رحمه الله فتغير خاطره على أبى الخير فانقطع صوته وصار متروكا بين الناس لا يعبأ به أحد ولا يلتفت اليه وصار والده المتقدم ذكره يتوسل الى الاستاذ باعيان الناس وسألوه أن يطيب خاطره على ولده أبى الخير الى أن رضى عليه الاستاذ وأرسل خلفه فحضر بين يديه وهو مكشوف الرأس باكيا وقبل مركوب الاستاذ وقبل يديه واستغفر ووقف بين يديه ساعة مكشوف الرأس فمد الاستاذ يده وأخذ عمامته منه ووضعها على رأسه فعلموا أن الاستاذ قد طاب خاطره عليه ففرح أصحابه بذلك وكان صوت سيدى أبى الخير صوتا عظيما وكان قد أعطى حظا وعزا عند الاكابر واتسعت عليه الدنيا وكثر ماله وكان يبالغ فى الملبوس ويتغالى فيه كثيرا وكان والده رحمه الله يفرح بذلك ويسره ويدعو للاستاذ كثيرا فلما طاب خاطر الاستاذ عليه قال له يا ولدى

اعلم أن الفقراء ما عندهم عصا يضربون بها من أساء الادب فى حقهم وما عندهم الا تغير خواطرهم ونعوذ بالله من تغير خواطر الفقراء ولولا أنت عندنا عزيز لرفعنا اسمنا عنك وتركناك ثم وضع يده على حلقه ومسح بها عليه فرد الله عليه حاله وزاد عما كان فرحم الله الاستاذ ما كان أكثر حلمه وأوسع صدره على من يلوذ به وينتمى اليه وما كان أكثر عفوه وصفحه واحتماله على من يعرفه ومن لا يعرفه رضى الله عنه وأرضاه فانه والله ما انتقم لنفسه من أحد قط ولا انتصف لها ولا غضب لها وما كان غضبه ورضاؤه الا لله وكان مأمون الرضا مأمون الغضب لا يخرجه غضبه ولا رضاؤه عن الكتاب والسنة

ومما عايناه ورأيناه ان بعض الاجناد فى زمن الملك الاشرف برسباى وكان مملوكا من مماليكه شديد التعصب على فقراء الزاوية سيئ الاعتقاد فيهم وكان مجاورا للزاوية فوقع بينه وبين فقير من الفقراء كلام يتعلق بالاعتقاد فى حق الفقراء فانكر ذلك المملوك على الفقراء فقال أنا والله ما اعتقد فى أحد فقال له ولا فى النبى صلى الله عليه وسلم فتكلم بكلام لا ينبغى ذكره وكان ذلك بحضرة جماعة فبلغ الكلام الى الاستاذ فقال والله أما سوء اعتقاده فى الفقراء فذلك أمره الى الله تعالى وأما سوء اعتقاده فى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينبغى السكوت عنه

ثم قال الاستاذ استفتوا العلماء فى ذلك فكتبوا فتاوى وأرسلوها الى العلماء فقالوا ان الاستاذ يحكم فيه برأيه فارسل يقول لهم لابد من وضع خطوطكم لتحصل البركة فعند ذلك أفتى بعضهم بكفره وبعضهم أفتى بتعزيره وبعضهم أفتى انه يسأل عن معنى القول الذى قاله ان كان قوله يدل على نقص وازدراء فى حق النبى صلى الله عليه وسلم فقد كفر وان دل قوله على غير ذلك فيعزر فلما وقف الاستاذ على الفتاوى قال نأخذ بالاهون ونؤدبه ثم ان الاستاذ أحضره فوقف بين يديه وأرسل الى الكتاب أعنى كتاب السبيل وكان العبد اذ ذاك فقيه الكتاب فاخذ الفلقة والعصا فقمت أنظر ما يقع بهذا الجندى فادركته وهو ممدود على ظهره ورجلاه فى الفلقة وبعض الاجناد يضربه على رجليه وهو يقول توبة لله توبة لله الى ان أمر الاستاذ بقيامه فأقاموه فلما قام تقدم الى الاستاذ وقبل يده وأخرجه مع اثنين من الاتراك وبات معهما فى الترسيم فلما أصبح الاستاذ وكان ذلك اليوم يوم الميعاد فحين انفض الميعاد أرسل الاستاذ بذلك المملوك الى السلطان فلما وقف بين يديه وقصوا عليه قصته رسم بنفيه الى الشام ومات فيها وشاعت هذه الحكاية فى القاهرة فارتجت القاهرة وتعجب الناس من ذلك وزاد سيدى عما كان ووقعت هيبة الاستاذ فى قلوب الناس أكثر مما كانت ولقد سمعت بعض الاعيان من أكابر الناس يقول والله طيب يا سيدى محمد يا حنفى لك فى المدينة خمسون سنة أو أكثر فى المشيخة ما انظف لك نعم حتى قيل ان الاستاذ لما أن توفى الى رحمة الله تعالى ظهرت رماية النطرون فى القاهرة فكان ذلك أول ما ظهر من المظالم

ومما وقع لشخص من مجاورى الزاوية اسمه خضر السروى ويعرف بابن خراز ولقد رأيته ورأيت والده وكان مدرك السرو وكان يأتى الى ولده خضر ليزوره ويتفقد أحواله فيجده يقرأ فى العلم فيفرح بذلك ويسر به وكنت ألوذ به وكان الاستاذ ناظرا اليه لحذقه ومعرفته بأصول الفقه حتى زوجه بجارية من جواريه وكان من طلبة سيدى أبى العباس خادم الاستاذ رضى الله عنه فلما رأى نفسه صار عارفا بالاصول فى مذهب السادة الحنفية طمع فى أعلى مما هو فيه فطلق الجارية ومضى الى الجامع الازهر يريد أعلى مما كان فيه فسأل الاستاذ عنه فقيل انه مقيم بالجامع الازهر فقال لا حول ولا قوة الا بالله

العلى العظيم فقال والله انه لمسكين مابقى يحصل له شئ لا من هنا ولا من الجامع الازهر قال فضاق عليه الجامع الازهر واستوحش من أهله ولم يلتم عليه أحد منهم فلما اشتد به الامر سافر الى السرو فأقام بها فضاقت عليه فخرج الى الشأم فضاق عليه أيضا فسافر الى مدينة صغد فأقام بها يقرئ الاطفال الى ان مات غريبا رحمة الله عليه فنعوذ بالله من تغير خواطر الفقراء

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ شهاب الدين أحمد المغربى وكان مجاورا بالزاوية قال بعض الفضلاء ان له خمسين سنة وهو مقيم فى خلوته لا يخرج منها الا فى حين ما وكان مشتغلا بكتاب الله تعالى لا يتعدى ربع القرآن من سورة يس الى سورة الفاتحة يكتب فى لوح خشب من ألواح المغاربة غير مدهون من أول يس ويدرس فيه فاذا حفظه مسحه وكتب غيره وهكذا الى سورة الفاتحة ثم يعود يكتب الى سورة يس فيكتب من أولها الى الحمد كل يوم لوحا فأقام على ذلك خمسين سنة وهو على هذا الحكم لا يزيد ولا ينقص وكان تقيا عبدا صالحا فى دينه عفيفا ديناصينا خيرا لا يشوبه شئ فى دينه وكل أحواله مستقيمة على الكتاب والسنة وكان له شرب بدار الاستاذ رضى الله عنه واذا عطش الاستاذ وهو فى الزاوية أرسل الى سيدى أحمد المغربى يطلب منه الكوز فيحضر سيدى أحمد وهو معه فاذا شرب الاستاذ رجع سيدى أحمد بالكوز معه الى الخلوة وعلقه فيها هكذا كان دأبه مع الاستاذ رحمه الله وكان قليل النوم فى ليله كثير الاوراد لا يشغله عن الله شاغل مشتغلا بالله عن جميع الناس ما دخل حماما قط ولا أخذ رآه خارج الزاوية ولا بالقاهرة ولا بغيرها منذ ما كان فى صحبة الاستاذ الى أن توفاه الله تعالى وكان اذا اشتاق الى الجلوس فى الزاوية ظهر من خلوته وجلس فيها ساعة أو أقل وينهض الى خلوته وكان الاستاذ يأمنه على الفقراء وعلى الشبان المردو يوصيه بهم ويقول له يكون ذهنك عليهم وراعهم بنظرك يحصل لك خير وذلك لما يعلم من دينه وعفته وأمانته وكمال عقله ونصحه للفقراء رضى الله عنه ونفع به آمين وكنت أراعيه وأنتظر ظهوره من خلوته فاذا رأيته ظهر منها وجلس فى الزاوية أهرول اليه فاسلم عليه وأقبل يده وأجلس بين يديه فيقول لى كيف حالك ياسيدى على فأقول له بخير فيقول الحمد لله رب العالمين فاذا رأيته قرأ فى وجهى بعضا من القرآن أقوم وأرجع الى موضعى

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح الورع الزاهد العارف بالله تعالى والقائم بحقوق الله وحقوق عباد الله المشتغل بعبادة الله تعالى التابع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المعتقد فى أولياء الله المحب لاهل كتاب الله المتواضع لاخوانه فى الله الراضى بأحكام الله الصابر على قضاء الله المقبل على طاعة الله المعرض عن معاصى الله المؤتمر بما أمر الله به والمنتهى عما نهى الله عنه سيدى الشيخ شهاب الدين المعروف بابن

المخلاتى رضى الله عنه ونفعنا به لقد كان من خواص أصحاب الاستاذ بل من أعيانهم وأخيارهم وكان من أقران سيدى أبى العباس والشيخ شهاب الدين بن حجر والخطيب جلال الدين ومن أقران الاستاذ أيضا فانهم كانوا جميعا مجتمعين فى مكتب واحد وكان الفقيه صاحب المكتب يوصيهم جميعا بالاستاذ ويقول لهم أوصيكم بهذا محمد اليتيم فأوصيكم به خيرا فلازموه واعرفوا فضله وامتثلوا أمره ولا تخالفوه وتأدبوا معه واحترموه ووقروه فانه يكون له شأن عظيم وصيت ورفعة عالية وكلمة نافذة وبركات ظاهرة ومناقب باهرة وسوف ترون ما أقول لكم وستذكرونه فيما بينكم فاذا رأيتم ذلك فادعوا لى بالرحمة والمغفرة فمازالوا يحترمون الاستاذ فى صغره وكبره وهم محافظون على وصية الفقيه ويعترفون بفضل الاستاذ ويراعون خاطره ويحفظون وداده ويتأدبون معه حتى رأوا جميع ما أخبرهم به الفقيه فكانوا يدعون للفقيه بالرحمة والمغفرة كما قال لهم فكان سيدى شهاب الدين بن المخلاتى المتقدم ذكره يراعى خاطر الاستاذ ويرعى وداده ويحفظ وصية الفقيه طول حياته وكان يأتى الاستاذ للزيارة فى رأس كل شهر عند صلاة العشاء فيصلى معه العشاء مع الجماعة فاذا قضيت الصلاة فتح له الاستاذ باب الخلوة الاخرى فيدخل منه وينام عند الاستاذ وكان شيخا كبيرا فجاءه ذات ليلة ونام عنده على حكم عادته وكان سيدى الشيخ شمس الدين ابن كتيلة تلك الليلة قدم للزيارة وكان معه جماعة من أصحابه يذكرون معه بعد العشاء وكان العبد من جملتهم

فلما رأى الشيخ شهاب الدين ابن المخلاتى قد دخل الى خلوة الاستاذ صار يقول هنيئا له ويكررها وصار يحسده على بياته عند الاستاذ فى الخلوة ولم يفعل الاستاذ هذا فى حق أصحابه الا الشيخ شهاب الدين ابن المخلاتى فاذا ظهر سيدى لصلاة الصبح ظهر الشيخ شهاب الدين من الباب الذى دخل منه واستأذن الاستاذ فى رواحه الى منزله فيأذن له الاستاذ فى ذلك فكان هذا دأبه معه كلما زاره ينام عنده فى الخلوة ولقد بلغنى عن الاستاذ انه أرسل الى الشيخ شهاب الدين ابن المخلاتى قاصدا فى حاجة وقال للقاصد اذا قضى حاجتك فقل له أوصنى بوصية أحفظها عنك فلما قضى حاجته قال له القاصد مثل ما قال له الاستاذ فقال له اذا صليت الصبح والمغرب قل عقب كل صلاة منهما اللهم أجرنا من النار سبعا فان من فعل ذلك أجاره الله من النار قلت ورأيت منه ذلك مرارا كلما جاء للزيارة يبيت عنده فى الخلوة ويخرج منها بعد أذان الفجر وكان منزله بعيدا داخل القاهرة وكان فقيه مكتب السبيل بازاء المؤيدية الذى بناه المؤيد الشيخى للايتام رحمه الله فكان الشيخ شهاب الدين ابن المخلاتى فقيه هذا المكتب الى أن توفى الى رحمة الله تعالى ومما وقع لى مع الاستاذ رضى الله عنه ونفع به أنى سألته أن يبايعنى فقال لى حتى أستخير الله تعالى فانصرفت من بين يديه وأنا منتظر لما وعدنى فلما كان بعد يومين أو ثلاثة أيام تقدمت اليه وسألته عن ذلك فمد يده المباركة الى

وقال هات يدك فلما وضعت يدى فى يده ومسكها قال لى مهما قلت لك قل نعم فصار كلما قال لى كلمة أقول نعم وقد غاب صوابى وغبت عن حسى وصرت لا أشعر بنفسى ولا أعلم فى أى مكان أنا وقد أخذنى الخجل والاستحياء والعرق حتى ابتل قميصى عرقا من شدة خجلى منه فلما أطلق يدى من يده المباركة ورجع الى حالى قمت من بين يديه ورجعت الى خلفى فلما أن خلوت بنفسى تفكرت فيما قاله لى فعرفت أنه بايعنى على الكتاب والسنة فحمدت الله وشكرته الذى رآنى الاستاذ أهلا لمبايعته وفرحت بذلك فرحا شديدا

وكان سيدى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رضى الله عنه جالسا ذلك الوقت فى خلوته فصعدت اليه وقبلت يده وأخبرته بما جرى لى مع الاستاذ فحمد الله على ذلك وأظهر لى السرور فمن ذلك اليوم صار يقول لى أنت أخى ما أنا شيخك فان شيخى وشيخك واحد وكان منصفا كثير الانصاف سالما من الدعاوى الكاذبة بعيدا عن الاقوال الباطلة وما رآنى بعد ذلك اليوم الا بعين الكمال والمحبة والشفقة وكنت أتردد اليه وهو بالجامع الذى بسويقة النمرى قبل أن يعمر الضريح والجامع على الملقة ومازلت أتردد اليه بعد ذلك وهو يكرمنى غاية الاكرام ويقربنى ويلاطفنى بالكلام ويمدنى بنظره ويجبر بخاطرى أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يمتعنا بالنظر الى وجهه الكريم وأن يجبر كسره بين يديه وأن يجمعنا واياه فى دار كرامته انه ولى ذلك والقادر عليه

(استلحاق)

قال ثم انى بعد ذلك اجتمعت بالاستاذ مرة أخرى بعد مبايعتى له وهو يريد تربيته التى بالقرافة وذلك بعد صلاة العصر لما أن انصرفنا من بين يديه وأخذ كل من الفقراء مكانه فوقفت من بعيد وأنا أنظر الى الاستاذ وأشاهده وكنت لا أشبع من نظرى اليه فلما وقع نظره على أشار الى بيده المباركة أن تعال فأسرعت اليه من شدة فرحى باشارته فلما وصلت اليه وقبلت يده أقبل على وقال اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ثم قال لى أذنت لك أن تذكر وتذكر وتدعو الناس الى الله تعالى ثم قال لى ياعلى ها أنت قد ملأت قريبتك ثم قال وكان لنا صاحب يقال له يوسف أبو طاقية وكان كل قليل يأتينا للزيارة ويملأ قريبته ويروح الى البلاد ويسقى الناس وكلما فرغت قريبته يجئ يملؤها من هنا ويرجع ينفع الناس وها أنت قد ملأت قريبتك فكان ذلك آخر اجتماعى بالاستاذ رحمه الله وعفا عنه ونفع به فما كان أرحمه وأرأفه وألطفه باصحابه ومحبيه ومعارفه ومريديه كان والله أشفق عليهم من الوالدين بولدهما فجزاه الله عن المسلمين خيرا وأعاد الله علينا وعلى المسلمين من جزيل بركاته فى الدنيا والآخرة آمين

وممن تردد الى الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح الورع الزاهد مربى المريدين والداعى الى رب العالمين الشيخ الجليل والعالم النبيل سيدى أبو عبد الله محمد البلالى نزيل القرافة

رضى الله عنه ونفع به فبلغه عن الاستاذ الكبير أنه مر مع أصحابه وهو قاصد الى الروضة بساقية دائرة فتقدم اليه القاضى ناصر الدين الشنيشى رحمه الله حتى حاذاه وقال له ياسيدى العبد سمع منكم فى بعض المواعيد أن من الاولياء من يعرف لسان حال الجمادات فقال له الاستاذ نعم فقال له ياسيدى فما يقول لسان حال هذه الساقية فقال له هذا سؤال استفهام أو سؤال استعلام فقال لا والله ياسيدى انما هو سؤال استفهام لا استعلام فقال له سيدى نقول لك على قدر عقلك لسان حالها يقول لا تراه ملآنا الا طالعا ولا تراه فارغا الا نازلا قال فبلغ ذلك سيدى محمد البلالى وهو فى زاويته بالقرافة فصار يتعجب ويقول ألله ألله صدق رضى الله عنه فلما دخل الليل قال سيدى محمد البلالى لبعض جماعته قوموا بنا نزور سيدى محمد الحنفى ولا يصحبنى منكم الا من يكون على وضوء كامل قال فتوضأ منهم جماعة وخرجوا مع الشيخ حتى وصلوا الى الاستاذ رضى الله عنه فلما اجتمع به سيدى محمد البلالى وسلم عليه وجلس بين يديه أقبل الاستاذ عليه وأكرمه ورحب به قال فعند ذلك قال ياسيدى بلغ العبد ما هو كذا وكذا قال نعم فقال له ياسيدى هذا لسان حال القواديس وأريد من سيدى ان أسمع منه لسان حال الساقية بنفسها فقال له الاستاذ ادن منى قال فدنا منه فقال له سرا كلاما ليس بمسموع فلما سمع ذلك من الاستاذ بكى وقال سألتك بالله ياسيدى دعنى أقبل مركوبك فقال لا والله ان كان ولا بد فهذا قدمى ومد الاستاذ قدمه الى الشيخ محمد البلالى فقبلها وكان سيدى الشيخ محمد البلالى صاحب علم وعمل وبلغنى أنه اختصر احياء علوم الدين للغزالى فى جزء واحد وهو مطلوب ومنتفع به قلت وممن كان يتردد الى الاستاذ سيدى أبو بكر الطرينى رضى الله عنه وكان يحضر ميعاد الاستاذ وكان سيدى أبو بكر اذا قرب من باب زاوية الاستاذ يقف عند الباب والاستاذ يتكلم فى الميعاد وعيناه منمضتان فيطأطئ سيدى أبو بكر رأسه وهو على باب الزاوية ويسمع كلام الاستاذ ثم يقول * ياقليله تدخرجى * وابصر المامن اين يجى * ثم يقول يجئ من عند محمد الحنفى هكذا مرتين أو ثلاثا ثم يدخل ويسمع كلام الاستاذ الى آخره فاذا انقضى المجلس اجتمع بالاستاذ وسلم عليه فكان أبو بكر رضى الله عنه مادام مقيما بالقاهرة ما يقطع ميعاده رضى الله عنهما وكان الاستاذ يفرح به اذا رآه ويكرمه ويقربه وكان سيدى الشيخ أبو بكر يتأدب معه كثيرا وكان الاستاذ يعتقده وقد أحببت أن أضيف الى هذه الحكاية ما كان الشيخ أبو بكر يقوله اذا أراد أن يدخل الى الزاوية لسماع الميعاد وهو * ياقليله تدخرجى * وابصرى المامن اين يجى فان المقادير قد أطلعتنى على سبب هذا الكلام عن رجل من أهل الخير وذلك أن بعض الصالحين المتمكنين كان له خادم يخدمه فأقام فى خدمته زمانا طويلا فقال له الشيخ يوما من الايام اسقنى يا منطال بطريق المباسطة معه قال وكانت القلة التى يشرب منها الشيخ بحضرته وهى فارغة فقال الخادم فى نفسه أنا لى فى خدمة هذا الرجل سنون عديدة أخدمه وأقوم

وما أسمى عنده الامنطال ثم انه خاف عاقبة أمره فرجع الى شيخه فوجد الكعبة طائفة به والقلة ملآنة بالماء وهى تتدحرج بين يدى الشيخ حتى يشرب منها فلما رأى ذلك ندم على ما قاله وكشف عن رأسه واعتذر الى الشيخ فأقبل الشيخ عليه وقبله وقال له لا تعد الى مثلها وجعل الشيخ يقول (٢) * ياقليله تدحرجى * وابصرى الماء اين يجى * قلتى ليس مثلها * لاولا مثل مائها * من شرب من زلالها * من هذا الجحيم نجى * قلتى كم تعلقت * فى حبكم وبقبقت * وقد صفت وروقت * تفديكم و بالمهج * ابن أدهم لحاكتم * وترك ملكه العجم * والسرى لها خدم * من عذاب الجحيم نجى * وجنيد سقى بها * صار مغرما بحبها * ياهنا من يلذبها * من عذاب الجحيم نجى * ومعروف بها عرف * وحلاج بها وصف * وشبلى بها تحف * من عذاب الجحيم نجى * وبايزيد هام بها * لما غرم بحبها * ياسعد من يلذبها * من عذاب الجحيم نجى * بشر بها تقدما * وصار منها مغرما * ولم يزل متيما * من عذاب الجحيم نجى * قلتى قد روقت * وفى الدنان عتقت * كم أسير عتقت * من عذاب الجحيم نجى * قلتى فاض ماؤها * ياهنا من ينالها * كم ولى نالها * من عذاب الجحيم نجى * قلتى قد تزخرفت * و بالنور تشرفت * كم علينا تعطفت * ياهنا من لها يجى * فكم لها من عاشق * وذائق وناشق * ومغرم وشائق * وطالب لها نجى * قليلتى تدحرجت * و بالبها تبهرجت * و بالنها تأرجت * بسرها المتوج * فكم نفوس نشقت * من سرها واستنشقت * وكم رجال عتقت * بحسنها المبتهج *

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ بدر الدين حسن المعروف بالقطورى وكان رجلا صالحا مباركا تقيا نقيا دينا خيرا عفيفا أمينا صاحب أوراد وأذكار مواظبا على ذلك لا يفتر ولا يلهو ولا يلغو وكان شديد الاعتقاد فى الاستاذ وأقام فى صحبته احدى عشرة سنة لا يصلى الصبح والعشاء الا عنده فى الزاوية وكان ساكنا ببولاق فانظر الى هذه الهمة العالية والمحبة الصادقة ومما اتفق له مع الاستاذ رضى الله عنه أنه كان يوما جالسا بحضرته فلما مد سيدى أبو العباس السماط للفقراء وقال بسم الله الرحمن الرحيم وكان ذلك اذنا منه للفقراء بالاكل فقال الاستاذ للشيخ حسن القطورى قم ياشيخ حسن كل مع الفقراء فقال له ياسيدى العبد صائم فقال له قم كل معهم وأنا أضمن لك ثواب صوم هذا اليوم فأمسك الشيخ حسن عن ذلك فقال له سيدى قم كل مع الفقراء وأنا أضمن لك ثواب صوم ثلاثة أيام فطمع الشيخ حسن فى كثرة الثواب فقال له كل وأنا أضمن لك ثواب صوم شهر فطمع فى كثرة ما كان فقال له قم كل مع الفقراء وأنا أضمن لك ثواب صوم رمضان وصوم هذا اليوم فأمسك الشيخ حسن عن ذلك فقال له الاستاذ قم كل مع الفقراء وأنا أضمن لك ثواب صيام سنة فعند ذلك قام وأكل

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح الزاهد العابد المحقق العارف بالله تعالى المعروف بالشيخ مدين الذى كان تلميذ سيدى أحمد الزاهد قال جاء الى الاستاذ وصحبه وأقام

(٢) هكذا وجد بالاصول التى بيدنا

عنده مدة فى زاويته مختليا فى خلوة ثم انه طلب من الاستاذ اذنا بالسفر الى زيارة الصالحين بالشام وغيره فاعطاه سيدى اذنا بذلك فأقام مدة طويلة سائحا فى الارض لزيارة الصالحين ثم رجع الى مصر فأقام بها واشتهر بين أهلها وشاع أمره وانتشر ذكره وقصده الناس وأخذوا منه العهود وكثرت أصحابه ومريدوه فلما بلغ سيدى أبا العباس نقيب الاستاذ الكبير أمره وحاله قال لا اله الا الله هذا مدين ظهر بعد هذه المدة الطويلة والله لقد أقام عند الاستاذ فى هذه الزاوية فى الخلوة نحو الاربعين يوما حتى كمل ثم انه أخذ من سيدى اذنا بسفره الى زيارة الصالحين والآن قد ظهر رضى الله عنه ونفع به المسلمين وكان ذلك بعد وفاة الاستاذ رحمه الله ونفع به وقال بعض الفقراء ان رضاع سيدى الشيخ مدين كان على يد سيدى أحمد الزاهد وفطامه على يد سيدى محمد الحنفى رضى الله عنهم أجمعين

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح على الموازينى وكان يجلس بين القصرين لعمل الموازين ويغطى حاله على الناس وكان الناس يقصدونه للزيارة وللتبرك به ويأخذون خاطره ويرغبون فى دعائه ويلتمسون بركته ويغتنمون دعوته وكان رضى الله عنه لا يعلم له أحد بيتا ولا مأوى وكان بالنهار فى دكانه وبالليل فى عبادة ربه اما فى بعض المساجد المهجورة أو فى بعض ترب المدينة فى القرافة أو فى بعض الجوامع التى لا يعرفه بها أحد كل هذا فرارا عن الناس واشتغالا بالله تعالى وكان فى دكانه لا يغفل عن ذكر الله تعالى وكان يذهب الى المسجد اذا قرب وقت الصلاة وكان لا يؤذن المؤذن الا وهو فى المسجد وكان مواظبا على حضور ميعاد الاستاذ رضى الله عنه

وكان من أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ عبد الوهاب العلاف الذى ما كان لسانه يفتر عن ذكر الله تعالى رأيته وهو رجل يتعمم بطليحية وهو أسمر اللون بلغنى ان له أربعين سنة فى صحبة الاستاذ يحضر مجلسه ويجلس فى الحلقة التى تعقد حول الاستاذ يوم الميعاد وذكر عنه انه تأخر يوما من بعض الايام قليلا حتى فاتته الحلقة فجاء بعد ذلك وجلس خلفها ومد ذراعه بين اثنين من الحلقة حتى فرغ الاستاذ من الميعاد فسأله سيدى عن ذلك فقال له سمعت من سيدى يقول فى بعض مواعيده ان الرحمة أول ما تنزل على حلقة الذكر ثم تنتشر على الجماعة فأحببت أن تصيب الرحمة عضوا من أعضائى فمددت ذراعى فى الحلقة بسبب ذلك لعل أن يصيبه شئ من رحمة الله تعالى وكان الشيخ عبد الوهاب لا ينقطع لسانه عن ذكر الله من حين يظهر الاستاذ من الخلوة للميعاد الى أن ينفض المجلس رحمه الله تعالى وعفا عنه

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ على السدار وكان له دكان بين القصرين يبيع فيه السدر يوم السبت لا غير وكان يفتح من الدكان درابة واحدة ويجلس داخل الدكان فتنسامع الناس به ويقصدونه من البعد وقد كان أطلعه الله على خواطر الناس فكان من قصده فى أمر وطلب أن يعلم عاقبته يقف على باب الدكان فيقول يا سيدى على فيجاوبه

ويقول له نعم فيدفع اليه بعض فلوسات ويقول له أطلب منك قليل سدر فيعطيه ويقول له على مافى خاطره افعل أولا تفعل وكان السلطان يأتى اليه ويقول له ياسيدى على فيقول له نعم ياقايتباى ويدعو له ويقول له عليك بالاحسان للرعية فجاءه حين أراد الخروج الى أطراف الشام فى تلك السفرة البعيدة على أيام يشبك الدويدار فأخبره أنه يريد السفر الى تلك البلاد البعيدة وقال له انى خائف فقال له لاتخف تسافر وتجئ فى خير ان شاء الله تعالى فكان الامر كما قال وهذا أمر مشهور عنه رضى الله عنه ونفع به

واعلم انا لو اجتهدنا غاية الاجتهاد وفحصنا غاية الفحص على أن نستوعب جميع أصحاب الاستاذ ما استطعنا ذلك ولضاق هذا الكتاب عن ذكر بعض الاصحاب فضلا عن الكل ويكفى فى ذلك قول الاستاذ رضى الله عنه لسيدى طلحة المنشاوى وكان من أكابر أصحابه بل هو من خواصهم وأعيانهم لما قال للاستاذ فى مرض موته جزاكم الله ياسيدى عن المسلمين خيرا فانكم رتبتم للمسلمين أورادا وأحزابا وأذكارا فجزاكم عن المسلمين خيرا فقال له والله ياولدى ياطلحة لقد خرج من زاويتى هذه نحو أربعمائة ولى كلهم على قدمى هذا يعنى على طريقته ثم قال وأكثر أصحابنا باليمن والغرب وأما أهل الكهوف والمغارات والجبال فلا يعلم عددهم الا الله تعالى هكذا أخبرنى الشيخ الصالح جمال الدين عبد الله ولد سيدى الشيخ طلحة وقال لى هكذا أخبرنى الوالد عن الاستاذ الحنفى رضى الله عنه ونفع به وببركاته آمين فدل ذلك على أن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه لا يحصى عددهم الا الله تعالى كما قال

ومن مكارم أخلاق الاستاذ رضى الله عنه أنه كان يتفقد جميع أصحابه المحتاجين المستحقين المقيمين بالقاهرة فى كل سنة بما يكفيهم من المؤنة حتى يتفرغوا لعبادة الله تعالى ولا يحتاجون الى غيرهم

قلت وكان من جملة الاصحاب المستحقين الشيخ الكبير الامام العالم العلامة النحرير شمس الدين البساطى المالكى قاضى قضاة المالكية وقد تقدم فى هذا الكتاب المبارك أنه ما كان يقتات الا من صيد السمك وهو قاضى القضاة كان يتنكر ويخرج الى الصيد فى هيئة الصيادين رحمه الله ونفع به

ومن جملتهم أيضا القاضى علم الدين الاخنائى المالكى وكان موصوفا بالعلم والورع رأيته ذا هيئة عظيمة وكان خفيف العوارض طوالا عليه هيبة ووقار وكان يتردد الى الاستاذ كثيرا رحمه الله وعفا عنه

ومن جملتهم القاضى شهاب الدين المالكى الذى كان يجلس فى سويقة صفية وقد سبق ذكره فى أثناء هذا الكتاب وهو الذى كان يحسد الاستاذ ويتكلم فيه اذا مر عليه وهو راكب فى تلك الكبكبة العظيمة والخلائق الكثيرة والقاضى جالس على مصطبته وشهوده حوله وكان من أهل العلم الا أنه كان مشهورا بالخمول أى منسيا وكان فقيرا جدا

فقال فى نفسه يوما لابد ان أمضى يوما الى هذا الرجل واسأله بعض مسائل وأفتحه بها بين أصحابه فبلغ ذلك الاستاذ فقال ان قدر يسألنى عن شئ لم أجلس على سجادة الفقراء فلما حضر ذلك القاضى بين يدى الاستاذ الحنفى اضمحل عنه جميع ما كان معه من المسائل وتحير فى عقله فاوسعه الا أنه قام وكشف رأسه واستغفر فى حق الاستاذ واذعن له ولزم صحبته وصار من أصحابه الى أن انتقل الى رحمة الله تعالى فكان بعد ذلك الاستاذ يتفقده بما يكفيه من المؤنة وقد تقدم ذلك فى أثناء هذا الكتاب

(ومن) جملتهم الشيخ ناصر الدين المعروف بالغرز وكان من قصاد الاستاذ وكان من الحذاق المعروفين بالذكاء والفصاحة وسرعة الجواب وكثرة الصواب والمعرفة وكان من أهل التقوى بعيدا عن الخنا والفحشاء عفيفا فى دينه تقيا نقيا رحمه الله تعالى وعفا عنه

(ومن) جملتهم الشيخ تقى الدين عبد الرحمن المعروف بالسويفى وكان أيضا من قصاد الاستاذ وكان مقربا عنده وكان ذا لسان وحذق وصدق ومعرفة وفصاحة موفقا لبيبا حاذقا وكان هو الذى يكتب المراسلات لسلطان المغرب ولابن عثمان سلطان الروم وللنواب ببلاد الشام وكذا الى اليمن وغير ذلك وكان قد فتح الله عليه بكتابة التواقيع كل ذلك بامر الاستاذ وببركته حتى كان كثير من الموقعين يحسدونه على ذلك ويذعنون ويعترفون له بالمعرفة والحذق والصواب ويتأدبون معه رحمه الله وعفا عنه فكان الاستاذ يتفقده بالقمح والنفقة والكسوة بما يكفيه

(ومن) جملتهم الشيخ فتح الدين قارئ الحديث النبوى بين يدى الاستاذ وكان من أهل الفضل والمعرفة بالدين بعيدا عن الناس يحب العزلة والانفراد وكان طاعنا فى السن كثير التواضع لين الجانب مخفوض الجناح وكان الاستاذ يميل اليه بالمحبة وقابلت معه فى صحيح البخارى بين يدى الاستاذ رحمه الله

(ومن) جملتهم الشيخ شهاب الدين المعروف بالمسدى وكان امام الزاوية وخطيبها وله نظر على الكتب الموقوفة على المجاورين وكان تربى على يد الاستاذ من الصغر حتى صار رجلا كبيرا معتبرا بين أصحاب الاستاذ وكان سيدى يتفقده من القمح بما يكفيه من العام الى العام الآخر وقد تقدم فى أثناء هذا الكتاب أن الاستاذ أرسل خلفه فى وقت خروج الحاج من مصر وقال له يا شهاب الدين جهز حالك وسافر مع الحاج ولا تخرج من مكة فان ترابك فيها فأسرع وخرج من بين يدى الاستاذ وجهز حاله وسافر صحبة الحج وأقام بمكة أكثر من عشرين سنة ومات فيها رحمه الله وعفا عنه

ومما سمعته من لفظ سيدى الشيخ العلامة شمس الدين بن كتيلة رحمه الله ونفع به قال زرت سيدى مرة فأقمت عنده مدة فلما أردت العودة الى المحلة الكبرى استأذنت سيدى فى السفر فأذن لى فى ذلك وقال لغلامه شد له فرسا من الاصطبل يركبها الى البحر ففعل الغلام

ما أمر به الاستاذ ثم اني ركبت الفرس وقصدت الى البحر وكان معي بعض الاصحاب فمررنا ببعض الشوارع فرأيت رجلا عليه خليقات دنسة وهو في زي الحرافيش جالسا في الشمس وهو يفلي قميصه من القمل فلما قربت منه ازدريته في نظري وقلت له السلام عليكم قال فرفع رأسه وقال وعليكم السلام وأعرض بوجهه عني وأطرق برأسه على الارض كأنه عرف حالي قال فلما جاوزته أخذت في خاطري منه فلما نزلت الى المركب وسافرنا ووصلنا الى سمنود طلعت الى المشهد فجلست فيه ومعي أصحابي وكانت عادتي أني اذا دخلت الى سمنود أن أرسل شخصا من أصحابي الى المحلة يأتيني بفرس من بعض الاصحاب أركبها الى المحلة فأرسلت بعض الاصحاب لعله يأتيني بشئ من الدواب أركبه فغاب عني الى آخر النهار فلما حضر قلت له ما الذي أبطأك فقال والله ياسيدي اجتمعت باصحاب سيدي وطلبت منهم فرسا أو بغلة أو حمارا يركبه سيدي فما أعطاني أحد منهم جوابا ولا كأنهم عرفوا سيدي أبدا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم اني أرسلت الى بعض المكاريه من سمنود فحضر فأكريت منه بغلة وحمارين الى المحلة فلما دخلت الى المحلة جلست في الجامع بعد ان صليت ركعتين تحية المسجد وأقمت فيه نهاري كله فلم يعبأ بي أحد من أصحابي ولا جاءني أحد منهم للسلام علي فلما كان اليوم الثاني جرى كذلك وكذلك اليوم الثالث فرجعت الى نفسي وتفكرت في حالي فألهمتني القدرة أن هذا كله بسبب احتقاري لذلك الفقير فقمت في الوقت وأخذت ورقة ودواة وكتبت رسالة الى سيدي الكبير وحكيت له فيها ما جرى لي مع ذلك الفقير ودفعتها الى بعض المحبين وقلت له اذا وصلت الى زاوية سيدي فأعط الرسالة لسيدي أبي العباس خادم سيدي وهو يقرأها على سيدي فلما وصل القاصد الى سيدي أبي العباس دخل بالورقة الى سيدي وقرأها عليه فقال له اقبلها واكتب على ظهرها بعد السلام عليه يا محمد يا كتيلة دع الخلق تحت ستر الله وانظر الى جميع الناس بعين الشفقة والرأفة وعدم الانكار ولا تظن بالمسلمين الا خيرا ولا تحتقر أحدا من الفقراء والمساكين واعتقد في نفسك أنك شر الناس واحمد الله الذي رد عليك حالك الاول والسلام عليك ورحمة الله وبركاته قال فلما وصل الى الجواب وقرأته تبت الى الله مما وقع مني وصممت على العمل بما قاله سيدي فلما عملت بقوله كأنني ما جئت من القاهرة الا في تلك الساعة فلم يبق أحد من أصحابي الا جاءني في تلك الساعة للسلام علي فرحم الله سيدي ونفع به آمين ومما سمعت منه أيضا رحمه الله انه قال كنت عند سيدي رضي الله عنه بسبب الزيارة فلما طلبت السفر الى المحلة ودعت سيدي فقال لي يا محمد لا تبت هذه الليلة الا في المركب فقلت سمعا وطاعة ولم أدر ما أراد سيدي بذلك فلما وصلت الى بولاق لقيني رجل من المحبين فعزم علي وذهب بي الى منزله وكان قد عمل سمكا في طواجن فقدم الى طاجنا فلما أكلت منه وقعت عظمة في حلقي فسعلت على أنها تخرج فلم تخرج فعالجت نفسي في خروجها فلم أقدر على

خروجها وعجزت عن ذلك فحمل ذلك الرجل هما بسببي وحملت أناهم نفسي ثم أمرت صاحب المنزل أن يعينني على الوصول الى المركب قال فأخذ بيدي وأعانني هو وبعض أصحابي حتى وصلت ثم ودعني ذلك الرجل ورجع الى بيته فلما سافرنا ووصلنا تجاه سنباط قلت لهم اطلعوا بي ههنا ففعلوا ذلك فلما دخلت الى سنباط أكريت لي ولاصحابي ما نركبه الى طندتا فلما وصلنا اليها قصدت ضريح سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه فلما دخلت اليه جلست عند رأس الضريح وشكوت اليه ما نزل بي وقلت له ياسيدي أحمد هذه الحملة عليك فلا تخيبني ياولي الله ثم قرأت سورة يس فبينما أنا أقرأها اذ حصل لي عطاس فعطست عطسة شديدة بانزعاج فخرجت تلك العظمة من حلقي ممزوجة بالدم فسقطت من بين يدي فلما رأيت ذلك استبشرت وحمدت الله على ذلك فلما فرغنا من قراءة سورة يس ودعت سيدي أحمد وخرجت من عنده وأنا أبكي من شدة فرحي كما قال بعض الناس

هيج السرور على حتى انني * من عظم ما قد سرني أبكاني

وقد سمعت من غيره يقول ان سيدي أرسل يقول له يا محمد ادع لسيدي أحمد البدوي والله أعلم

ومما سمعته ان كثيرا من الاصحاب ممن لا يعد ولا يحصى عددهم كانوا في مؤنة الاستاذ وكان يتفقدهم أيضا في الاعياد والمواسم ولا يقطع عنهم افتقاده وكان فعله مع أصحابه وافتقاده لهم سرا لا يطلع عليه الا الله تعالى فرحم الله الاستاذ ما كان أكثر شفقته على أصحابه

(وأما ما كان) من أمر الاصحاب والاعيان من أبناء الدنيا والدين فكان الاستاذ رضي الله عنه يتفقدهم بالهدايا والتحف التي تأتي اليه من بلاد الغرب والروم واليمن ومن عند نواب الشام حتى كان يهدي من ذلك الى السلطان فيفرح السلطان بذلك وينظر الى شئ ما رأى مثله في مصر وقد تقدم في أثناء هذا الكتاب نظير ذلك فراجعه ولو بسطنا الكلام في أحوال الاستاذ من مكارم أخلاقه وما كان يفعله من الاحسان والبر والمعروف والافتقاد لاصحابه لضاق هذا الكتاب عن ذلك وخرجنا عن المقصود فافهم ذلك

وحكى لي الشيخ شمس الدين بن كتيلة قال حكى لي سيدي الاستاذ الكبير سيدنا وشيخنا وقدوتنا ومؤدبنا شيخ مشايخ العارفين ومربي المريدين ودليل السالكين والداعي الى رب العالمين سيدي شمس الدين الحنفي عامله الله بلطفه الخفي وجميع المسلمين فقال بلغني عن سيدي محمد بن هارون الذي كان بسنهور بلدة بالغربية أنه سلب حاله من الولاية على يد رجل كان صبي قراد ورد الله عليه حاله ومقامه على يد من سلبه قال فتعجبت من ذلك وقلت له ياسيدي ما كان سبب هذا كله فقال سبب هذا أن سيدي محمد بن هارون كان قد أعطاه الله تعالى من الكرامات وخرق العادات شيئا كثيرا وعمر الله ظاهره وباطنه بالولاية حتى اذعنت له العلماء وأرباب المناصب من الامراء والوزراء والملوك وقد ألقى الله تعالى عليه

هيبة الولاية حتى انه كان اذا مر بمن لا يعرفه يقوم اليه ويمشى معه فى خدمته فاتفق أنه صلى يوما صلاة الجمعة فى جامع سنهور فلما قضيت الصلاة وخرج قاصدا الى منزله خرج معه كل من صلى الجمعة الا القليل يمشون بين يديه ويشيعونه الى منزله وكان ذلك عادتهم معه فاذا وصل الى بيته قبلوا يديه ورجعوا عنه وذلك من كثرة اعتقادهم فيه ومحبتهم له فبينما هو ذاهب الى منزله فى ذلك اليوم والناس يمشون معه اذ مر بفقير عليه خلقان رثة فى هيئة جعيدى قاعد فى الشمس يفلى مرقعته فى الشمس فلما مر عليه سيدى محمد بن هارون لم يلتفت اليه ولم يقم له فتحركت نفس الشيخ على ذلك الفقير وقالت له تكون محمد بن هارون ولم يقم اليك هذا الفقير قال فما شعر سيدى محمد بن هارون الا وقد تفرق الناس عنه كانهم لم يعرفوه فلم يصل الى منزله ومعه أحد من الناس فلما دخل الى منزله لم تقم له زوجته ولا جاريته ولا أحد من أهل بيته فدخل الى موضعه الذى يجلس فيه فأقام فيه ساعة طويلة وهو متحير متفكر فى أمره فحدثته نفسه أن ما وقع له بسبب احتقاره لذلك الفقير فلما خطر له ذلك الخاطر نهض مسرعا وخرج الى ذلك الفقير فلم يجده فى مكانه فطاف المساجد التى ببلده فلم يجده فيها فرجع الى منزله وشد وسطه وأخذ معه بعض كسيرات وأخذ عكازه فى يده وخرج قاصدا نحو المحلة الكبرى لعله أن يجده فيها فلم يجده فلم يزل سائرا من بلد الى بلد حتى دخل الى القاهرة المحروسة فلما طلع اليها قصد نحو الجنينة وباب اللوق فاستقرأ الحلقات التى تجتمع فيها الحرافيش والفقراء فلم يجده فيها فلاحت له من بعيد حلقة كبيرة وفيها جمع كبير فقصدها فلما وقف عليها رأى فيها قردا ومعه قرد يرقصه والناس يضحكون ووجد غريمه صبى القرد والقرد الكبير يصفعه فى قفاه فيضحك عليه الناس فلما وقع نظر سيدى محمد بن هارون عليه اطمأن قلبه وقال الحمد لله رب العالمين ثم ان سيدى محمد بن هارون تأخر ووقف خلف رجلين وكان صبى القرد لحه بنظره وتغافل عنه فلما انقضت الحلقة وانصرف الناس قال القرد لصبيه خذ هذا القرد واذهب به الى المخزن حتى أذهب الى السوق واشترى لنا عيشا نتعشى به فأخذ القرد معه ومضى قاصدا الى المخزن فتبعه سيدى محمد بن هارون من بعيد فلما قرب منه سمعه يقول محمد بن هارون محمد بن هارون ولو كنت محمد بن هارون ماذا يكون وصار يكرر ذلك القول قال فمشى اليه سيدى محمد بن هارون فلما قرب منه انقض على رجليه يقبلهما وهو مكشوف الرأس باكيا ويقول ياسيدى أنا أستغفر الله وأتوب اليه مثلى من يخطئ ومثلك من يصفح ويعفو ياسيدى العفو ارحمنى يرحمك الله تعطف على بنظرة منك فوالله لا أعود الى ما صدر منى أبدا كل هذا والشيخ واقف وحبل القرد بيده وهو ساكت وسيدى محمد بن هارون يمرغ لحيته البيضاء على رجلى ذلك الرجل وهو صبى القراد فلما علم أن سيدى محمد بن هارون أنصف من نفسه مد يده اليه وأخذه بيده وأقامه بين يديه وقال له قد قبلناك لا تخف لا بأس عليك ارجع الى بلدك فقد رددنا

ماسلبناه منك و زيادة ولاتعلم بنا أحدا واسترنا بين الناس فقال له الشيخ السمع والطاعة ورجع الشيخ عنه فرحا مسرورا فلما وصل الى سنهور وجد أهل البلد قد خرجوا جميعا لملاقاته فسلموا عليه ووقفوا بين يديه يذكرون الله تعالى فرفعوا أصواتهم بذكر الله تعالى فعلم حينئذ أن الله تعالى قد رد عليه حاله وما كان معه وزيادة ومازال سيدى محمد بن هارون على ولايته الى أن مات رضى الله عنه ونفع به آمين قال ثم قال لى سيدى اسمع ياولدى اياك أن تحقر فقيرا أو ترى لنفسك تميزا على غيرك فتسقط من عين الله تعالى اللهم لاتسلبنا صالح ماأعطيتنا وأدم ما أنعمت واحفظ ما استحفظت ويسر ما عسرت ولاتهتك ماسترت انك كريم غفار حليم ستار برحمتك ياأرحم الراحمين

(قلت) وأخبرنى الشيخ الصالح الورع الزاهد العالم العلامة المحقق سيدى شمس الدين ابن كتيلة رضى الله عنه ونفعنا به آمين قال كنت جالسا بين يدى الاستاذ فخطر ببالى ان أسأله عن القطب فقلت له ياسيدى مامعنى القطب فقال ان الاقطاب كثيرون فان مقدام كل قوم فهو قطبهم وأما القطب الغوث الفرد الجامع فهو واحد

(وتفسير) ذلك ان النقباء هم ثلاثة مائة وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس ولهم عشرة أعمال أربعة ظاهرة وستة باطنة فاما الظاهرة فكثرة العبادة والتحقق بالزهادة والتجرد عن الارادة وفوة المجاهدة وأما الباطنة فهى التوبة والانابة والمحاسبة والتفكر والاعتصام والرياضة فهؤلاء الثلثمائة لهم امام منهم يأخذون عنه ويقتدون به فهو قطبهم (وأما) النجباء فأربعون وقيل سبعون وهم مشتغلون بحمل أثقال الخلق فلايتصرفون الا فى حق الغير ولهم ثمانية أعمال أربعة ظاهرة وأربعة باطنة (فأما) الظاهرة فالفتوة والتواضع والادب وكثرة العبادة (وأما) الباطنة فالصبر والرضا والشكر والحياء وهم أهل مكارم الاخلاق (وأما الابدال) فهم سبعة رجال أهل فضل وكمال واستقامة واعتدال قد تخلصوا من الوهم والخيال ولهم أربعة أعمال باطنة وأربعة ظاهرة (فأما الاربعة الظاهرة) فالصمت والسهر والجوع والعزلة ولكل من هؤلاء الاربعة ظاهر وباطن فأما الصمت فظاهره ترك الكلام بغير ذكر الله تعالى وأما باطنه فصمت الضمير عن جميع التفاصيل والاختيار وأما السهر فظاهره عدم النوم وباطنه عدم الغفلة وأما الجوع فعلى قسمين جوع الابرار لكمال السلوك وجوع المقربين لموائد الانس وأما العزلة فظاهرها ترك مخالطة الناس وباطنها ترك الانس بهم وللابدال أربعة أعمال باطنة وهى التجريد والتفريد والجمع والتوحيد ومن خواص الابدال أن من سافر من القوم من موضعه وترك جسدا على صورته فذلك هو البدل لاغير والبدل على قلب ابراهيم عليه السلام فهؤلاء الابدال لهم امام مقدم عليهم يأخذون عنه ويقتدون به وهو قطبهم لانه مقدامهم ويؤيد هذا القول ماأخرجه الطبرانى فى معجمه من قوله صلى الله عليه وسلم

لايزال

لايزال فى أمتى أربعون على قلب ابراهيم الخليل قال صاحب مجمع الاحباب وهو نص فى ثبوت الولاية الى يوم القيامة وقيل الابدال أربعون والسبعة هم الاخيار وكل منهم له امام منهم هو قطبهم ثم الاوتاد وهم عبارة عن أربعة رجال منازلهم منازل الاربعة أركان من العالم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا مقام كل واحد مقام تلك الجهة * ولهم ثمانية أعمال أربعة ظاهرة وأربعة باطنة فالظاهرة كثرة الصيام وقيام الليل والناس نيام وكثرة الايثار والاستغفار بالاسحار * فأما الباطنة فالتوكل والتفويض والثقة والتسليم ولهم واحد منهم هو قطبهم * وأما الامامان فهما شخصان أحدهما عن يمين القطب والآخر عن شماله فالذى عن يمينه ينظر فى الملكوت وهو أعلى من أصحابه والذى عن شماله ينظر فى الملك وصاحب اليمين هو الذى يخلف القطب * ولهما أربعة أعمال ظاهرة وباطنة * فاما الظاهرة فالزهد والورع والامر بالمعروف والنهى عن المنكر * وأما الباطنة فالصدق والاخلاص والحياء والمراقبة * والغوث عبارة عن رجل عظيم وسيد كريم يحتاج اليه الناس عند الاضطرار فى تبيين ما يخفى من العلوم المبهمة من الاسرار ويطلب منه الدعاء لانه مستجاب الدعاء لو أقسم على الله لابر قسمه مثل أويس القرنى فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولا يكون القطب قطبا حتى يجتمع فيه هذه الصفات التى اجتمعت فى هؤلاء الجماعة المتقدم ذكرهم قلت وقد تقدم فى أثناء هذا الكتاب المبارك أن الاستاذ كان اذا صلى صلى عن يمينه اثنان روحانيان وعن يساره أثنان جسمانيان وقد تقدم أيضا ان الاستاذ عزم عليه بعض الناس أن يكون عنده فى هذه الليلة فى منزله وقال آخرا والله لايكون الا عندى فى منزلى فقال لهما ان شاء الله تعالى ما يحصل الا خير فلما أصبحنا وصلينا صلاة الصبح مع الاستاذ وانصرف الناس تخلفا فى المجلس فقال أحدهما للاستاذ والله ياسيدى هذه الليلة كانت مباركة فقال الآخر والله ياسيدى ما فارقتنى هذه الليلة وزوجة الاستاذ تسمع كلامهما من داخل الخلوة فقال لهما الاستاذ أكتما أمركما ولا تخبرا أحدا فقالا سمعا وطاعة ياسيدى فلما دخل الاستاذ الى الخلوة قالت له زوجته أم سيدى أبى الخير ما سمعت من الرجلين ثم قالت أنت والله ياسيدى ما فارقتنى الليلة حتى خرجت الى صلاة الصبح فقال لها اكتمى ما سمعت خيرا لك ولا تخبرى أحدا حتى انتقل * قال فلم تخبر بذلك حتى انتقل الى رحمة الله تعالى * قلت وما ذكرناه فى هذا الكتاب من أحوال الاستاذ ومناقبه ومكارم أخلاقه وفضائله كل ذلك يدل على ان الاستاذ قد اجتمعت فيه جميع خصال الرجال المذكورين لا يرد ذلك راد ولا ينكره منكر * ومما يدل على ذلك أيضا ما أجراه الله سبحانه وتعالى على لسانه من تنزلاته وذلك مذكور فى ديوانه المعروف بالانشاء فمن ذلك قوله

كان لى قلب به أرقى العلى * فرأى الحق تجلى فاضمحل

طالبا لله يبغى قربه * فتدانى منه قربا واتصل
ثم وافى حضرة هى لم تزل * تهب الارواح أسرار الازل
قرع الابواب لما أن دنا * قيل من أنت ومن ذا بالحلل
قال عبدها ثم فيكم بكم * قيل أهلا مرحبا نلت الامل
فتحوا باب المعالى منة * ثم نادوه وقالوا حيهل
دخل الابواب ركضا أدبا * خالعا نعليه تشريف المحل
خر فى الحضرة يبكى ساجدا * شاكيا يشكو مقامات العمل
جاءه من حيث لا أين الندا * لا تخف غيرا ولا تخشى زلل
قد وهبنا من أتانا قاصدا * كل ذنب ما تشأمنا فسل
يا عبيد الله لله اثنى * عن رسوم وعهود وطلل

(وقوله أيضا)

سرى الوادى وطورى قبسى * وكليم الشوق منى نفسى
فادخل الحان ترانى طائفا * بدنان الحان عار مكتسى
وحبيبى قد تجلى حسنه * وهو فى خلوة سرى مؤنسى
أيها الحلاج غب عن حضرتى * ان ذكر الكأس ذكرى قدنسى
أنا لا أشرب الا خمرة * طهرت عن مسها بالملمس
أنا لا أسمع الا من شذا * هب من حضرة روح القدس
خطف البارق منها أعينا * كم سبت كم سلبت من أنفس

(وقال أيضا)

سر تردد فى روحى وجثمانى * أخفى من الوهم فى ادراك ذى شان
لو يعلم الخلق منه ذرة لغدوا * منه حيارى هيامى شبه غيلان
لا يهتدون الى أهل ولا وطن * ولا يرون سوى علم ببرهان
ولو على جبل القى تفتت من * مبدا لوامعه دكا بهدمان
ولو على الماء مرت منه بارقة * لعاد أجد من طور ولبنان
ولو بدت لمحة للنار منه همت * كالماء من مزنة يهمى كغدران
ماذا أقول وأهل الحق تشهد لى * أن ليس يدركه عقل بحسبان
حارت عقول الورى فى سر حكمته * فلا يرى من يرى فى الكون من ثانى
هذا حديث غريب ليس يفهمه * الا فتى واله بالله ربانى
خال عن الكل مشغول به أبدا * يرقى لمولاه من شان الى شان

(وقال أيضا)

دقف الفهم ترانى * فى مقاصير الجنانى
اجتلى بين الغوانى * سر اسرار المعانى
ليس لى شغل سوى أن * أشهد السر عيان
لا ولا ذكرى سوى من * فى هواه قد سبانى
علدنى فى هواه * بهواه علدنى
واطرحانى فى حماه * فى حماه فاطرحانى
فافهم السر حبيبى * تبقى فى روح التدانى
سره أهدى لسرى * مذ تحققت أمانى
أنت سرا لكون حقا * أنت روح للزمان
أنت سر الله تجلى * فيك أوصاف المعانى
أنت فى العالم فرد * ان تكن فى الحب فانى
أنت سر السر حقا * فيك مجموع المبانى
أنت ان تسمع لقولى * أو ترى لى أو ترانى
تشهد السر جهارا * فيك يجلى للعيان
سيدى ما زال يرعى * كل من فيه أتانى
وكما أظهر سعدى * فكذا فيه هدانى
لا يرى حالى سوى من * شأنه يشبه شانى
لا ولا يفهم قصدى * من يرى فى الكون ثانى

(وقوله أيضا)

سر تبدى لعين قلبى * يشهده العارف اللبيب
اذا بدا لى على لسانى * ترى شمس الهوى تغيب
خذ حبيبى من سر قلبى * ان كنت مثلى به طروب
فان قلبى بيت لربى * تطوف من حوله القلوب
مشاهد الحق أدبتنى * وانما يشهد القريب
أشهد فى ذاته كفاحا * فلم أرى شمسها تغيب

(وقوله أيضا)

نحن أسرار الوجود * لا نرى الا شهود
قد تجلى سرنا * باسمه الحى الودود
وأرانا أمرنا * بموائيق العهود
فى سجاف العز لم * نخش يوما من حسود

لا أرانا الله من * كان لله جحود
غاب عنا كل من * فى الورى لله كنود
حسبنا الله وكفى * من مقال أهل الصدود
سعد أصحاب الولا * فى نعيم وسعود
بحبيب ووفى * وجنان وخلود
ورياض ورضاء * وحضور وشهود

(وقال أيضا)

حدثت عنا المعالى بعبر * ضوؤها فى السر شمس وقمر
لو تجلت فى دياجى غيهب * أسفرت صبحا علينا وظهر
ياهنا من قد تولى أمرنا * ياهنا بالحب من معنا حضر
سرنا جهر ومغنانا غنى * وسوانا واقف عند الاثر
وحديث عن حمانا حسن * فيه معنى للمعنى قد بهر
عن لبانات النقا عن عالج * عن قديم العهد عن عين الخبر
ان من أنعشه نور الولا * لم يزل فى كل كون معتبر
ياسماء الحق ياشمس الهدى * حيهل هذا الزمان المنتظر
حيهل لله تسمع وترى * من يكن لله لا يخشى الغير
وادخل الحان ترى أهل النهى * فيه سكرى قد سقاهم بسحر
من سلاف صاح ما أطيبه * قد صفا عن كل هم وكدر

(وقال أيضا)

قل لارباب العمل * نحن أسرار الازل
كشف الله حجبكم * لترواهذا المحل
وأراكم وجهه * وحماكم غيره
وكساكم نوره * فالبسوا هذى الحلل
ذا نعيم قدسى * فى مقام أنفسى
لزكى الانفس * مع قديم لم يزل

(وقال أيضا)

سرت نسمة منكم الى فأنعشت * بكلكموكلى وكل فؤاديا
وهمت بكم اذ ماهمت بودادكم * بروق نمت من كل معنى أتانيا
اذا ماهدى ليل أحن لنحوكم * واهجر نومى كى يراكم خياليا
واهجس فى ليلى لعلى أراكم * ويحيى بكم طول الزمان موالياً

وأدعو لكم منكم اليكم متيما * ليحظى بكم منكم بنيل المعاليا
اذا ماظهرتم لى ولاح جمالكم * لقلبى أهدى للانام جماليا

(وقال أيضا)

يا أيها المريد * ان كنت لى تريد
فاخرج عن الدنا * وادخل مع العبيد
عبيدنا ملوك * فى أشرف السلوك
والملك والملوك * كل لنا عبيد
من جا لبابنا * قاصدا جنابنا
فانه بنا * ينال ما يريد
الوقت قد صفا * ما عندنا جفا
فمن بنا اكتفى * فعندنا المزيد

ومن أراد الزيادة على ماذكرناه من كلام سيدى فعليه بديوانه فان فيه ماتقر به العيون وتنشرح به الصدور ويرتوى به الظمآن قلت وهذا آخر الذى أودعناه فى هذا الكتاب على سبيل الاختصار والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وأتباعه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

(السلطان الحنفى)

هو سيدى شمس الدين محمد بن حسن بن على التيمى البكرى قطب الغوث تولى القطبانية بعد سيدى على وفاء وأخذ طريق القوم عن الشيخ ناصر الدين بن الميلق عن جده الشيخ شهاب الدين بن الميلق عن سيدى ياقوت العرش عن سيدى أحمد أبى العباس المرسى عن سيدى على أبى الحسن الشاذلى ولد فى سنة خمس وسبعين وسبعمائة وتوفى فى ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وثمانمائة رضى الله تعالى عنه ونفعنا وجميع المسلمين باسراره

آمين

تم

قد تم طبع كتاب مناقب السلطان المذكور تأليف سيدى على البتنونى ويليه حزب النور والاذكار وحزب الدوار تأليف السلطان المذكور ودعاء يقال عند زيارة الصالحين

(هذا حزب النور والاذكار للسلطان الحنفى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين * وبعد فهذا حزب النور للشيخ الامام * والفضل الهمام * العالم العلامة * والحبر البحر الفهامة * أبو الاخلاص محمد بن حسن بن على البكرى * التيمى الشاذلى * الحنفى * تغمده الله تعالى برحمته * وأسكنه فسيح جنته * وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته * يقرأ بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء على حسب ما كان يقرأه المؤلف المشار اليه رحمه الله تعالى كما دل على ذلك شرح الحزب المبارك رحم الله مؤلفه ورضى عنه آمين وهذا الحزب المبارك

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * اياك نعبد واياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم) الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون * والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم * الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم * لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير * آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير * لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين * الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام * ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام * قل اللهم مالك

الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير * تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب * لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون * هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم * لا اله الا هو الحليم العظيم * لا اله الا هو رب العرش العظيم * لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم لا اله الا الله الحليم العظيم سبحانه تبارك رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ثلاثا الله الله ربى لا أشرك به شيئا أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحى ياقيوم لا اله الا أنت برحمتك نستغيث سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار * اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله برحمتك يا أرحم الراحمين ثلاثا * اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فىّ حكمك عدل فىّ قضاؤك أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته فى كتابك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثا بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاثا بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله * اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر * اللهم انا أصبحنا (٢) نشهدك ونشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك * اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله الا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك أربعا * اللهم انا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه ثلاثا * اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك * اللهم انا نسألك

(٢) واذا كنت فى المساء تقول * اللهم ما أمسى بى من نعمة وأمسينا نشهدك الخ الصبح المذكورة

العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة لا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يا نور كل شئ وهداه أنت الذى فلق الظلمات نورك ثلاثا أسألك بحق أحديتك ووحدانيتك أن تخرج لى حرزا منيعا وحمى عزيزا وحصنا حصينا تحفظ به نفسى ودينى وأهلى ومالى وولدى ودنياى وآخرتى وجميع من تلحقه عنايتى وجميع نعم الله عندى وحققنى بحقائق الزهد حتى لا أشتغل بغيرك * اللهم فهمنى بك عنك واجبنى بك عمن سواك * اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى واعصمنى من كل هلكة وأدخلنى فى زمرة أحبابك الذين اصطفيتهم وهديتهم الى صراطك المستقيم وأشهدنى كل شئ من عندك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت واملأ قلبى بمحبتك حتى لا أجد فيه متسعا لغيرك يا ذا الفضل العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين الحمد لله رب العالمين ٣ آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم) قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد احدى عشرة مرة أستغفر الله لذنبى سبحان الله وبحمده ربى احدى عشرة مرة * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد احدى عشرة مرة *(بسم الله الرحمن الرحيم)* الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم أربع مرات * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد احدى عشرة مرة أستغفر الله احدى عشرة مرة لا اله الا الله محمد رسول الله احدى عشرة مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر احدى عشرة مرة اللهم صل وسلم على سيدنا محمد احدى عشرة مرة * الله الله احدى عشرة مرة * الله فرد احدى عشرة مرة * لا اله الا الله محمد رسول الله ثلاثا * عليها نحيا وعليها نموت وعليها وبها نبعث ان شاء الله من الآمنين الفرحين المستبشرين برحمة الله وكرمه * اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما ذكرك الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون (٣) ثلاثا الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول الله الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله الصلاة والسلام عليك يا خليل الله الصلاة والسلام عليك يا كليم الله الصلاة والسلام عليك صلى الله عليك ورضى الله عن ضجيعيك أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ٣ آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم) قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثلاثا

(بسم الله الرحمن الرحيم) قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب

الدنيا والآخرة ثم تقول الصلاة والسلام الخ ومن

ومن يتوكل على الله فهو حسبه ٣ ثم بعد قولك الحمد لله رب العالمين تدعو الله سبحانه بما أحببت من أمور

ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد

(بسم الله الرحمن الرحيم) قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * اياك نعبد واياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وتب علينا انك أنت التواب الرحيم واغفر لنا وارحمنا انك أنت الغفور الرحيم * واختم لنا منك بخير أجمعين اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وهذا الحزب الكبير الذى يقال له حزب الدوار يقال من قبيل الفجر الى استحقاق صلاة الصبح على حسب ما كان يقرأه المؤلف رحمه الله تعالى ونفعنا به وهو هذا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد مائة مرة يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين مائة مرة لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين مائة مرة الله الله ربى لا أشرك به شيئا مائة مرة اللهم اكفنا شر من كفانيه بيدك وادفع عنا كلا بفضلك مائة مرة اللهم أجرنا من الخزى والفضيحة فى الدنيا والآخرة مائة مرة ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار مائة مرة يا ذا الجلال والاكرام يا حى يا قيوم لا اله الا أنت برحمتك نستغيث مائة مرة اللهم غسلنى من خطاياى بالثلج والماء البارد مائة مرة اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الابيض من الدنس مائة مرة اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب مائة مرة حسبى الله لدينى حسبى الله لما أهمنى حسبى الله ونعم الوكيل مائة مرة أستغفر الله لذنبى وسبحان الله والحمد لله مائة مرة يا حى يا قيوم أحى قلبى مائة مرة يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله مائة مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين مائة مرة أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأسأل التوبة مائة مرة اللهم صل على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون مائة مرة اللهم صل وسلم على سيدنا محمد مائة مرة لا حول ولا قوة الا بالله مائة مرة أستغفر الله مائة مرة سبحان الله عدد خلقه ثلاثا سبحان الله زنة عرشه ثلاثا سبحان الله رضا نفسه ثلاثا سبحان الله مداد كلماته ثلاثا الحمد لله عدد خلقه ثلاثا الحمد لله زنة عرشه ثلاثا الحمد لله رضا نفسه ثلاثا الحمد لله مداد كلماته ثلاثا لا اله

ثم بعد قولك الحمد لله رب العالمين تدعو الله عما تختار ثم تقول آمين ثم تقرأ العمدة

الا الله عدد خلقه ثلاثا لا اله الا الله زنة عرشه ثلاثا لا اله الا الله رضا نفسه ثلاثا لا اله الا الله مداد كلماته ثلاثا سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ثلاثا سبحان الله عدد ما خلق فى الارض ثلاثا سبحان الله عدد ما بين ذلك ثلاثا سبحان الله عدد ما هو خالق ثلاثا الحمد لله عدد ما خلق فى السماء ثلاثا الحمد لله عدد ما خلق فى الارض ثلاثا الحمد لله عدد ما خلق بين ذلك ثلاثا الحمد لله عدد ما هو خالق ثلاثا لا اله الا الله عدد ما خلق فى السماء ثلاثا لا اله الا الله عدد ما خلق فى الارض ثلاثا لا اله الا الله عدد ما خلق بين ذلك ثلاثا لا اله الا الله عدد ما هو خالق ثلاثا الله أكبر عدد ما خلق فى السماء ثلاثا الله أكبر عدد ما خلق فى الارض ثلاثا الله أكبر عدد ما خلق بين ذلك ثلاثا الله أكبر عدد ما هو خالق ثلاثا اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما خلقت فى السماء ثلاثا اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما خلقت فى الارض ثلاثا اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما خلقت بين ذلك ثلاثا اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما أنت خالق ثلاثا لا اله الا الله ثلاثا وثلاثين لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين آمين

(تمت هذه الاحزاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه)

(هذا دعاء مبارك يقال عند زيارة الصالحين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم يا من لا يعلم كيف هو الا هو ولا يعلم أحد قدرته الا هو يا عالم السر والخفاء ويا ذا الجود والوفاء أسألك بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المصطفى وبحق ساداتنا الشرفا وبحق أصحابه أهل الوفا وبحق وليك هذا سيدى فلان ان تقضى لى حاجتى يا ولى الله يا ولى الله يا ولى الله لا اله الا هو الحى القيوم تقرأ ثلاثا يا أهل النوبة ثلاثا العبد واقف فى حماكم قد نزل يا سادة لهم السيادة فى الازل انى أتيت اليكم مستصرخا يا من لهم كل الامل أنتم حماية الحمى يا غوث الورى فى نصرنا على عجل الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون آمين

ثم بعد قولك لا اله الا الله ثلاثا وثلاثين تدعو الله عما أحببت ثم تختم وتقول لا اله الا الله محمد رسول الله

كتاب المآثر النفيسة فى مناقب السيدة نفيسة
المتوفية بالقاهرة نفعنا الله تعالى ببركاتها آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم *(وبعد)* فان الله عز وجل لما خاطب الخلق بالانقياد الى الطاعات * لم يخص الذكور بل قال سبحانه وتعالى ان المسلمين والمسلمات * والمؤمنين والمؤمنات * والقانتين والقانتات * والصادقين والصادقات * والآيات فى ذلك كثيرة ليست بالخفيات * وأفضل العطايا والهبات * وأعظم المنازل والكرامات * توفيق المرأة الصالحة لفعل الطاعات * والتأدب بآداب الاحاديث النبويات * وتكون أعمالها صالحة لعالم الخفيات * وان تجتنب المعاصى والامور المحرمات * وتتورع عن الشبهات والمكروهات * حياء من الله تعالى لا من العيون الناظرات * وخوفا من سخط الله سبحانه وتعالى لا من الضرب والعقوبات * وقد استخرت الله تعالى فى ذكر نبذة من كرامات سيدة النساء العامرات *(وسميتها المآثر النفيسة بذكر صبابة من مناقب السيدة نفيسة)* مما ذكره موفق الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن الشيخ الفقيه أبى الحزم مكى بن تاج الدين أبى العباس بن شرف الدين محمد بن جمال الدين ابن عثمان بن أبى الحزم مكى بن عثمان شافعى زمانه سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عماد الدين أبى الفداء اسمعيل بن ابراهيم بن شيث بن غنائم بن محمد بن عنان بن خافان بن عبد الله بن عبيد بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن عبادة الخزرجى الانصارى رضى الله تعالى عنهم أجمعين فى كتابه مرشد الزوار الى قبور الابرار وماذكره خاتمة الحفاظ والمحدثين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح بن أيوب ناصر الدين محمد ابن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة فى ذكر من دخل مصر من الزهاد وماذكره الشيخ الامام العالم العامل العارف بالله تعالى مربى المريدين ومرشد السالكين وقدوة العارفين والمحققين ودليلهم على رب العالمين صاحب الاحوال والمقامات والتجليات والكرامات عبد الوهاب بن أحمد بن على بن أحمد بن محمد بن زرحا بفتح الزاى وسكون المهملة بعدها موسى ابن السلطان أحمد بمدينة تلمسان فى عصر الشيخ أبى ميدان ابن السلطان سعيد ابن السلطان فاشين ابن السلطان محيا ابن السلطان زرفا ابن السلطان زيان ابن السلطان محمد ابن السلطان موسى هكذا انقلته من خطه الكريم ثم قال بعده ورأيت فى نسبتنا القديمة بعد موسى ثلاثة أسماء مطموسة بينه وبين السيد محمد ابن الحنفية ابن الامام على بن أبى طالب ابن عبد المطلب ويسمى شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصى القرشى

الشعرانى بالنون وغيرهم (فأما) ماذكره صاحب كتاب مرشد الزوار الى قبور الابرار عند ذكر السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها فنصه * هى السيدة نفيسة العابدة الزاهدة المجتهدة الورعة صاحبة الكرامات المتنوعة نخبة دهرها وفريدة عصرها المرتقية بجدها المفتخرة بأبيها وجدها السيدة الرئيسة نفيسة ابنة الحسن الانور قدم والدها الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين مصر ومعه ابنته نفيسة وكان اماما عظيما عالما من كبار أهل البيت معدودا من التابعين ولى المدينة من قبل عبد الله أبى جعفر المنصور بن أبى عامر العباسى الخليفة وكانت دعوته مجابة وكان يسمى شيخ الشيوخ ومدح بقصائد كثيرة لكرمه وحلمه وهو ممن انتهت اليه الرآسة فى زمنه من بنى الحسن فان أجل الاشراف الحسنيون والحسينيون والاشراف أنواع الحسنيون والحسينيون والجعافرة نسبة الى جعفر الطيار بن أبى طالب وله ذرية بالقرافة * ولما ولى الحسن بن زيد المذكور والد السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها المدينة كان بها رجل فقير يقال له ابن أبى ذئب فقربه الحسن وأحسن اليه وكثر مال الرجل ورأس وقربه الى المنصور فلما عظم عند المنصور شرع يتكلم فى حق الحسن وينم عليه حتى انه قال للمنصور عنه انه يريد الخلافة فأحضره المنصور وسلب نعمته ثم بعد قليل ظهر للمنصور كذب القائل المذكور فرد على الحسن أمواله وأنعم عليه انعاما بليغا وأرسله الى المدينة على عادته فلما قدم المدينة أرسل الى ابن أبى ذئب هدية عظيمة وأمده بمال جزيل ولم يعاتبه فى ذلك ولم يقل له فى يوم من الايام فعلت كيت وكيت (وحكى) عنه انه كان يصلى بالابطح فى يوم من الايام واذا بامرأة مارة وعلى يدها طفل صغير فاختطفه عقاب منها فحصل لها عليه وجد كبير فالتهبت بالنار وجاءت الى الحسن وتعلقت به وسألته الدعاء بأن يرد لها ولدها فدعا لها من ساعته فنزل العقاب به الى الارض ورده الله عليها ببركته وبركة دعائه (قال) الطبرى لما مات والد الحسن رضى الله تعالى عنه ترك عليه ما يزيد على خمسة آلاف دينار للناس فحلف الحسن أن لا يستظل بسقف حتى يقضى دين أبيه فلم يزل كذلك حتى قضى دين أبيه رضى الله تعالى عنه وكان له دعوة مجابة وسمى فى زمنه بصفى الاسخياء قال عبد الله بن يعيش كان الحسن بن زيد يعد بألف من الكرام واليه انتهت رآسة بنى الحسن جىء له بشاب شارب متأدب فقال له يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل ذوى العثرات عثراتهم أنا ابن امامة بن سهل بن حنيف وقد كان أبى مع أبيك على ما قد علمت قال صدقت فهل أنت عائد قال لا والله فأقاله وأمر له بخمسين دينارا وقال له تزوج بها وعد الى فتاب الشاب فكان الحسن بن زيد يجرى عليه النفقة نفع الله تعالى به فى الدنيا والآخرة * ولدت هذه السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها فى سنة مائة وخمس وأربعين بعد الهجرة النبوية فى خلافة أبى جعفر عبد الله محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم المعروف بالمنصور بالله

وذلك بعد ولادة الامام الليث بن سعد رضى الله تعالى عنه باحدى وخمسين سنة تقريبا وقبل ولادة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه بخمس سنين (قال) العلامة المقريزى رحمه الله فى كتاب الخطط عند ذكر المشاهد مشهد نفيسة قال الشريف النسابة شرف الدين أبو على محمد بن أسعد بن على بن معمر بن عمر والحسنى الجوانى المالكى نقيب السادات الاشراف فى كتاب الذروة الانيسة بمشهد السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أمها أم ولد واخوتها القاسم ومحمد وعلى وابراهيم وزيد وعبيد الله ويحيى واسمعيل واسحق وأم كلثوم أمهم يقال لها أم سلمة واسمها زينب ابنة الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم * وتزوج أختها أم كلثوم عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنهم ثم خلف عليها الحسن بن زيد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وأما ابراهيم وزيد اخوة السيدة نفيسة ويحيى فعاشوا الى أن بلغوا ولهم نسل * وكانت ولادة السيدة نفيسة فى سنة عمارة المنصور لبغداد وكانت تحب العبادة من صغرها ونشأت بالمدينة المنورة وصحبت كثيرا من نساء الصحابة وكانت تلازم حرم النبى صلى الله عليه وسلم وحكى الحافظ أبو محمد عبد الله بن يرعش النسابة فى كتابه تحفة الاشراف ان الامام زيد الابلج رضى الله تعالى عنه كان يأخذ بيد ولده الحسن الانور والدالسيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ويدخل الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويقول ياسيدى يارسول الله هذا ولدى الحسن أتاعنه راض ثم يرجع وينصرف فلما كان فى بعض الليالى نام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول له يازيد انى راض عن ولدك الحسن برضاك عنه والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضائى عليه * فلما نشأ الحسن وجاء بالسيدة نفيسة الى المدينة المشرفة كان يأخذ بيدها ويدخل بها الى القبر الشريف ويقول يارسول الله انى راض عن بنتى نفيسة ويرجع فازال يقول له ذلك حتى رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول له ياحسن انى راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها والحق سبحانه وتعالى راض عنها برضائى عنها (وما أحسن ما قال بعضهم شعرا)

بكم المدائح تستلذ وتعشق * ولنابكم يا آل أحمد رونق
واذا نظمت مدائحا لعلاكم * صدق المديح وغيره لايصدق
واذا كتبت حروفها ورقمتها * قال الورى تالله أنت موفق
والغير ان عمل المديح لغيركم * هو كاذب فيما نحاه وأحمق
لم يخلق الرحمن مثل محمد * وقبيله وأظنه لايخلق

(قال الراوى النسابة) لما بلغت السيدة نفيسة من العمر ست عشرة سنة رغب الناس فى خطبتها لما علموا من خيرها ودينها وما نشأت عليه من العبادة ووالدها يأبى ذلك ثم جاء رجل من بنى الحسن الى أبيها فخطبها فأبى والدها ثم جاء السيد اسحق المؤتمن بن جعفر الصادق بن

محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم فخطبها من أبيها فلم يرد عليه جوابا فقام من عنده ودخل الحجرة النبوية وقال يارسول الله اني خطبت نفيسة بنت الحسن منه فلم يرد علي جوابا واني لم أخطبها الا لخيرها ودينها وعبادتها فلما كان تلك الليلة رأى أبوها الحسن الانور النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول له ياحسن زوج نفيسة لاسحق المؤتمن فلما أفاق دعا باسحق وعقد له على ابنته وذلك في سنة احدى وستين ومائة وهي بنت عمه وولي اسحق بعد والدا السيدة نفيسة من قبل أبي جعفر المنصور ورزقت منه بولدين القاسم وأم كلثوم * وحجت ثلاثين حجة وكان الغالب عليها المشي في حجاتها وكانت تتعلق باستار الكعبة عند الطواف وهي تبكي وتقول الهي وسيدي ومولاي متعتني وفرحتني برضاك عني فلا تسلبني سيبا يحجبني عنك (وحكي) عن السيدة زينب بنت أخيها سيدي يحيى المتوج قالت خدمت عمتي السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها أربعين سنة فما رأيتها نامت ليلا ولا نهارا ولا أفطرت نهارا الا العيدين وأيام التشريق فقلت لها ياعمتاه أما ترفقين بنفسك فقالت كيف أرفق بها وأمامي عقبات لايقطعها الا الفائزون * وكانت كثيرة التلاوة للقرآن وتفسيره وكانت تبكي وتقول الهي سهل علي زيارة قبر خليلك ونبيك ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما جئت هي وزوجها آخر حجة قصدا زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام فلما أن زارته هي وزوجها عزما على المجيء الى مصر فتوجهوا الى أن جاؤا الى مصر وكان قدومهم الى مصر لخمس بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة على خلاف في التاريخ وقيل سنة ست وتسعين ومائة * ولما سمع أهل مصر بقدومها وكان لها ذكر شائع عندهم تلقتها النساء والرجال بالهوادج من العريش ولم يزالوا معها الى أن دخلت مصر فانزلها عنده كبير التجار بمصر وهو جمال الدين عبد الله بن الحصاص بالجيم وقيل بالحاء والاول أصح وكان من أصحاب المعروف والبر والمحبة والصدقة للفقراء الصالحين والعلماء والسادات الاشراف فنزلت عنده في داره وأقامت بها مدة شهور والناس يأتون اليها أجمعون من سائر الآفاق يتبركون بزيارتها ودعائها وقيل نزلت هي وبعلها بالمصاصة في دار امرأة تعرف بأم هانئ في التاريخ المذكور أولا وهو سنة ثلاث وتسعين ومائة بعد وفاة الامام الليث بن سعد رحمه الله تعالى بثمان سنين تقريبا * وكان بجوار هذه الدار رجل يهودي وله بنت مقعدة ولها أم فأرادت الام أن تتوجه الى الحمام فقالت لها يا بنتي ما أصنع في أمرك هل لك أن نحملك معنا الى الحمام فقالت لا أستطيع ياأماه فقالت لها كيف أتركك في الدار وحدك قالت ياأماه اجعليني عند هذه الشريفة التي بجوارنا حتى تعودي فدخلت أمها الى السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها وسألتها في ذلك فأذنت لها في ذلك فأتت بها اليها ووضعتها في جانب ومضت فجاء وقت صلاة الظهر فقامت السيدة نفيسة فتوضأت بجانب الصبية فجرى الماء فألهم الله تعالى البنت المقعدة أن أخذت من ماء الوضوء وجعلت تمر به على أعضائها فقامت باذن الله تعالى فقامت تمشي كأن

لم يكن بها شئ فلما جاء أهلها خرجت اليهم تمشى فسألوها عن شأنها فأخبرتهم فأسلموا * وفى رواية أخرى على صفة أخرى أن الصبية لما مسحت بماء وضوء السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها قامت تمشى على قدميها كأن لم يكن بها شئ من الامراض هذا والسيدة نفيسة مشغولة بالصلاة لم تعلم بما جرى ثم ان البنت لما سمعت بمجيء أمها من الحمام خرجت من دار السيدة حتى أتت الى دار أبيها فطرقت الباب فخرجت أمها تنتظر من يطرق الباب فبادرت البنت واعتنقت أمها فلم تعرفها وقالت لها من أنت قالت أنا بنتك قالت لها كيف قصتك فأخبرتها بما فعلت فبكت الام بكاء شديدا وقالت هذا والله الدين الصحيح لا ما نحن فيه من الدين القبيح ثم دخلت فأقبلت تقبل قدم السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وقالت مدى يدك فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن جدك محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكرت لها السيدة ذلك وحمدت الحق سبحانه وتعالى الذى أنقذها من الضلال ثم مضت المرأة الى منزلها فلما حضر أبو البنت وكان اسمه أيوب وقيل صابر وكنيته أبو السرايا وكان من أعيان قومه ورأى ابنته على تلك الحالة ذهل وطار عقله من الفرح وقال لامرأته كيف الخبر والقصة فأخبرته بقصتها مع السيدة رضى الله تعالى عنها فرفع اليهودى طرفه الى السماء وقال سبحانك هديت من شئت وأضللت من شئت هذا والله الدين الصحيح ولا دين غير دين الاسلام ثم أتى الى باب السيدة نفيسة ومرغ خديه على عتبته ونادى ياسيدتى ارحمى واشفعى فيمن هو فى ضلال الكفر قد تاه ومن دينه قد أبعده وأقصاه فرفعت طرفها الى السماء ودعت له بالهداية فاسلم ونطق بالشهادتين ثم شاع خبر البنت وخبر اسلام أمها وأبيها وجماعتهم فاسلم فى هذه الواقعة ما يزيد على سبعين من اليهود وهم أهل تلك الحارة ثم انها دخلت من المصاصة الى درب الكر وبين فى دار أبى السرايا أيوب قال الحسن بن زولاق ولما شاعت هذه الكرامة بين الناس لم يبق أحد الا قصد زيارة السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وعظم الامر وكثر الخلق على بابها فطلبت عند ذلك الرحيل الى بلاد الحجاز عند أهلها فشق ذلك على أهل مصر وسألوها فى الاقامة فأبت فاجتمع أهل مصر ودخلوا على السرى ابن الحكم أمير مصر وأخبروه أنها عزمت على الرحيل فاشتد ذلك عليه وبعث لها كتابا ورسولا يأمرها بالرجوع عما عزمت عليه فأبت فركب بنفسه وأتى اليها وسألها فى الاقامة فقالت انى كنت نويت الاقامة عندكم وانى امرأة ضعيفة والناس قد أكثروا من المجيء عندى وشغلونى عن أورادى وجمع زادى لمعادى ومكانى هذا صغير وضاق بهذا الجمع الغزير فقال لها السرى أنا سأزيل عنك جميع ما شكوتيه وأمهد لك الامر على ما ترتضيه أما ضيق المكان فان لى دارا واسعة بدرب السباع وأشهد الله تعالى أنى قد وهبتها لك وأسألك أن تقبليها منى ولا تخجلينى بالرد على فقالت قد قبلتها منك ففرح السرى بقبولها منه فقالت كيف أصنع بهذه الجموع الوافدين على فقال تتفقين معهم على ان يكون للناس فى

كل جمعة يومان وباقى الجمعة تتفرغين فيه لخدمة مولاك اجعلى يوم السبت والاربعاء للناس ففعلت ذلك واستمر الامر على ذلك الى أن توفيت رضى الله تعالى عنها بهذا المكان على ماسيأتى ذكره وكراماتها كثيرة (ومن) كراماتها رضى الله تعالى عنها ماحكاه سعيد بن الحسن قال توقف النيل فى زمنها الى حين وقت الوفاء فجاء الناس اليها وسألوها الدعاء فأعطتهم قناعها فجاؤا به الى البحر وطرحوه فيه فما رجعوا حتى وفى البحر وزاد على ذلك زيادة عظيمة كل ذلك ببركتها * وكان كلما نزل بالناس أمر جاؤا اليها وسألوها الدعاء فتدعو لهم فيكشف الله عنهم ذلك البلاء وكان الناس يزدحمون عندها فلما رأى زوجها ذلك قال ارحلى بنا الى الحجاز فقالت لا أستطيع لانى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى لا ترحلى من مصر فان الله تعالى متوفيك فيها ففى ذلك دلالة على أنها ما أقامت بمصر الا باشارة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين (قال القضاعى) رحمه الله تعالى قلت لزينب بنت أخى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنهما ما كان قوت عمتك قالت كانت تأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة وكانت لها سلة معلقة أمام مصلاها وكانت كلما طلبت شيئا للاكل وجدته فى تلك السلة وكانت لا تأخذ شيئا من غير زوجها فالحمد لله الذى جعل لنا نصيبا مما جعل للسيدة مريم ابنة عمران عليهما السلام فان الله تعالى قال فى كتابه المبين حاكيا عنها كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب وقد جعل الله تعالى ذلك للسيدة نفيسة كما جعل ذلك للسيدة مريم عليهما السلام (وما أحسن ما قاله بعضهم)

بتقوى الاله نجا من نجا * وصار بذاك له مارجا
ومن يتق الله يجعل له * كما قال من أمره مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب * وان ضاق أمر به فرجا
وان كان فيما مضى مذنبا * فعفو الاله غدا يرتجى

كيف لا يكون لها ذلك وهى البضعة الشريفة صلى الله تعالى وسلم على روح جدها وعليها (وما أحسن ما قال بعضهم)

اليكم كل مكرمة تؤول * اذا ما قيل جدكم الرسول
أبوكم خير من ركب المطايا * وأمكم المعظمة البتول
اذا افتخر الانام بمدح قوم * بخدمتكم تشرف جبرئيل

(ومن كراماتها رضى الله تعالى عنها) ان امرأة عجوزا كان لها أربع بنات يتقوتن من غزلهن وكن يغزلن من الجمعة الى الجمعة وفى آخر الجمعة تأخذ العجوز الغزل وتمضى به الى سوق الغزل وتبيعه وتشترى منه كفايتهن ومهما فضل تشترى به ما يقتتن به من الجمعة الى مثلها فاخذت العجوز الغزل فى خرقة حمراء وذهبت به الى السوق على عادتها فبينما هى فى أثناء

الطريق واذا بطائرا نقض على الخرقة التى فيها الغزل فاختطفها من العجوز فسقطت العجوز
الى الارض مغمى عليها فلما أفاقت قالت كيف أصنع بايتام ضعفاء قد أجهدهم الجوع
والقل فبكت فاجتمع الناس عليها وسألوها عن خبرها فأخبرتهم بالقصة وكانت قريبة من
منزل السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها فدلها الناس عليها وقالوا لها امضى واسألها الدعاء
فان الله تعالى يزيل عنك ما تجدين من الهم فلما جاءت الى السيدة رضى الله تعالى عنها أخبرتها
بما جرى من الطائر وبكت وسألتها الدعاء فرحمتها السيدة نفعنا الله بها ورفعت رأسها الى
السماء وقالت اللهم يا من علا فاقتدر وملك فقهر اجبر من أمتك هذه ما انكسر فانها
وأطفالها عيالك ثم قالت لها اقعدى على الباب فان الله على كل شئ قدير فقعدت المرأة على
الباب وفى قلبها لهيب النار على الاطفال فما كان الا أن جلست ساعة يسيرة واذا بجماعة
قد أقبلوا واستأذنوا عليها فأذنت لهم فدخلوا فسلموا عليها وقالوا لها قد جئناك لنخبرك بأمر
عجيب نحن قوم تجار لنا مدة فى السفر فى البحر ونحمد الله سبحانه وتعالى اذ نحن سالمون
آمنون فلما وصلنا الى هذه البلدة انفتحت المركب ودخلها الماء فاشرفنا على الغرق وجعلنا
نسد المكان المنفتح وبقيت قطعة صغيرة لم نجد لها ما نسدها به فاستغثنا بك فجاء طائر كأنه
حدأة وألقى علينا خرقة حمراء بها غزل فاخذناه ووضعناه فى المكان المفتوح فسده باذن
الله تعالى وقد جئناك بخمسمائة درهم شكرا لله تعالى على السلامة فلما سمعت السيدة
كلامهم بكت وقالت الهى ما أرأفك وما ألطفك بعبادك ثم انها دعت بالعجوز وقالت لها
بكم تبيعين غزلك فى كل جمعة قالت بعشرين درهما فقالت لها ابشرى فان الله سبحانه وتعالى
ضاعف لك الثمن اضعافا ثم أخبرتها بالقصة وأعطتها الدراهم فاخذتها المرأة وجاءت الى
أولادها وأخبرتهن بما جرى لها وكيف ردّ الله لهفتها ببركة هذه السيدة نفيسة رضى الله عنها
ونفع ببركتها (ومن كراماتها) أن رجلا من أهل المعافر تزوج بامرأة ذمية فجاء منها بولد
فأسر فى بلاد العدو فجعلت تدخل البيع وتسأل عن الاسارى وولدها لا يأتى فقالت لزوجها
بلغنى أن بين أظهرنا امرأة يقال لها نفيسة بنت الحسن اذهب اليها لعلها تدعو لولدى فان
جاء آمنت بدينها قال فجاء الرجل الى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وقص عليها القصة
فدعت له أن الله يرده عليه فلما كان الليل واذا بالباب يطرق فخرجت المرأة فوجدت
ولدها واقفا بالباب فقالت له يا بنى أخبرنى بأمرك كيف كان فقال يا أماه كنت واقفا بالباب
فى الوقت الفلانى وهو الوقت الذى دعت فيه السيدة نفيسة وأنا فى خدمتى فلم أشعر الا وقد
وقعت على القيد وسمعت من يقول أطلقوه فقد شفعت فيه السيدة نفيسة بنت الحسن
فأطلقت من الغل والقيد ثم لم أشعر بنفسى الا وأنا داخل من رأس محلتنا الى أن وقفت على
الباب ففرحت أمه بذلك فرحا شديدا وشاعت هذه الكرامة فأسلم فى تلك الليلة أهل
سبعين دارا ببركتها وأسلمت أمه أيضا وصارت من خدام السيدة نفيسة رضى الله تعالى

عنها (وحكى) صاحب محاسن الغرر ومساوى العرر أنه لما ظلم أحمد بن طولون واستغاث الناس من ظلمه توجهوا الى السيدة نفيسة وشكوا اليها فقالت لهم متى يركب قالوا فى غد فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه وقالت له يا ابن طولون فلما رآها ترجل عن فرسه وأخذ الرقعة بيده وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار صائبة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوّعتموها وأجساد أعريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم انا عاملون وجوروا فانا الى الله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (وحكى) بعض المشايخ انه كان فى زمنها أمير وكان الغالب على أحواله الظلم وانه طلب انسانا ليعذبه فلما قبض على الرجل أعوان الامير فبينما هو سائر معهم اذ مر على السيدة نفيسة فاستجار بها فدعت له بالخلاص وقالت له حجب الله عنك أبصار الظالمين فمضى ذلك الرجل حتى وقف بين يدى الامير فقال لاعوانه أين الرجل فلان قالوا انه واقف بين يديك فقال الامير والله ما أراه فقالوا انه مر بالسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد رضى الله تعالى عنهم وسألها الدعاء فقالت حجب الله عنك أبصار الظالمين فقال وبلغ من ظلمى هذا يارب انى تائب اليك ثم بكى واستغفر فلما تاب ونصح فى توبته نظر الرجل وهو واقف بين يديه فدعاه وقبل رأسه وألبسه أثوابا سنية وصرفه من عنده شاكرا ثم انه جمع ماله وتصدق ببعضه على الفقراء والمساكين وذهب الى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ومعه مائة ألف درهم وقال خذى هذا المال شكرا لله تعالى بتوبتى فاخذته وصرته صررا وجعلته بين يديها وفرقته عن آخره وكان عندها بعض النساء فقالت لها يا سيدتى لو تركت لنا شيئا من هذه الدراهم لنشترى به شيئا نفطر عليه فقالت لها خذى غزل يدى وبيعيه بشئ نفطر عليه فذهبت المرأة وباعت الغزل وجاءت لها بما أفطرت به هى واياها ولم تأخذ من المال شيئا * وحكى صاحب المشرق فى تاريخ المشرق أن الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه سمع منها الحديث وقال السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة عند ذكر من كان بمصر من الزهاد ومنهم السيدة نفيسة بنت الامير الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم كان أبوها أمير المدينة المنورة وله روايات فى سنن النسائى ودخلت هى مصر مع زوجها المؤتمن اسحق بن جعفر الصادق رحمهما الله تعالى فأقامت بها وكانت زاهدة كثيرة الخير وكانت ذات مال فكانت تحسن الى الزمنى والمرضى وعموم الناس ولما ورد الشافعى رضى الله تعالى عنه بمصر كانت تحسن اليه وربما صلى بها فى شهر رمضان ولما توفى أمرت بجنازته فادخلت اليها فصلت عليه وماتت فى رمضان سنة ثمان ومائتين وكان زوجها عزم أن ينقلها فيدفنها بالمدينة المنورة (وقال) الاستاذ العارف بالله تعالى مربى المريدين مفيد الطالبين القطب الربانى والغوث الصمدانى الشيخ عبد

الوهاب الشعرانى أعاد الله تعالى علينا من بركاته فى كتابه المسمى بلواقح الانوار فى طبقات الاخيار ومنهن السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنهم ولدت بمكة وكان مولدها سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت فى العبادة وتزوجت باسحق المؤتمن ورزقت منه بولدين القاسم وأم كلثوم وأقامت رضى الله تعالى عنها بمصر سبع سنين وتوفيت الى رحمة الله تعالى سنة ثمان ومائتين وخرج زوجها من مصر بولديها القاسم وأم كلثوم ودفنوا بالبقيع على خلاف فى ذلك (قال) ابن الملقن ولما دخل الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه مصر كان يتردد اليها وكان يصلى بها التراويح فى مسجدها فى رمضان رضى الله تعالى عنهما وقيل انه مع جلالة قدره كان يأتى اليها ويسألها الدعاء وسماع الشافعى منها الحديث هو الصحيح خلافا لمن قال انه قرأ عليها وهو صاحب التحفة الانسية ولما حضر لزيارتها هو وأصحابه تأدبوا معها غاية الادب وكذلك كان الشيخ الامام العالم سفيان الثورى مع السيدة رابعة العدوية رضى الله تعالى عنه وعنها لما كان يتردد لسماع كلامها * وقد ادعى قوم أن رابعة العدوية والسيدة نفيسة رضى الله تعالى عنهما كانتا متعاصرتين وليس الامر كذلك فان السيدة رابعة رضى الله تعالى عنها أم الخير ابنة اسمعيل المصرى وقيل البصرى توفيت سنة خمس وثلاثين ومائة فى خلافة السفاح وكان بين مولد السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ووفاة رابعة رضى الله تعالى عنها عشر سنين فبطل قول من ادعى ذلك والمسمى برابعة كثير غير أن الاعيان منهن ثلاثة رابعة العدوية والثانية رابعة ابنة اسمعيل الدمشقية القدسية وقد شاركت الاولى فى اسمها واسم أبيها والثالثة رابعة بنت ابراهيم بن عبد البر البغدادية تسمى رابعة بغداد * وقبر رابعة العدوية رضى الله تعالى عنها فى البصرة معروف هناك مشهور وقبر رابعة الدمشقية فى القدس دفنت على رأس جبل هناك مشهور معروف بالنور وانما عرفت بالقدسية لدفنها هناك وأكثر العامة يظنون أنه قبر رابعة العدوية فليعلم ذلك (وكان) الشافعى رضى الله تعالى عنه اذا مرض يرسل اليها انسانا من خدمه كالربيع الجيزى أو الربيع المرادى أو غيرهما فيسلم المرسل اليها ويقول لها ان ابن عمك الشافعى مريض ويسألك الدعاء فتدعو له فلا يرجع له القاصد الا وقد عوفى من مرضه فلما مرض مرضه الذى مات فيه أرسل لها على جرى العادة يلتمس منها الدعاء فقالت للقاصد متعه الله بالنظر الى وجهه الكريم فجاء القاصد له فرآه الشافعى فقال له ما قالت لك قال قالت لى كيت وكيت فعلم أنه ميت فأوصى وأوصى أن تصلى على جسده فلما توفى فى سنة أربع ومائتين كما هو مشهور مر وابه على بيتها فصلت عليه مأمومة وكان الذى صلى بها اماما أبو يعقوب البويطى أحد أصحاب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وكان جواز نعش الشافعى رضى الله تعالى عنه على بيتها بامر السرى أمير مصر والله أعلم لانها سألته فى ذلك فاذا لوصية الشافعى رضى الله تعالى عنه لانها

كانت لا تستطيع الخروج الى جنازته لضعفها عن الحركة من كثرة العبادة وقد قال بعض الصالحين ممن أحضر جنازة الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه سمعت بعد انقضاء الصلاتين ان الله تعالى غفر لكل من صلى على الشافعي بالشافعي وغفر للشافعي بصلاة السيدة نفيسة عليه رضي الله تعالى عنهما ونفعنا ببركاتهما آمين

(ذكر وفاتها رحمة الله عليها و رضوانه وما وقع من الكرامات بعد وفاتها ومن زار قبرها من الاولياء والصلحاء والعلماء والفقهاء والفقراء من الاعيان رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بعلومهم ومعارفهم في الدنيا والآخرة)

(قال) القضاعي رحمه الله تعالى لما ذكر آنفا أن السيدة انتقلت من المنزل الذي نزلت به الى دار أبي جعفر وخالد بن هارون السلمي وهي التي وهبها لها أمير مصر السري بن الحكم في خلافة المأمون أقامت بهذه الدار الى حين وفاتها بعد ان حفرت قبرها بيدها وقرأت فيه ألفي ختمة وقيل ألفا وتسعمائة قالت زينب بنت أخيها تألمت عمتي في أول يوم من رجب وكتبت الى زوجها اسحق المؤتمن كابا وكان غائبا بالمدينة تأمره بالمجيء اليها ولازالت كذلك الى أن كان أول جمعة من شهر رمضان فزاد بها الالم وهي صائمة فدخل عليها الاطباء الحذاق وأشاروا بأسرهم اليها بالافطار لحفظ القوة لما رأوا من الضعف الذي أصابها فقالت واعجباه لي ثلاثون سنة أسأل الله عز وجل أن يتوفاني وأنا صائمة فأفطر معاذ الله ثم أنشدت تقول

اصرفوا عني طبيبي * ودعوني وحبيبي
زادني شوقي اليه * وغرامي في لهيب
طاب هتكي في هواه * بين واش ورقيب
لا أبالي بفوات * حين قد صار نصيبي
ليس من لام بعذل * عنه فيه بمصيب
جسدي راض بسقمي * وجفوني بنحيبي

(قلت) ومن الناس من يروي هذه الابيات لمحمد بن ابراهيم بن ثابت بن فرج الكيزاني الشيعي الذي دفن بقبة الامام الشافعي قبل بنائها ونقل في زمن البناء الى المشهد بالقرب من تربة الفضل بن العراة الوزير والله أعلم بالصواب

(انعطاف) ثم انها بقيت كذلك الى العشر الاواسط من شهر رمضان فاحتضرت واشتد بها المرض فاستفتحت بقراءة سورة الانعام فلازالت تقرأ الى ان وصلت الى قوله تعالى قل لله كتب على نفسه الرحمة ففاضت روحها الكريمة وقيل انها قرأت لهم دار السلام عند ربهم

وهو وليهم بما كانوا يعملون فغشى عليها قالت زينب فضممتها الى صدرى فشهدت شهادة الحق وقبضت سنة ثمان ومائتين وذلك بعد موت الشافعى رضى الله تعالى عنه بأربع سنين حكى ذلك عن البويطى رحمه الله تعالى * وما أحسن ما قال بعضهم فى خروج روحها رضوان الله عليها

روح دعاها بالوصال حبيبها * فأتت اليه مطيعة ومجيبه
يا مدعى صدق المحبة هكذا * صدق المحب اذا دعاه حبيبه

وأوصت السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها أن لا يتولى أمرها غير بعلها وكان مسافرا كما قدمنا فلما ماتت قدم فى ذلك اليوم فحين أن قدم اجتمعت الناس من البلدان والقرى وأوقدت الشموع فى تلك الليلة وسمع البكاء من كل دار بمصر وهيأ لها بعلها تابوتا وقال لا أدفنها الا بالبقيع عند جدها فتعلق به أهل مصر وسألوه بالله أن يدفنها عندهم فأبى فاجتمعوا وجاؤا الى أمير البلد وتوسلوا به اليه ليدفنها عندهم وليرجع عما أراد قال فسأله الامير فى ذلك وقال له بالله لا تحرمنا مشاهدة قبرها فانا كنا اذا نزل بنا أمر أتيناها الى دارها وهى حية فنسألها الدعاء فاذا دعت لنا رفع عنا ما نزل بنا فدعها تكون فى أرضنا اذا نزل بنا أمر أتينا الى قبرها فسألنا الله تعالى عنده قال فلم يرض فجمعوا له مالا جزيلا حمل بعيره الذى أتى عليه وسألوه فأبى فباتوا منه فى ألم عظيم وتركوا المال عنده فلما أصبحوا جاؤا اليه فوجدوا منه ما لم يروه من قبل فانهم لما قاموا أنعم لهم بدفنها عندهم وردعليهم المال فسألوه عن ذلك فقال لهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال لى رد على الناس أموالهم وادفنها عندهم ففرحوا وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ثم انه دفنها بمنزلها المذكور آنفا بدرب السباع بين مصر والقاهرة وكان يوما مشهودا ازدحم الناس فيه ازدحاما شديدا عظيما وجعل الناس يأتون اليها من البلاد البعيدة ويصلون على قبرها وصلى عليها جماعة من علماء مصر ورؤسائها وعوامها وخرج زوجها رضى الله تعالى عنها بعد أيام قلائل ومعه ولداه منها القاسم وأم كلثوم الى المدينة وماتوا بها ودفنهم خلاف أعنى الثلاثة فى دفنهم بالبقيع وليس فى قبر السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها خلاف ذكر ذلك أبو اسحق ابراهيم بن بلوه النسابة والشريف بن محمد بن الاسعد بن على الحسينى النسابة (قال) القضاعى رحمه الله تعالى أقامت السيدة نفيسة بمصر سبع سنين وحفرت قبرها بيدها فى البيت الذى كانت قاطنة فيه وهو المشهد الآن ولعلها لم تفعل ذلك يعنى حفر القبر الا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك لما رأى زوجها ما رأى وربما يفهم ذلك من قوله ان الله متوفيك بمصر كما قدمناه آنفا ولم يختلف فى ذلك أحد من المؤرخين الا من ليس له معرفة بالتاريخ أو جاهلا لا يحسن ذلك ومن قال انها فى المسجد الذى بالمراغة فهذا جهل من قائله نعم التى مدفونة بذلك هى السيدة نفيسة بنت زيد الابلج بن الحسن

السبط عمة السيدة نفيسة أخت أبيها الحسن فانها دخلت الى مصر قبلها وكانت تحت الوليد بن عبد الملك بن مروان ودخولها الى مصر مشهور لكن مختلف فى دفنها هل هى ههنا أو بالشام ولعلها هنا فانه لم يرد فى كتاب خروجها من مصر بعد دخولها فلعلها توفيت بمصر ودفنت بهذا المشهد الذى بالمراغة وكانت من الصالحات وتوفيت قبل وفاة بنت أخيها رحمهما الله تعالى

(انعطاف) قال بعض المؤرخين لما حفرت السيدة نفيسة المذكورة آنفا قبرها بعد عمتها كانت تنزل اليه ليلا ونهارا وتصلى فيه قيل انها قرأت فيه ست آلاف ختمة والصحيح ماذكر سابقا (وقال) بعض العلماء الاكابر من المتأخرين وهو الشيخ كمال الدين الدميرى وكان عالما بفنون عديدة منها فن التاريخ وأسماء الصحابة وأهل البيت وكان عالما بالانساب ان السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها كانت أمية لا تقرأ شيئا الا انها كانت سمعت الحديث كثيرا وكانت من أهل الخير والصلاح وكانت فى آخر عمرها اذا عجزت عن الصلاة قائمة صلت قاعدة وكانت من كثرة الصيام والقيام ضعفت قراها وزار قبرها جماعة من الاولياء والصلحاء والعلماء ومشايخ الرسالة ولم ينكر أحد منهم هذا القبر من زارها بهذا المشهد فى حياتها وبعد وفاتها الاستاذ الكبير أبو الفيض ثوبان ذو النون المصرى بن ابراهيم الاخميمى أحد رجال الطريقة المعتبرين وأبو الحسن الدينورى وأبو على الروذبادى وأبو بكر أحمد بن نصر الدقاق وبنان بن أحمد بن محمد بن سعيد الحمال الواسطى وشقران بن عبد الله المغربى وادريس بن يحيى الخولانى والمفضل بن فضالة وبكار بن قتيبة والامام اسمعيل المزنى وعبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصرى وولده الامام محمد صاحب تاريخ مصر وعبد الرحمن بن الحكم والامام أبو يعقوب البويطى والربيع بن سليمان المرادى وحرملة بن يحيى التجيبى الشافعى ويونس بن عبد الاعلى الصدفى والفقيه عبد الله بن وهب بن أبى مسلم القرشى المالكى وأبو جعفر محمد بن عبد الملك بن سلامة الطحاوى والامام عبد الرحمن بن القاسم العتقى المالكى الزاهد والحسين بن بشر وسعيد الجوهرى المتكلم على الخاطر وأبو جعفر النحوى المعروف بالنحاس المقرى وأبو بكر المعروف بالادفوى وأبو نصر سراج الدين الزاهد المعافرى وأبو بكر الحداد الفقيه الشافعى صاحب الفروع فى الفقه والحسن بن على القضاعى وأبو هشام المقرى وسحنون المالكى وابن القاسم حمزة بن محمد الكنانى وكان ملازما زيارتها الى أن مات والامام أبو الحجاج الاشبيلى وأبو عبد الله بن الوشاة والامام يوسف بن يعقوب اللغوى وأبو الحسن على العككى وأبو سهل الهروى والامام اليمنى والامام الحافظ عبد الغنى بن سعيد الازدى وأبو عبد الله محمد سلامة القضاعى وأبو زكريا السخاوى وأبو اسحق ابراهيم بن سعيد الحبال والامام أبو الحسن بن الحسن الحلعى وأبو الحسن الشيرازى وأبو الحسن الخشاب وأبو

الحسن الفراء وأبو صادق بن مرشد المدنى وسلطان بن رشا الشافعى وأبو بكر محمد بن داود الرقى القبالى والفقيه ابن مرزوق المالكى والامام ورش المقرى والفقيه الجليل عبد الله بن عمر النجيبى والفقيه أبو الحسن على بن ابراهيم الحوفى صاحب التفسير والفقيه أبو طاهر بن باشاذ النحوى والشيخ أبو زكريا البخارى والفقيه ابن الوردى والفقيه أبو عبد الله التميمى وابن نظيف المحدث العالم الكبير والفقيه العالم عبد القوى وعبد الباقى بن فارس المحدث والفقيه أبو محمد عبد الله بن داود الفارسى والفقيه عبد الله أبو الحسن الشيرازى والشيخ المحدث أبو القاسم اليحمودى والفقيه ابو المعانى الشافعى والفقيه أبو عبد الله محمد المحدث وأبو بكر التكلى وأبو القسم بن الحباب وأبو الطيب بن غلبون وابن بنت ابى سعد الانصارى وأبو المعالى على وأبو عبد الله بن رفاعة وأبو الفضائل يونس ابن محمد المقدسى وأبو الطاهر مهوب والفقيه بن المبلط المقدسى وأبو عبد الله الحموى النحوى وأبو الحسن على الحضرمى وأبو الطاهر السلفى الحافظ وأبو العباس أحمد بن الخطيب المالكى وأبو الفوارس الحميرى الذى كان يختم القرآن فى ركعتى الفجر هذا ما عرف من الاماثل الاعيان وأما من لم يعرف فكثير (قال) السيد الشريف محمد بن أسعد ابن على النسابة عن شيخه مهوب عن شيوخه أنهم كانوا يزورون قبر السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ويسألون الله تعالى عند قبرها قضاء حوائجهم فتقضى مثل الشيخ العالم ابن بنت أبى أسعد الانصارى وأبى طاهر السلفى والفقيه على المكنى بابى المعالى والشيخ أبى القاسم بن الحباب والفقيه أبو عبد الله بن رفاعة السعدى والفقيه بن أبى الطيب والشيخ أبى الحسن الحضرمى والفقيه أبى الفضل يونس بن محمد المقدسى امام جامع عمرو والفقيه أبى الحسن على بن الحسين الموصلى والفقيه الحافظ أبى الحسن الشيرازى وأبى الفوارس الحميرى الفقيه وقد تقدم ذكر هؤلاء الجماعة ولكنا أحببنا ذكر لفظ الشريف النسابة بتمامه وكماله وقد عرف هذا المكان باجابة الدعاء وكل ذلك مع الاخلاص من غير رياء ولا سمعة والله أعلم بالصواب

(ذكر كرامات ظهرت بعد وفاتها رضى الله تعالى عنها)

قال بعض المؤرخين كان رجل بمصر يسمى عفان بن سليمان المصرى قد وجد فى داره مالا مدفونا فصار عفان هذا يتصدق من هذا المال على الفقراء والمساكين والارامل والايتام وأمعن فى الصدقة حتى كان لا ينام ليله حتى يطعم خمسمائة بيت من أهل مصر وكان يتلقى الحاج كل عام من اليه وكان يحمل المنقطع واشترى أحمد بن سهل بن أحمد أمير مصر ألف حمل برفاشتراها منه عفان فلما كان بعد أيام قلائل حصل الغلاء فزاد ثمن البر عن السعر الاول بثلاثة أمثاله فقال له أحمد بن سهل الوزير خذ ثمن البر الذى اشتريته منى بهذا السعر الآن فقال له عفان لا أفعل ذلك ثم خرج عفان من داره وجلس على الباب فجاء اليه

الناس وقالوا انظر ما الناس فيه ومهما طلبته فى البر الذى عندك من الثمن أعطيناك فقال لهم لا والله انما أدخر الثمن عند الله تعالى وفرق ذلك على الفقراء والمساكين والارامل فبلغ ذلك تكين أمير مصر وكان قد صال على أهل مصر حتى لقبوه بالجبار وشكاه أهل مصر الى العارف بالله تعالى بنان بن أحمد الواسطى الواعظ فدخل عليه ووعظه وقال له ارجع عن أهل مصر فلم يرجع ولم يسمع وأمر باخراج بنان الى بلاد الغرب فشكاه أهل مصر الى العارف بالله تعالى الشيخ أبى الحسن الدينورى فدخل عليه ووعظه فلم يرجع وأمر باخراجه من مصر الى بيت المقدس ثم أمر تكين الوزير أن يؤخذ من عفان أمواله فذهب الى السيد الشريف على بن عبد الله وقال له ياسيدى أريد أن أخرج من مصر وأسكن غيرها من البلاد فقال الشريف على لاى شئ تفعل ذلك قال لاجل هذا الجبار تكين فقال له الشريف على قم بنا الى ضريح السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ندع الله عنده أن يشغل هذا الجبار عنك فجاء عفان من جانب والشريف من جانب آخر وقرآ شيئا من القرآن وسألا الله تعالى أن يجعل ذلك واصلا الى السيدة نفيسة رضوان الله تعالى عليها وأن يفرج عن عفان ما هو فيه من المضايقة فأخذتهما سنة من النوم فناما فرأى الشريف على السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وهى تقول له خذ عفان معك واذهب الى تكين فقد قضيت الحاجة فلما استيقظ الشريف أخذ عفان معه وتوجها الى تكين ودخلا عليه فقام تكين الى الشريف وهو يرعد وقد حم لوقته وقال رأيت السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وهى تقول أكرم الشريف على وارجع عن عفان فانه استجار بنا فقال له الشريف هذا عفان بين يديك فقال تكين والله ما رأيته يارب انى تائب فتاب تكين من الظلم وأخلص فى توبته فرأى عفان فقال أنت عتيق السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وتصدق تكين على الفقراء بمال كثير وصار يحسن الى أهل مصر ويقول كل أهل مصر يخافونى وأنا أخاف من دعوة عفان عند ضريح السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وقد أحسن تكين شأنه مع أهل مصر ولازم زيارة مشهد السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها الى أن توفى بمصر يوم السبت المبارك لست عشرة خلون من ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة وهو متولى عليها وأوصى أن يدفن ببيت المقدس فحمل ودفن هناك وترك ولده محمدا وأقام على طريقة أبيه فى الاحسان وتوفى سيدى عفان المذكور فى زمن ولايته فى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ودفن فى طريق مصر بمكان معروف رحمه الله تعالى ونفع ببركته (وحكى) عن رجل يسمى أبا العز اليمانى قال كنت فى قومى عزيزا لانى كنت أكثرهم مالا وعملا وحسبا فصالت على النفس حتى صرت لها مطيعا ونظرت الى الخلق بعين الاحتقار وأنستنى النفس القدوم على الملك الجبار وشغلتنى عن عذاب النار فذهب عنى المال ونقص منى العمل بالطاعة التى هى أشرف بضاعة وانخفض قدرى وضاق صدرى واشتد كربى وعزانى الصديق وفرح فى

الحسود فقلت اصديق كان مشفقا على يا أخى أما ترى ما نزل بى فقال لى عليك يا أخى أن تسأل الله بأوليائه الصالحين المقربين عسى أن يذهب عنك هذا الامر الذى قد نزل بك قال فاعتزلت عن الناس فى مكان فلما كنت فى بعض الليالى نائما متفكرا فى أمرى واذا أنا أرى كأنى فى فضاء واسع الفناء ونور ساطع تارة يظهر وتارة يخفى فقلت بالله العجب ما هذا النور الذى يظهر ويخفى واذا أنا أسمع قائلا يقول لى هذا نور السيدة نفيسة قدس الله سرها قلت عسى الله أن يجمع بينى وبينها فاسألها الدعاء بزوال هذه الكربة فقيل لى انها ميتة فقلت أغتنم بركة زيارتها فما استتممت القول الا وأنا أسمع من يقول أنا السيدة نفيسة يا فلان فارق نفسك فقلت فارقتها لا عودة لى اليها فانى تائب الى الله تعالى فقالت قبلت التوبة ان شاء الله تعالى وزالت الحوبة فاصبحت فرحا بما رأيت فى منامى فانصلح حالى بعد قليل وزادنى الله تعالى بفضله أضعاف ما كنت فيه كل ذلك ببركتها رضى الله تعالى عنها ونفعنا ببركاتها (وكان) الاستاذ كافور المكنى بابى المسك بن عبد الله الاخشيدى لا يدع زيارة السيدة نفيسة رضوان الله تعالى عليها فى كل خميس ويسأل الله تعالى عند ضريحها فى قضاء حوائج له فتقضى له ببركتها وكان اذا قضيت حاجته يوفى بنذرها ويأتى بالمسك والزعفران والطيب والشمع والزيت والقناديل الفضة وكان يحسن للخادم كثيرا وكان اذا قصد زيارتها يترحل حتى ينظر الباب الاول من بعيد ويدخل حاسر الرأس وبقى كذلك الى أن توفى بمصر سنة ست وخمسين وثلاثمائة رحمة الله تعالى عليه وفضائل السيدة نفيسة كثيرة ومناقبها أكثر من ان تحصر فالله ينفع ببركاتها فى الدنيا والآخرة بجاه جدها سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين (ومما ينبغى) للزائر اذا دخل ضريحها أن يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد * اللهم انك قد ندبتنى لامر قد فهمته وقلته وسمعته وأطعته واعتقدته وجعلته أجرا لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم اذ هديتنا به اليك ودللتنا به عليك وكان كما قلت بالمؤمنين رؤف رحيم حبيب اليه ما هديتنا عزيز عليه ما عنتنا وتلك الفريضة التى سألها له المودة فى القربى * اللهم انى مؤديها بلسانى معتقدها بقلبى ساع اليها بقدمى راجى النفع بها فى دنياى وأخراى متوسلا اليك بها يوم انقطاع الاسباب والانساب الا سببا ونسبا وصل بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم * اللهم فها أنا نازل اليك باعتابهم متقرب اليك بولائهم متدرع متبرع بالطاهرين والطاهرات من نسائهم * اللهم زدهم شرفا وتعظيما وشرفهم شرفا حادثا وقديما وهب لنا من زيارتهم مغفرة وأجرا عظيما والسلام عليكم يا آل بيت المصطفى يا بنى فاطمة الزهراء يا بنى على المرتضى يا بنى الحسن والحسين يا أهل النبى أنتم القوم لا يحرم من خيركم الا محروم ولا يطرد عن بابكم الا مطرود ولا يوالى الا تقى ولا يعادى الا شقى اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وعلى أصحاب محمد وعلى أزواج محمد وعلى ذرية محمد

وأنلني ما رجوت بهم وبلغني ما أملت فيهم أعد علي من بركات السفر إليهم وهوّن علي موقفي بين يديك بالوقوف بين أيديهم وتدعو بحاجتك من أمر الدنيا والآخرة (وكان) من دعاء بعض السلف عند ضريح السيدة نفيسة رضوان الله تعالى عليها عند زيارتها السلام والتحية والاكرام والرضوان من العلي الاعلى الرحمن على السيدة نفيسة الطاهرة المطهرة سلالة نبي الرحمة وشفيع الامة خير الانبياء البررة وابنة علم العشيرة الامام حيدرة السلام عليك يا ابنة الامام الحسن المسموم أخي الامام الحسين الشهيد المظلوم السلام عليك يا ابنة فاطمة الزهراء وسلالة خديجة الكبرى ورضي الله عنك وعن أبيك وجدك وعمك وابنك وجدتك وأمك * اللهم احشرنا في زمرة أوليائك وزائريها * اللهم بما كان بينك وبين جدها محمد رسولك ليلة المعراج اجعل لنا من همنا الذي نزل بنا باب الفرج واقض حوائجي فان كان جماعة يقولون اقض حوائجنا في الدنيا والآخرة بمحمد وآله وصحبه أجمعين (وكان) بعض السلف يقولون أيضا السلام والتحية والاكرام على أهل بيت النبوة والرسالة السلام عليك يا بنت الحسن الانور بن زيد الابلج بن الحسن السبط بن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء ويا سلالة خديجة الكبرى أنتم يا أهل البيت غياث لكل قوم في اليقظة والنوم فلا يحرم من فضلكم المحروم ولا يطرد عن بابكم المطرود ولا يوليكم المؤمن تقي ولا يعاديكم المنافق شقي * اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطني خير ما رجوت بهم وبلغني خير ما أملت فيهم واحفظني بذلك في ديني ودنياي وآخرتي انك على كل شئ قدير ثم تقول

يا بنى الزهراء والنور الذى * ظن موسى انها نار قبس
لا أوالى الدهر من عاداكم * انهم آخر سطر فى عبس

وقد مدح بعض الفضلاء رضي الله تعالى عنهم هذه السيدة الرضية رضي الله تعالى عنها وعن سائر أهل البيت الطاهرين بأبيات أحببنا ذكرها هنا فقال

يا من له فى الكون من حاجة * عليك بالسيدة الطاهره
نفيسة والمصطفى جدها * أسرارها بين الورى ظاهره
فى الشرق والغرب لها شهرة * أنوارها ساطعة باهره
كم من كرامات لها قد بدت * وكم مقامات لها فاخره
يا حبذا سيدة شرفت * بها أراضى مصر والقاهره
بنفسها قد حفرت قبرها * حال حياة يالها حافره
تتلو كتاب الله فى لحدها * وهى لمن قد زارها ناظره
حجت ثلاثين على رجلها * صائمة عن أكلها قاصره
كانت تصلى وتقوم الدجا * دوما على أقدامها ساهره

عابدة زاهدة جامعه * للخير فى الدنيا وفى الآخره
فى كل قطر قد سما ذكرها * عالمة فائقة ما هره
يسقى بها الغيث اذا ما القرى * قد أجدبت من سحبها الماطره
والناس قد عاشوا بها فى صفا * عيش بايام لها زاهره
والشافعى قد كان يأتى لها * سعيا الى دار بها عامره
يرجو بأن تدعوله دعوة * فيالها من دعوة وافره
صلت عليه بعد موت وقد * أوصى بذا فهى له شاكره
سبحان من أعلى لها قدرها * لانها بين الورى نادره

(وما أحسن ما قاله أبو الفضل الواعظ رحمه الله تعالى)

حب آل النبى خالط قلبى * وجرى فى مفاصلى فاعذرونى
انا والله مغرم بهواهم * علمونى بذكرهم علمونى

(وما أحسن ما قال ابن الوردى ناظم البهجة رحمه الله تعالى)

يا آل بيت النبى من بذلت * فى حبكم روحه فما غبنا
من جاءكم يطلب الحديث له * قولوا لنا البيت والحديث لنا

(وقال بعض أهل الفضل رحمهم الله تعالى)

لآل بيت الرسول الغر قد ظهرا * فضل وشاع بفضل الله واشتهرا
محمد المصطفى والمرتضى وبه * فخار أهل شريف أصله ظهرا
وان فاطمة الزهراء أمهم * هى البتول التى جلت عن النظرا
أهل العباء الكرام الخمسة النجبا * ما مثلهم فى جميع العالمين يرى
جبريل سادسهم فى قومهم وكذا * فى ظل حضرتهم بالانس قد حضرا
والبضعة الحيرة الست المشار لها * نفيسة القدر كم سر لها ظهرا
لها مقام على القدر مرتفع * بالذكر والعلم والقرآن قد عمرا
لها رباط أمين يا له حرم * مأوى المساكين والايتام والفقرا
لها رواق يروق العين رونقه * يا ناظرون تملوا فاز من نظرا
لها فخار واجلال بنسبتها * حسيبة حسبها الفخر الذى اشتهرا
لها كرامات فى الاقطار قد ظهرت * وسرها قد فشا بين الورى وسرى
لها قراءة ورد قد تحقق فى * وفائها بالامانى الذى نذرا
لها مشايخ علم يحضرون لها * فى كل أربعة يا سعد من حضرا
لها طوائف زوار طريقتهم * وظائف الذكر والبشرى لمن ذكرا
لها ضريح وخدام كأنهم * ملوك سادوا على السادات والامرا

ترابه زعفران والمسك تربه * فاحت وكم وجه حر فيه قد عفرا
قناعها طاهر والستر منسبل * فالمحتمى بجميل الستر قد سترا
أضحت كراماتها كالشمس واضحة * وليس ينكر ضوء الشمس حين يرى
كم أظهرت عجبا كم أبرأت وصبا * كم فرّجت كربا كم أطلقت أسرا
كم بلغت أربا كم أذهبت نصبا * كم زوّلت تعبا كم سهلت خطرا
غنية بالذى نالته من كرم * سلطان مصر لها مازال مفتقرا
يا أهل بيت رسول الله مادحكم * كسير قلب ولكن كسره جبرا
لعلّ يحشر فى اقبال زمرتكم * طوبى له فى جنان الخلد اذ حشرا

(غيره)

ياصاح ان رمت الحياة الفاخره * فاقصد حمى بنت الكرام الطاهره
ذات الكرامات المعظمة التى * أسرارها بين الخلائق ظاهره
وبها توسل واحتمى بجوارها * واذكر مصابك تلقها للناصره
فهى المنجية الشباب من العذا * ب مغيثة الملهوف شمس الدائره
كم جاءها ذو آفة يرجو الغنى * جبرت بتيسير المعايش خاطره
فاغنم وسل بمقامها تعط المنى * فعلى الدوام لزائريها حاضره
وادخل وطف واسعى وسل بتأدب * ما تشتهيه ونادها ياطاهره
انى قصدتك مستغيثا لائذا * مستعطفا أهل القلوب العامره
حاشا وكلا أن يضام نزيلكم * أوأن يعود بصفقة هى خاسره
يا كعبة الاسرار جئتك لائذا * أبغى الندى من وكف كف عاطره
ياأم قاسم الغياث فانى * عبد ضعيف الحال يدى قاصره
دنف ومسكين مهين عابر * مالى معين قط عينى ساهره
يابنت طه انقذى من لم يجد * جاها سوى ذى المعجزات الظاهره
المصطفى الهادى البشير محمد * من يرتجى كل الانام ماثره
صلى عليه الله مابدر زها * والآل والصحب النجوم الزاهره
أوما استغاث الحامى أحمد قائلا * ياصاح ان رمت الحياة الفاخره

(قيل) ولما أن توفيت هذه السيدة الجليلة سيدتنا نفيسة رضى الله تعالى عنها كما ذكر النقباء ودفنت بهذا المشهد المعروف بها كما تقدم ذكر ذلك رغب الناس فى البناء على القبر الشريف فشرع السرى بن الحكم أمير مصر فى البناء فبنى على قبرها جزأ ثم تهدم البناء وجدد أيضا كما هو مكتوب على ألواح الرخام على باب ضريحها الذى كان مصفحا بالحديد وصورة المكتوب مانصه بعد البسملة الشريفة نصر من الله وفتح قريب لعبد الله وليه معد

لكنى بابى تميم المنتصر بالله أمير المؤمنين وعضد الدين وفارس المسلمين متع الله ببقائه
أعلى كلمته وشد عضده بولد الامير الاجل الافضل جلال الدين ناصر الاسلام خليل أمر
بانشاء هذا المشهد الشريف النفيس مولانا أمير المؤمنين المشار اليه على يد ولده المشار
اليه أجرى الله الخيرات على يديه وضاعف مزيد البركات عليه فى شهر ربيع الآخر
سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة (وأما) القبة التى على ضريحها الشريف فالذى جددها
الخليفة الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوى الفاطمى وذلك فى بعض شهور سنة اثنتين
وثمانين وخمسمائة وهو الذى أمر بعمل الرخام فى المحراب ثم أخذ أرباب الدولة فى العمارة
بجوار ضريحها تبركا بها وكان مكتوبا على باب ضريحها ما صورته

يا آل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم القدر أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

تمت هذه الرسالة وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه
وسلم

(يقول الفقير أحمد مروان)

بعد حمد من أمد بعض عباده بجزيل الكرامات وأفاض عليهم من وافر احسانه جميل
الامدادات وبهى الصلاة والسلام على النبى وآله وصحبه هداة الانام
فقد نجز بعون الله الاتم واحسانه الاعم طبع مناقب قطب الغوث السلطان الحنفى مع
حزب النور والاذكار وحزب الدوار للسلطان المذكور والمآثر النفيسة فى كرامات
السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها
وذلك بمطبعة حضرة محمد أفندى مصطفى الكائنة بالكعكيين بجوار القطب الشهير الاستاذ
سيدى أحمد الدردير على ذمة ملتزم الطبع حضرة الفاضل الامجد الشيخ سليم سيد أحمد
ابراهيم القبانى أنجز الله له المقاصد وبلغه جميع الامانى وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين
أجمعين بجاه سيد الاولين والآخرين وكان تمام الطبع فى نصف شهر رجب سنة ألف
وثلاثمائة وست هجرية على صاحبها أتم الصلاة وأكمل التحية آمين
وحين أشرقت شمس طبع هاتيك المناقب فى سماء هذه الازمان وبزغ بدر محياها فى أفق
هذا الاوان أرخ تمام طبعها الفاضل الاديب الالمعى الاريب من له اليد الطولى فى
فن الادب أحسن الله له الحال وسهل له الارب حضرة محمود أفندى حسنى ناظر مدرسة
والدة المرحوم عباس باشا سابقا ونص ما قال حرفيا

ان النبيّ له فى الكون آيات * وآله فضلهم للناس غايات
ان هبت الريح مسكا من شذاياه * قد أمطرت لؤلؤا منه السموات
بل شمس طلعته ضاءت مبشرة * بالنصر فينا وللاسلام رايات
فكم له من مزايا جلّ خالقها * فكيف تنكر قد دلت شهادات
قد اصطفاه اله العرش عن رسل * ان المكذب قد تكفيه آيات
ان النصارى ولو أبدوا مغالطهم * عجزا فقل لهم برهانكم هاتوا
فالرسل والاوليا من نوره ظهروا * كما بدت من غصون الروض نشآت
لكل شئ دليل يستبين به * ومن ضيا الشمس قد تبدو شعاعات
ذاك النبيّ وكل الرسل ملتمس * والاوليا من بهاء النور سادات
فهم الحنفى قطب الزمان بدا * فى أرض مصره فيها العنايات
مناقب الحنفى فيها مزاياه * دلت عليه وقد تكفى الاشارات
هذى المناقب قد عمت منافعها * وأنجم السحب هم فيها منيرات
لا تشبع العين من ابصارها أبدا * لها الهيا مدى الايام لفتات
تحيا القلوب دواما من تلاوتها * فهى الرشيد لنابل فهى مرآة
دارت كؤوس معانيها بمجلسنا * فأطربتنا بحسن اللفظ كاسات
يحكى الحريرى بهاء لفظها ولها * فى قلب أحبابها دوما مقامات
ألفاظها من لآلى القطب ناطقة * بالسر والجهر فهى الجوهريات
فقد أتتنا عقود الدر فاغتنموا * تلك المآثر فهى اللؤلؤيات
يا بهجة فى الورى أرخ لكل هنى * مناقب الحنفى فيها الكرامات

٦٥ ٨٠ ١٩٣ ١٧٩ ٩٦ ٦٩٣

سنة ١٣٠٦

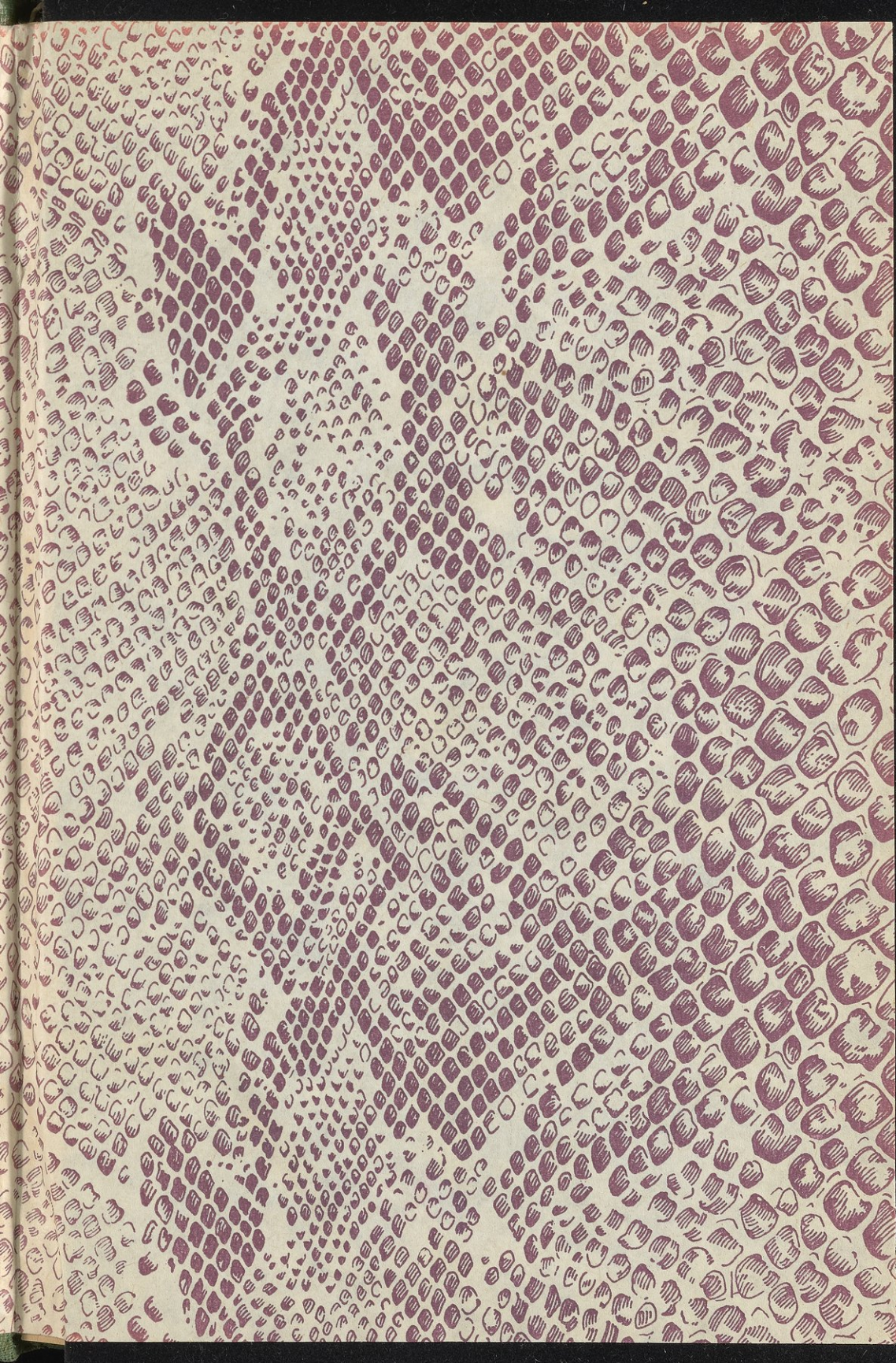

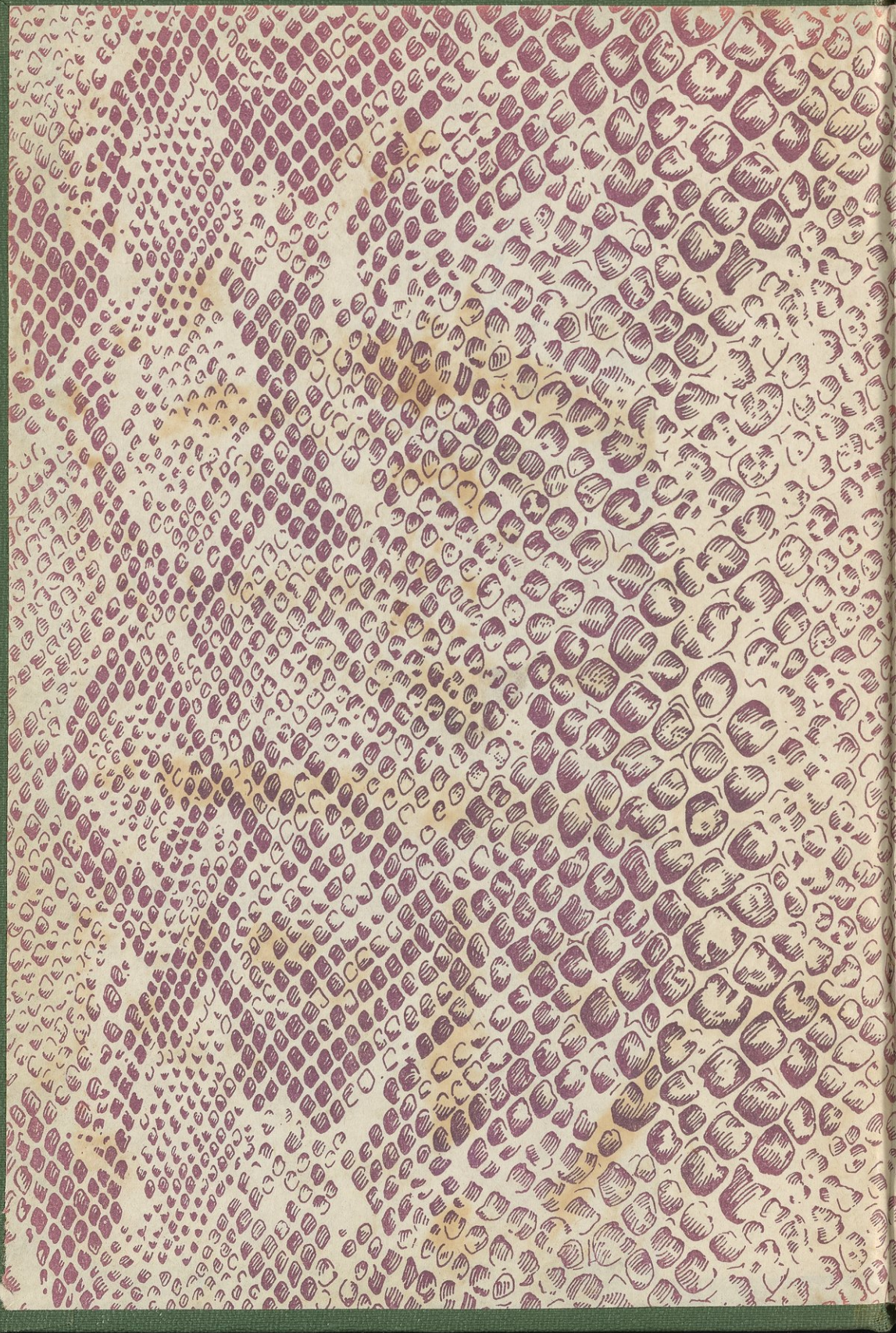

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU59575379
ME06498 Kitab al-sirr al-saf